مجموع

كتب ورسائل الإمام القاسم العياني

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

جميع الحقوق محفوظة للمحقق

منشورات

مكتبة التراث الإسلامي

الجمهورية اليمنية - صعده

ت: ٥١٣١٥٠

روائع تراث الزيدية

مجموع

كتب ورسائل الإمام القاسم العياني

تأليف

الإمام المنصور بالله القاسم بن علي بن عبد الله العياني عليه السلام

(٣١٠_٣٩٣هـ)

تحقيق

عبد الكريم أحمد جدبان

مكتبة التراث الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

المؤلف

هو الإمام: القاسم ، بن علي ، بن عبد الله ، بن محمد ، بن الإمام القاسم إبراهيم الرسي ، الحسني اليمني المعروف بالعياني. أحد أئمة الإسلام ، ونجوم الآل الكرام ، وأحد أئمة الزيدية العظام.

مولده

ولد سنة (٣١٠هـ) في تُبالة من بلاد خثعم في شام اليمن بلاد عسير في الحجاز.

نشأته

نشأ في بلاد خثعم ، وأخذ عن أبيه وغيره من علماء عصره ، وأصلح بلدته ، واستخرج غيلها القديم.

دعوته

قام بزيارة إلى اليمن إجابة لدعوة اليمنيين له ، وللإطلاع على أوضاعها عن كثب.

ثم عاد إلى ترج ببلاد خثعم ووفود اليمنيين تصل إليه عاما بعد عام ، يدعونه للمجيء إلى بلادهم وقيادتهم وإصلاح شئونهم ، لِمَا توسموا فيه من الخير والصلاح والعلم.

قال الإمام في رسالة له: « لستم أعزكم الله تجهلون حالي ، ولا كيف كان سبيل مدخلي مع أهل هذا الزمان ، أنتم تعلمون أعزكم الله أني أقمت نيفا وعشرين سنة معتزلا في رأس جبل ، وأهل اليمن يختلفون إلي عاما بعد عام ، ويسألوني مع ذلك القيام ، فلم أسعفهم على مسألتهم لا جاهلا لما في ذلك من الثواب ، ولا زاهدا في طاعة رب الأرباب ، ولكن لعلمي بأهل زماني ، وما هم عليه من كثرة الإدغال ، والميل إلى المحال » .

وعاد إلى اليمن للمرة الثانية بعد أن دعا إلى نفسه بالإمامة في خثعم سنة (٣٨٨هـ) وعمره (٧٨) سنة.

وعند وصوله إلى اليمن سارع يوسف الداعي أحد أحفاد الهادي والذي كان قد دعا إلى نفسه سنة (٣٦٩هـ) سارع إلى مبايعته والانضواء تحت لوائه ، وإن خرج عليه فيما بعد وكان زعيم الجبهة المعارضة له.

قال الإمام القاسم في رسالة له متوجعا من بني الهادي: « وكان آخر ما جرى بحضرتكم وتوسطكم بيني وبين يوسف بن يحيى ما أجريناه من الأيمان المؤكدة ، والعهود المشددة ، بعد أن أسعفت طلبته ، وأجبت مسألته ، فلم أخالفه في شيء مما طلبه ، وكان عمله وعقده له ولكافة أهل بيته ، وانصرفنا من هنالك إلى صعدة ، وكّدنا ما كان من ذلك بحضرة وجوه خولان ورضاء الجميع منا ، لم يخرج من ذلك إلا المليح ، فتقلده أخوه على طلبة طلبها له ، فأجبته إلى ذلك ، ومضيت إلى ترج سفري هذا الآخر لنقلة مَن علمتم من الذرية ، فخرج إلى تهامة وأرسل إلى الأمير جعفر رعاه الله يسأله التوسط والضمان والمدخل بيننا ، فأجبته إلى ذلك ، ومضيت بذلك ، كتبه أبو جعفر

أحمد بن قيس الشاهد بذلك ، والقوم يرومون أمورهم ، ويعاملون قيس أصغر معهم إلى أن كان منهم ما قد بلغكم ، فهذه أحوالي وأحوال القرابة ».

وقال في رسالة في هذا الصدد أيضا: « وصل كتاب الشيخ الجليل أطال الله بقاءه ، وأتم نعماءه ، مخاطبا لي بالشيخ وأنا كهل ، فشكرت إعظامه وإكرامه بما لم آمله من النصفة الجليلة ، وقد هجر ذلك بعدها بما قد أجفى من القول ، وذكر أني أردت بذلك إقامة الهيبة والجفاء ، وقال: إن الهيبة والجفاء لا تكون من الأكفاء.

و لم أرد ذلك و لم أقصده ، بل لا أعلم مَن أَبلَغَ في التواضع للأكفاء مبلغي ، فلم نر كثيرا منهم ذلك ، و لم يخف على الله شيء في الأرض ولا في السماء ، وذكروا أني وإياكم أكفاء ، وأنهم لم يبِن لهم مني فضل يقدموني به عليهم ، وصدقوا أما أكفأ فلا مدافعة دون ذلك ، وأما الفضل فلن يعرفه إلا من هو سجيته ، وإلا لزم على من جهل حالا وجهل مالاً يدق ، وإن كان لم يعذر البرية في طلب ما ينفعهم.

وأما قوله: إني وجدت الأشراف مفترقين فضربت لهم شبكة خداع خوف الاجتماع حتى وجدت فضلاً قد دخل فيه ، فيا سبحان الله وهل ذلك لي شبيه؟! أجل لو كان ذلك لاغتنمت الفرصة وشددت يدي بما فتحت بسيفي ، مما وجدتكم مخرجين منه ، فلم آل جهداً في تمكين الداخل وإدخال الخارج ، وكسرت شوكة من قد أباح الذمة ، وهتك الحرمة ، وسب الأئمة ، ثم عمدت من بعد ذلك إلى ما فتح بي من البلاد عنوةً كبلاد بكيل ووادعة ونجران ، فجعلتها في أيدي أهل بيتك فوليتهم ما توليت من ذلك ، وخرجت

من اليمن كما دخلته حتى عدت إلى أرض خثعم أريد المحل هنالك متخليا من اليمن لا أريد له عودة إلا لناجم يوجب مَرجعي ».

وقال في رسالة أخرى ردا على يوسف الداعي: « وأما ما ذكرت من افتخار الناس بأسلافهم ، ولم أزد على أن أصغر لهم ، ورفعت نفسي وحططت أسماءهم ، وهذه خلة يلعن الله من فعل فيها ما ذكرت ، أنا بفخرهم أفخر وأتباعهم أذكر ».

وقال أيضا لما أزروا عليه بترك ذكر بني الهادي في خطبة الجمعة: « وأما ما تعلق به علي من ترك تسميتهم على المنبر ، فإن ذلك كثر ، وجاوز من ذكر من الفضلاء حتى عتب ذلك عليكم ، وفي إجمال ذكرهم من دون الأسماء ما كفى ، لأنه لا اختلاف بين الأمة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يصلي على النبي وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وهذا أجمع وأكفى من التفريق ، وتسمية بعض فضلاء أهل البيت دون بعض ، فما علقتك بمثل هذا فعالك من الحجة علي ».

وقال في رسالة أخرى متحدثا عن القاسم بن الحسين الزيدي [1]: « وأما الزيدي فوصلني وافداً من الحجاز على صورة قد علمها كافة الناس ، فقدمته

---

(١) القاسم بن الحسين الزيدي.

قال في مطلع البدور: السيد الإمام الكامل السلطان الحلاحل القاسم بن الحسين الزيدي نسبا ومذهبا ، ورد اليمن من الطائف عقيب ورود المنصور بالله القاسم بن علي العياني عليه السلام فسالمه وعاضده وناصره ، فولاه القاسم العياني من نقيل عجيب إلى عدن ، فبقي على ذلك مدة من الزمان ، ثم جرى الخلف بينهما بعد ذلك ، وتغلب القاسم الزيدي على أكثر البلاد ، وحبس أولاد القاسم عليه السلام جعفرا والحسين وغيرهما ، وأخرجهم من صنعاء إلى بيت حنبص ، فسكن الإمام القاسم و لم

ورفعته وفوضته ، و لم أجعل لنفسي ، ولا لأحد من قرابتي كالذي جعلت له ، فنال ما علمتم بسببي ، وأخذ الناس باسمي ، وغدر في ذمتي ، و لم يَحط قولي ، و لم يرع عهدي ، وفتن كافة السلاطين ، ومعهم خطوطي ومعاملتي ، فأغظيت على ذلك ودفعت الوقت بالوقت ، وأرسلت إليه الشريف الحسن بن طاهر الحسيني ، ولطفت له الاحوال ، وعرضت عليه كل جميل من المقال والفعال ، فلم يلتفت من ذلك ، وفرّق كتبه إلى كافة العشائر ، يستدعيهم ويطمعهم ، وكاتب إلى العيدين ، وفرق الرقاع ، والرسل بالمواعيد على أهل الطماع ، وأرسل هلالا (١) فركز به في بيت بوس يستقضي ويضعف أمري ويدعوهم إلى نفسه دوني ، وإلى الفساد علي ، والخروج من جملتي ».

يترعج ولا راجعه في ذلك بشيء ، فأخرجهم القاسم بعد ذلك على أحسن حال وأمر لهم إلى والدهم ، وكان القاسم الزيدي من كبراء العلماء ، أجلّه القاسم العياني وسوّده وولاه الجهات المذكورة ، واستنبط غيل آلاف عدن صنعاء ، وكان بعض الشعراء يدخله في المديح مع القاسم العياني كقول سلامه الحداد:

قســــم القاسمـــــان فينــــا الأمانـــــات .... إلى آخر القصيدة.

وعظمت الوحشة بينهما لتعرض القاسم الزيدي لرؤساء ناس وسلاطين كانوا أولياء للإمام ، ثم طال العتاب ، وخرج الإمام القاسم العياني من صعدة إلى ريدة ، ولقيه القاسم الزيدي مظهرا للرايات الصفر وشعار المملكة ، فاستغفر في حق الإمام واستعذر إليه ، واتفقا مرة أخرى في ورود في دار هارون القرشي العمري حق الإمام.

(١) هو هلال بن يحيى العلوي ، له ذكر كثير في تاريخ صنعاء لابن جرير.

وقال في رسالة ردا على يوسف الداعي: « أما أول ذلك فإني كاتبتك من الحجاز ابتداء متعزّما مواصلا ، فضرب رسولي و لم يقرأ كتبي حتى ردت إليّ إلى الجبل.

وأما الثانية فإني وصلت إلى صعدة فلم يبق من العرب أحد فيما بين مكة والمدينة وأقصى اليمن إلا أولانا الجميل ، ولقّيتنا أنت – أيدك الله – الشر والقبيح بعد أن نزلنا عليك مترل الضيف ، وتجنّبنا من الترول على من كان لك حربا ، كل ذلك تقربا إليك وصلة بك ، فلم يزدك ذلك منا إلا بعدا ».

وقال في رسالة أخرى أيضا: « وذكرت أني غدرت بني عمي وأَسَرْتُهم ، كان معي القاسم بن الحسين الزيدي ، و لم والعظيمِ أغدر به ، ولا بأحد من البرية!! بل وليته مقامي وقلدته ذمتي فغدر ، ثم أذممت له وأساء ، ثم أمرت بالإحسان إليه ، فلما لم أسعده في غيّه ، وأتبعه في جهله غدر بي كما فعلت ، والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين.

والله ما قصرت في الزيدي منذ وصلني إلى هذه الغاية ، فإن كان قد شكاني إليك فهلا وقفت أنت وغيرك على عهدي له ، ثم لتعلمن من بعدِ نَظَرٍ أنه الغادر لا أنا ، ولكل نبأ مستقر ولن يخفى من الأمور لا ظاهرا منها ولا مستورا ، خلا ما لا يكون ، وإن أحببت أنت أن تفتشني وإياك علماء الأمة على علم الكتاب وسنة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأنا [1]

(١) كذا في السيرة.

والسلف فعلت لك ذلك ، لئن يخرج الشك من قلبك ، وتعترف بمن هو أولى بالفضل منك ».

وقال في رسالة له إلى القاسم بن الحسين الزيدي: « كتبت يا أخي وسيدي - أسال الله حفظك ورعايتك وكلايتك - وأنا بحال من الله جميل وعطاء جزيل ، فله الحمد كثيرا كما هو أهله من مستحقه ، وبعد أبعد الله السوء عن نفسك ، فقد بلغ الماء الزبا [1] ، وكثر على رعيتنا البلاء ، بمبلغ الأمير منتهاه فاتبعنا ، فالقبول قول الوشاة واتباعنا لما فطرنا الله عليه من الأهواء ، وإلى الله أبتهل وإياه أسأل أن يعجل صلاحنا ، ويعيننا على جهاد أنفسنا ، وأنا أسألك يا ابن عمي مسألة القريب لقريبه ، والنسيب لنسيبه ، أن تترك ما قد ساء الأولياء وشمّت الأعداء ، من استغنى كل منا برأيه دون صاحبه ، والله قد نهانا عن ذلك وأمرنا بالمعاونة على ما أمرنا به من طاعته ، فقال عز وجل: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة:٢] ، ونهانا عن الفرقة ، فقال عز وجل: ولا تتفرقوا فـ ﴿ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال:٤٦] ، وقد جمعنا أمر لا يسعنا فيه الافتراق ، ويجمُل بنا فيه التعاون والاتفاق ، ولم نخرج من قومنا مهاجرين ، ومن أوطاننا سائرين ، إلا لنصرة الدين ، والحسبة لرب العالمين ، ولن يتم لنا ذلك ، ولا ننال العلو فيه في الدنيا والآخرة ، إلا بالصبر على المحن والبلوى ، وما أعظم البلوى ما ابتلي بسبائبه من نستأنسه ، ثم بسياسة هذا السر المنظور على اتباع الهوى ومفارقة ما فيه النجاة عنه ، وقد

(١) مَثَلٌ معروف. وهو بلفظ: بلغ اليل الزبا.

ساقتنا الضرورات إلى الدخول معهم ، والصبر على معاشرتهم ، رعاياهم وسلاطينهم ، ولم أتم بالحسبة حتى قد رضيت نفسي ، فخبرت منها الطاقة بحمل الأمور ، وحسن السياسة والتدبير ، فأردت منك يا ابن عمي وشقيقي في نسبتي حيث ولّيتك أمري أن تستأمرني في جميع ما يقوم لك من الأمور ، في معاشرة هؤلاء السلاطين ، وإن عصيتك في ذلك بشيء احتملت وحملتُ وصبرت ، فذلك سَمتُ آبائك الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ، لأنهم رؤساء هذه الأمة ، وقوادها إلى كل ملمة ، وهم إلى أتباعهم أميل ، وعليهم اتباعنا أثقل ، وقد جل الأمر عن العتاب ، وأشرفنا من القطيعة على فناء يغضب رب الأرباب ، واليمن قائما هو لأهله ولسنا نتنافس في ملكه ، فيعوض بنا حي وسيدي رأيا يحملنا ، وأمرا يجمعنا.

واعلم أنه لم يتبعنا من اتبعنا بحوائج هي لهم ، وذلك حسن سيرة منا ، أو نائل لا يبعدهم عنا ، فما كنا لهم كذلك استمتعوا بنا ، وإذا حملناهم على غير ذلك نجلوا عنا ، واستبدلوا بنا غيرنا ، فانظر بنا الآن يا ابن عمي في أنفسنا ، فإن نظرنا مصلحة تصلح بنا من سؤلنا.

واعلم أنه لا يشفي بيننا إلا أنفسنا ، ونحن السفراء بيننا لا غيرنا ، والواجب علينا ذلك ، وإياك أن نكون كالذين قال الله فيهم: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة:٤٤] ، فلا جعلنا الله كأولئك ولا مثلنا بهم ، إنه على كل شيء قدير وبكل شيء بصير.

وقد كتبتَ يا سيدي تعدني من نفسك بأني لو أمرتك بالخروج مما أنت فيه لخرجت ، ولستُ لذلك بسائل بل مثلت وإليك مائل ، وإنما سألتك ... [1] فإن حمدت عاقبته ، وإن لم يتم زلت عنه لا منه ، فامدد لي يدك ، ولا تبغي فيمن ترخص فيعلموا مثلي عليك ، فاستبق في قار مع اليوم غدا ، والأيام عوج رواجع ».

نظريات القاسم الإدارية والسياسية

وسيرة القاسم بن علي العياني تتميز بحصيلة وافرة من الوثائق الإدراية والسياسية التي قد لا نجدها في مصدر آخر ، وهي تعطي صورة واضحة عن حياة النظام السياسي ، وكيف يتم تسييره خلال القرن الرابع ، وقد تميز الإمام القاسم في تعبيرة بأسلوب سهل يشف عن مضمون مقاصده بوضوح ، وهذه الوثائق بحدِّ ذاتها ذخيرة هامة للباحث في الأمور الإدارية في ذلك الوقت خلال القرن الرابع ، وفيها من المعاهدات والإرشادات العامة لعماله وكذا تصريف الأموال وقبض الجبايات ما يضيف جديدا على كتب الخراج المتقدمة على هذا العصر بقليل ، ككتابي الأموال لأبي يوسف المتوفى سنة (١٨٢هـ) ، والخراج لابن آدم القرشي المتوفى سنة (٢٠٣هـ) وغيرهما. وهناك ضمن تلك الوثائق نصائح سياسية في دقائق الحكم وإرشاد الحاكم ، مما يدل على عقل سياسي منظم لهذا الإمام فهو قد تولى مقاليد الحكم لا حباً في الحكم لذاته ، وإنما كان

---

(١) بياض في المخطوط.

صاحب رسالة ومنهج سياسي ديني إصلاحي عبر عنه في أعماله ورسائله إلى عماله وأولاده وبعض مشائخ البلاد وغيرهم.

على أنه في نهجه السياسي وسلوكه عامة ، كان صاحب نظرية سياسية سلمية ، لا يميل إلى الشدة ولا يحب أن يتورط في إزهاق الأرواح بقدر الإمكان ، وكان صاحب التزام دقيق بسنة السلف الصالح في تعيين الحكام وتوليتهم للبلاد ، مع طيبة وتسامح أدى إليه ورعه الشديد. ولذا نجده قد أوقعه ذلك في بعض المنزلقات الخطيرة التي كدّرت عيشه وجعلته يعيش آخر حياته في قلق ، ولم يتمتع بإصلاحاته التي أرادها من تولي الحكم. كتلك الهفوة التي وقع فيها بتولي ابن عمه القاسم بن الحسين الزيدي الذي جاء قادما من الحجاز وغره في أول الأمر مظهره الخارجي دون أن يدرك حقيقة نواياه ، وكذا كان تشدده في إقامة العدل وإبعاد الحكام المستبدين دون مراعاة لنفوذهم ، وما لهم من أسبقية يذكرنا بذلك المسلك الذي أتبعه جده الإمام علي كرم الله وجهه. وقد أدى ذلك إلى إثارة حفائظ أبناء عمه من أولاد الإمام الهادي الذي كانوا أصحاب الحكم قبله.

وتبين الوثائق التي أوردها كاتب السيرة بأمانة تامة خفايا ما يدور بين الساسة في ذلك الوقت ، وخاصة بين الإمام وخصمه الداعي السابق له يوسف بن يحيى بن أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين الذي كان متحاملا على الإمام القاسم ، وموصما له بعظائم الأمور التي لم يكن الإمام قد صنعها ولا له صلة بها. ومهما يكن فإن السيرة في مجموعها سجل عملي للحاكم المسلم يجب أن يحتذيه في أي عصر ومكان ، وفيه من التجارب والإرشادات

ما يفوق بكثير أصحاب النظريات المبتسرة والأفكار الخيالية. وأهمية ذلك تكمن في قدم هذا الأثر ، وهو يُعطينا دليلا واضحا على مدى تقدم الفكر السياسي في عصوره المبكرة من تاريخنا الحضاري الإسلامي.

وإذا خرجنا من الجانب النظري والفكري في هذه السيرة ، نجد حوادث الإمام العملية في هذا الأثر قليلة ومعروفة ، لعدم حرص الإمام على ملاحقة خصومة السياسيين ومزاحمتهم في ولاياتهم المدنية ، أضف إلى ذلك أن البلاد قد نعمت باستقرار ملحوظ بالنسبة لما شهدته في زمن الهادي وابنه الناصر بما صاحبه من إعصار مريع على إثر قيام علي بن فضل وأتباعه القرامطة ، فهذا العصر الذي أدركه إمامنا القاسم كان فترة هدوء واستقرار ، وإن كنا رأينا هؤلاء القرامطة يعودون مرة أخرى في زمن الصليحي ، إلا أن إمامنا القاسم لم يدركهم ولم يكتوِ بنارهم ، كذلك القدر الذي عانى منه أحفاده ، ومع ذلك فإن الإمام القاسم لم تكن فترة حكمه خالية من المناهضين.

وكان أعلم أهل زمانه ، وأحقهم بالإمامة ، وقد ترك كتبا عديدة في الفقه والأصول وعلم الكلام ، ومع أن آراءه الفقهية والأصولية لا تخرج بشكل عام عما عرف من تراث الهادي وجده القاسم بن إبراهيم ، فقد كان أكثر انفتاحا على زيدية الشمال بجيلان والديلم وطبرستان ، فهو لا يرى أن الاختلاف في الفروع بين الأئمة مدعاة للتراع.

ويرجع المؤرخ يحيى بن الحسين التراع بين الهادي والأشراف العيانيين إلى أيام القاسم بن علي العياني إلى القاضي عبد الملك بن غطريف الصائدي ممن عاصر الإمام القاسم بن علي العياني وهو الذي كاشف الإمام بالنكر وتخلف

عن إمامته هو ومن تبعه ، وذلك بسبب مخالفة القاسم في مسائل الفروع للهادي ، لأن الزيدية كانوا يعتقدون في ذلك الوقت أن المصيب في الاجتهاديات واحد والحق معه ، إلى زمن المتوكل على الله أحمد بن سليمان.

وقد يكون فيما ذكره يحيى بن الحسين بعض الحق ، لكن الواقع أن الزيدية مذهبا ودولة كانت قد تضاءلت وانكمشت منذ وفاة الناصر أحمد عام (٣٢٢هـ(ولم يخرج من أعقاب الناصر من استطاع إثبات وجوده حتى أواخر القرن الرابع ، وعندما استدعت القبائل القاسم العياني – في عملية تشبه استدعاء الهادي من قبل – كانت اليمن تغص بثوار آل الهادي الذين لم يحظوا بأي نجاح ، ورغم أن العياني ما استطاع فعل الكثير بسبب قصر مدته ، فلا شك أنه اعتبر ناجحا تماما مقارنة بالخارجين السابقين والمعاصرين. ونحسب أن هذا كان السبب الرئيسي لتراعات القاسم العياني وأولاده وأحفاده مع آل الهادي وهادوية الزيدية ، فقد أسس العياني أسرة حاكمة استمرت حتى أواخر القرن الخامس تلعب دورا ملحوظا في السياسات بشمالي اليمن [١].

وكان الإمام القاسم في الأساس حريصا على نشر العلم وتطبيق العدل الذي دعا إليه في فكره السياسي الملتزم بما جاء عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته المنتجبين ، وقد ناوى بقدر الإمكان الفكر الشيعي المغالي ليبين أن الزيديين بعيدون عن مغالاة الروافض وتشديدهم في مسألة الصحابة وأمور الولاء والبراء ، ملتزما بذلك نهج الإمام زيد وما جاء عنه في هذه

---

(١) انظر سيرة الأميرين/ ٤٦.

المسألة ، وهو في ذلك صاحب فكر ثاقب وإيمان راسخ لا يزحزحه الهوى ولا تأخذه المصلحة السياسية مهما كانت فائدها بالنسبة لوضعه المعاصر.

على أنه لم يُترك في آخر عمره لشأنه من قبل المنتفعين في دولته ، ولذا كان على رأس خصومه ابن عمه الزيدي الذي أراد أن يخل بالتزامات الإمام ومواثيقه مع حلفائه وأنصاره من شيوخ القبائل ورؤساء البلاد. وكان الإمام قد أعطاهم الولايات الكبيرة ينتفعون بخيراتها في مقابل ترسيخ العدل والأمان. وحدث ما حدث بين الزيدي والإمام حتى أدى الأمر إلى سجن ولديه وخروج الإمام بشيبته ومهابته من صنعاء لاستعطاف الزيدي في ذلك ، وكان قد ترك نجران وشأنها بمجرد أن أهلها أخلوا بما شرط عليهم.

وكذا كانت سيرة الإمام القاسم بن علي العياني رحمه الله نموذجا فريدا للحاكم المسلم الصادق مع الله ونفسه ، مع زهد يذكرنا بزهد الإمام علي كرم الله وجهه ، وورع شديد ، وتمسك بالكتاب والسنة ، بحيث لم يترك له صديقا ولا مواليا إلا من وفقه الله من أصحابه المنتخبين [١].

شعره

كان الإمام القاسم شاعرا مطبوعا ، حفظ لنا التاريخ بعض قصائده التي نستشف من خلالها شاعريته:

فذات مرة قصده بنو الطيب وأتوا بمال معونة له على الخروج إلى تهامة ، وسألوه أن يجعلهم ولاتها إذا افتتحها ، فأوجب لهم ذلك ، وسألوه تعجيل

---

(١) انظر مقدمة السيرة.

انحداره تهامة ، فأرسل إلى جنوده أهل اليمن وأهل طاعته يشاورهم في ذلك ، فرجعت كتبهم إليه: يا سيدنا الأمر أمرك ولا نتأخر عما تأمر ، إلا أنا كما حَطَطْنا من سفرنا من غزاة نجران ، فأمهلنا يا مولانا أو نصلح خيلنا وركابنا وعُدُدنا ، وكتب إليهم قصيدة مع كتبهم قال فيها:

طال الثُّواء بصعدةٍ وعيان ... فمذاب والأجراع من شجان
حولاً بحرم لا يهم بنية ... يدعو لمبتعدٍ من البلدان
فهل الزمان مساعف لمواشك ... يقصو ويقرب مرة ويداني
ناطته همته لأعلى مطلب ... لا يستفاد من الخلي توان
فنأى وأخلى من ونى في رأيه ... وأضاف ظن الخير في قحطان
السادة الغر الكرام أولو النهى ... أهل العفاف ومعدن الأديان
سقيا لهم من معشر نالوا العلا ... وتمسكوا بالواحد المنان
أصبحت من سيَّرتُ في أوطانهم ... مني السلام فسلموا بأمان
وجعلت مع رسلي إليهم دعوة ... تُحظ المجيب لها بأعظم شان
سمح العباد لها فكم من ناصر ... لجوابها كالواعي اليقظان
ما بين دَاجٍ أن يتم له الهدى ... ومنافق قد نِيط بالعصيان
أما أجبتم دعوتي فتأهبوا ... لهبوط بيش منزل العبدان
فيهم مغانم لا تحل لجمعنا ... لو كان كالحيين من كهلان
هذا لنا حول هُمُّ بأرضهم ... وتعُوق عنه عوائق الحدثان
لولا دناة الناكثين وغدرهم ... ودبيبهم بالمكر والبهتان
ما تم للعبدين ما حظيا به ... من حوز ما ملكا من البلدان
وونى رجال لا ونى في حالهم ... بل غفلة دامت وطول توانِ

ومحبة للخفض في أوطانهم — وصيانة بالأهل والخلان
وأقارب دون القرابة قربهم — كالكارهين لدولتي ومكاني
لا عن يد قدمتها مذمومة — إلا التجاوز عن أذى الإخوان
فالمغتلين بنسبتي وصحابتي — كالتابعين محبتي بسنان
والبيتِ لو شهد النبي فعالنا — لبقى مقاطعنا من الإحسان
ولقال للباغي مقالة ناصح — هلا [1] اتقيت وعُذت بالرحمان
ما عاد لي إلا الرحيل مجانبا — لجميع ما سكنوا من البلدان
ولقد علمت بكم وكم من غادر — ومُعاهد لم يُوف بالأيمان
فأذن ستُعقبُ فرقتي من خانني — من فتنة وجوائح وهوان
تُردي لها كم من كمي صارم — ويموت قتلا كم من الضلان
ويَدور مغبر الزمان عليكم — فلكم إذا حظيوا به من فان
إني نذير العالمين لو أنهم — فازوا بسُعد نَذارَتي وبياني
من غفلة تغشى أكابر جمعهم — ومصائب تترى بنحس زمان
يا أمةً جهلت معالم دينها — وابتاعت الشهوات بالأديان
لو قمتمُ لله حين غضبتمُ — دون المراد لفزتُمُ بجنان
لكنكم لم تغضبوا لحريمه — وغضبتمُ لمواكل وأمان
من لم ينلها منكم عادى لها — وأثار حربا نسيط بالخذلان
أبِذا أتاكم أمرُهُ فتبعتمُ — أمر الإله فكيف بالبرهان
لو كان لي في الحق عنكم مهربٌ — لهربت دون تكلف الأحزان

---

(١) في السيرة: هل لا. ولعل الصواب ما أثبت.

وتحمل المكروه ممن خصني منه الأذى من قاصي ومُدان
أين الأولى عبدوا الإله بزعمهم وتمكنوا في اليُمْن والإيمان
كي تسعدوني أو تكون ببلدة من دونها خوفٌ وبُعد تداني
فالموت أقربُ من يحل بأرضنا وإخالهُ من أقرب الجيران
والله يعطيني بحسن طويتي ما قد رجوت فلست بالخوّان
ويهين أعدائي الأولى كفروا به فبكفرهم بَعُدُوا من الرضوان
أقسمت لا فارقت من عاهدته متباننا للوعد حولاً ثان
حتى يجول الناس دون عشائر أرجو بنصرها صلاح الشان
فإذا تلوّمت الجميع فلم أدع للوم من سَبَب لمن يَقلاني
رغب المطي معربا لمسيره نفسي ولست عن المسير بوان
حتى أعود إلى محل حلّه خير البرية من بني عدنان
في حوزة العرب الكرام أولي النُّهى حرب الحماة ونعم من والاني
لله دَرّهمُ فما فارقتهم عن بُغضَةٍ عُلِمَتْ ولا هَوَان
لكن لصون عشيرتي من حربهم ورجا الصلاح بهم فهم إخواني
فإذا يُفاوتني الرجاء ففيهم عوض يسرّ الصدر من أحزان
إني لأرجو أن أسرّ بقربهم وبقرب ما فارقت من أوطاني
ويبينُ عُذري للبرية كلها حتى يشيع بقاصي البلدان
والله يعطيني بحُسن طويتي فوق الرجا وما رجائي بفان

وقال في قصيدة عارض بها قول ابن عباد بن عياش الحارثي في غزاة نجران:

عجبت و لم أعجب لغير عجيب … وعوفيت من سقمي بغير طبيب
ونلت الذي قد كنت أرجو نواله … وأطفيت ناراً أوقدت لحـــروب
وفرقت جمعا لم يكـــن بموفـــقٍ … وأقصيت من لم يرعـــو لحبيـــب
وأرعيت لما نلت بنجـــران عنـــوةً … ولما أجازي مـــن بهـــا لمريـــب
وكيف أجازي من وفى بذمامـــه … ونَمَّ فلـــم يعلـــم بـــه بـــدبيب
وفاء حيٌّ كعب فاستمروا بطاعة … و لم يخرجوا من عهدهم لقريـــب
وقد قيل في عبد المـــدان وإنهـــم … لأبعد حي من مقـــال عيـــوب
عتبت فلم أزر بهـــم في عتيـــبتي … وكنت لداع الشر غـــير مجيـــب
وقد قلت قولاً أعتلـــي بنجـــاره … ورب مقال مســـعد لخطيـــب
إذا ما بنو عبد المدان تزاجـــروا … و لم يقدحوا في ملكنـــا لغريـــب
جعلنا لهم منا يـــداً يشـــكرونها … وفازوا جميعا كلـــهم بنصـــيب
هم الذروة العليا من حي مذحج … إذا أصبحوا لم ينتحـــوا لهريـــب
كمن جرَّ جزءاً ثم ولّى و لم يعج … على عرسه لا عربت بنجيـــب
لقد قال عباد بن عياش مغرمـــاً … وكم من مقال قال غير كذوب
ألا ليس من جر المقانـــب بيننـــا … وبين الإمام المرتضـــى بمصـــيب
وكيف يصيب الرشد يابا مسلم … غوي كثير الجهل غـــير أديـــب
فدى قومه كي لا يعابوا بفعلـــه … و لم يطمعوا من عـــذره بمعيـــب
قَرَا ثم أروى من سقا عن ضيوفه … ليحيلـــهم لا مكـــرم بمثيـــب
فلما تراخـــى الخـــوف عنـــهم … قضا وطراً منهم بكل قضـــيب
فلا يفتري عبد الدَّخامس بَعدها … منيب فلا تلقى حبـــاه وهـــوب
ألا ليت عيناً منه تنظـــر جمعنـــا … لدى حُصنه مستبشرين بطيـــب
لنا سامر ما بـــين لاه ومنشـــد … بمأثرة تـــروى وبـــين لغـــوب
كأنا أقمنا حيث كنـــا بأرضـــه … بأوطاننا مـــن أبطـــح وكثيـــب

هل العزُّ إلا عز من كان عــزُّه من الله أو من مســعد لحبيــب
تبدلت من قومي الكــرام أولي بكل كريم النحل غــير هيــوب
فنلت الذي نال الــنبي محمــد نبي الهدى المختار خير نسـيب
سقى الله قحطان الكرام فــإنهم لدين الهدى باب لكل طلــوب
فمن ذا ينال الدين من غير بابــه ومن ذا الذي يشقى لغير مثيــب
ومن ذا الذي يرجوه كل موحد لجور ظلوم الفعل غــير أريــب
سواهم فلا زالوا بخــير وغبطــة ولا منعوا من مغنم وكســوب
فمن مبلغ أهل الحجاز رســالةً على النأي يزهى مرصد لوثوب
يسر بها الإخوان من كل مشعر ويكرهها مــن ينتــهي بمعيــب
بأني حويت العز والمجد والغــنى بمَنٍّ الذي قد خصني بنصــيب
وإني أقود القوم للقوم إن عَتَــوا بــلا ذلّــة تعتــري بجنــوب
فأورد جيشي مورد العز والغــنى وأصدره بالنصر غــير كئيــب
سلوا تُخبروا عنا إذا ما جهلــتمُ يخبِّركم مــن زارنــا بعجيــب
أُعرِّض من قوم إذا مــا لقيتــهم وهل أنثني من خفيــة لَمهيــب
أبى الله لي هذا الفعــال وهمــتي وإني امرؤٌ لا أقتــدي بمريــب
وإني حميت النفس أن تقرب الخنا ومن همتي أن أنتــهي بمشــيب
ومن همــتي أن لا أزال مجاهــدا ولو لم يكن لي مسعد لوصــوب
لأن يعبد الرحمن في كل بلــدة ويهلك من لا يرعــوي للبيــب

وقال في غزوة أخرى:

أقــول لأصــحابي ونحــن بجانــب من الخبْط تزهانا خيول العســاكر
هل الجمع جمع المعشــرين كجمعنــا ولا يزهدن فينا امرؤ غــير خــابر
فقالوا جميعا مــا رأينــا كجمعنــا ببطن منى محصــى ولا بالمشــاعر

فـــأكبرت حمـــد الله ألفـــا لحمـــده ولست لما قد نلتـــه غـــير شـــاكر
سقى الله أقطـــار الحجـــاز وأهلـــه فلم يسعدوا منـــا بـــأيمن طـــائر
همُ زهـــدوا في كوننـــا في بلادهـــم وكانوا ظهيرا بين بـــاغ وخاســـر
فهل عوضوا منا المهـــنى ولم يكـــن بنا عوضا عند الخطوب الجـــواهر
تمنيـــت أن الظـــاهري وحزبـــه لهم من جموع الحقل نظرة نـــاظر
وحولي حماةٌ ليس خلـــق يـــروعهم لقد كرمت إحسان تلك العشـــائر
أخايرُ من قحطـــان قـــاموا بنصـــرنا وحاموا علينا بين بـــاد وحاضـــر
وما خـــذلت أحيـــا نـــزار وإنهـــا لمن نُصرتي في وارد غـــير صـــادر
هـــلالٌ وأحيـــا خـــثعم وقبائـــل إذا انتسبت لم تنف عن نسل عامر
ولي معشـــر نحـــو الحجـــاز أعـــزةٌ هم عزتي مـــن قومنـــا وأخـــايري
متى رمتهم للغزو [١] أبدوا وجـــوههم وكافيتُ من يشناهم غـــير قاصـــر
وملكتـــهم شـــرق الـــبلاد وغربهـــا وشـــاماتها بـــالله أكـــرم ناصـــر
وإني لأهـــوى أن يكونـــوا بأرضـــنا أولي هجـــرة محروســـة بالبصـــائر
إذا مـــا غـــدونا للجهـــاد تبـــادرت عدانا ولم يحظـــوا بعلـــم النـــذائر
وولوا هزيمـــا في الـــبلاد وغـــادروا ديـــارهمو مبذولـــة للعســـاكر
كفعـــل أزال والربيعـــة غـــرّهم من البغي مـــا أدنـــاهمُ للمقـــادر
تكـــالوا بـــأغلاف وبـــالثور عـــرّة لأن يُمنعا مـــن جيشـــنا المتكـــاثر
فما لبثوا بعـــد اللقـــا أن تكشـــفوا بسمر القنـــا والمرهفـــات البـــواتر
فلولا سواد الليل أحجـــى هـــزيمهم لباتوا مع الإخوان لحمـــا لجـــازر
تقسمت العرج الضـــباع لحـــومهم وضلت ذئاب بعد يـــوم المســـامر

---

(١) في السيرة: للغز. ولعل الصواب ما أثبت.

وبتنا نياماً ليس نخشى بياهم ... وباتوا بخوف راتب في الضمائر
فلما بدا ضوءٌ من الصبح أزمعوا ... هزيماً كأرقال النعام النوافر
فلم يلف منهم في الديار مخبر ... سوى حضر قد عطلت وأبائر
فصبحت خيلي حرثهم وركابنا ... وغنَّمتُ جيشي ما خبوا في المحافر
وأشعلت ناري في الحصون ونلتها ... بهدم فعادت كالتلال الكنادر
كأن لم يحل الهالكون بجوها ... ولم يهتنوا منها بطيب المعامر
كذا سيرتي في الناكثين وإنني ... لأعفو ومني الصفح عن كل غادر
ولو لم تخُن أجناد صعدة لم أبح ... حمَاها وأُلقي [1] خصبها في الجهاذر
قطعت أذاهم لا مبيح لمحرم ... ولا مال ميسور ولا مال تاجر
وصنت جميع النازلين بأرضها ... فما نقصت أموال تلك المعاشر
سوى روعة لو كان لي في فكاكها ... سبيل لألفوني لهم غير ذاعر
رحلتُ على عز وقد نلت حاجتي ... فطال بفعلي أهل ودي وناصري
وأصبحت في همدان في رأس شامخ ... من العز [2] إذ فازوا بفخر المفاخر
أولئك أنصاري فهل من مفاخر ... بمثلهمُ في الناس أو من مكاثر
أتى الخبر المأثور عن سيد الورى ... بقول صحيح في عتيق الدفاتر
بأن لنا في آخر الدهر قائماً ... تناصره همدان أهل البصائر[3]
تدين له شرق البلاد وغربها ... وتهلك أعداه بحتف المفاخر
ترى بعض ما قد قيل والكل كائن ... برغم أعادينا وفوز المؤازر

---

(١) في السيرة: وألقى. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: الغر. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) في السيرة: النصائر. ولعل الصواب ما أثبت.

فمن مبلغٌ همدان أن لــيس ناصــري سواها ولا عــاد لصــرم المكــاثر
إذا نهضت همــدان لم أُلــف قاعــدا وإن قعدت لم ألف لي من مناصــر
فيا حــيَّ همــدان الكــرام تــأهبوا فلي همة تأبى علـــى كـــل فـــاجر
أرى كلَّ عاص يكره الحــق مخلــدا يناصر ما يهوى ولــيس بضــائر
ســأترك أبنـــاء المجــوس أذلــة كما تركوا دين الهدى غير ظــاهر
وأُعلِــي جميــع الناصــرين لــديننا على من يناويهم ورغــم الممــاكر
ســبا مُلكَنــا أولادُ كــل بغيــة وباغ فحازوا ملكنا حــوز جــائر
وظاهرهم من كل حــي شــرارهم فما سعدوا مع فســقهم بالتظــافر
عسى الله أن يرتــاح يومــا لدينــه فيظهر مظلوم على كــل غــادر
وينصــر أشــياع الــنبي ورهطــه على كل بــاغ مولــع بالكبــائر
فينتشر الــدين الحنيفــي في الــورى ولا يقتــدى إلا بــأطهر طــاهر
وينفــذ في كـــل البريــة أمرنـــا وإن رغمت آنــاف قــوم أبــاتر
فيا ليت شعري هــل أبــيتن ليلــة بطيبــة أو دور العقيــق الأياســر
بعــزٍ يكــون الــذل عنــه بمعــزل وشيعة صدق ذكرهــا في المــآثر
وهل أنزلن من بــين أطيــب مــترل أدوِّر في تلك الحتــوف الــدوائر
ونستأنس الصيد الذي قــد عهدتــه بحــوزة مخــل بــين لاه ونــافر
وهل أنظرن القاع والفــرش نظــرة وقد عَهدا بعــد الحيــا المتظــاهر
وهل أتنشى وارس الرمث مصــبحا بجذرة ذا حفص بها غــير ســاتر
يثــوب إلينـــا المعتفــون لنيلنـــا ويطرقنا ما بــين ضــيف وزائــر
وهل يرجع الحــي الــذين عهــدتهم لدى الفرع يسعى نحوهم بالبشائر
منـــازل قـــد كنـــا قـــديما نحلّهـــا وآباؤنـــا مـــن أول قبـــل آخـــر
سقى الله تلك الدار والسلف الــذي لدى أقبر فيهـــا لخــير الأخــاير

وكتب إلى بني سعد بقصيدة قال فيها:

إني أقـــول وفي مقــــالي حكمـــة ليست ترى فـــلا تكـــن مخـــدوعا
غلب الشرار خيـــار ســـعد كلـــها فاختـــل عـــزهم وكـــان منيعـــا
لم يغلبـــوهم بـــل تلاشـــى رأيهـــم وتقلـــدوا عـــاراً يعـــاب شـــنيعا
كفروا بعهـــدي واســـتباحوا ذمـــتي أضحوا لها بين الأنـــام خضـــوعا
كانوا ذرا قحطـــان أربـــاب العـــلا فقد أصبحوا بعد العلـــو وضـــيعا
والحكم حكـــم الله لـــيس بنـــازح لا بـــــارح منـــــا ولا ممنوعـــــا
متطامنين لمـــا جـــرى مـــن فعلـــهم لا يـــدفعون ولا يـــرون منوعـــا
إذ عـــاملوا في جـــارهم بـــدراهم بخـــس يـــراه النـــاظرون جميعـــا
وحمى الملـــيح مـــن أقـــام بأرضـــه قسراً فأصـــبح قولـــه مســـموعا
لـــولا يـــد قدمتـــها لجعلتـــهم عوضا وكنت لدى الكرام رفيعـــا
يا حـــي خـــولان الحمـــاة هكـــذا عقـــد الجـــوار لمـــن أراد ربوعـــا
في عقـــر داركـــم وظـــنّ بـــأنكم لم تقبلـــوا للمفســـدين صـــنيعا
يا سَعد يـــا ســـعد الـــتي لم يختشِ منها الخيانة قد خســـرت ســـريعا
وابتعتِ عزاً لا يعـــود ولـــو جـــرت ريـــح يعـــود دليلـــها ممنوعـــا
أنســـيتموا ميعـــادكم لكفـــايتي إن كان خدعاً قـــولكم توزيعـــا
لا يـــركبن إلى صـــديق بعـــدكم أحـــد ســـواي فودعـــوا توديعـــا
عهدي لـــديكم أو نكـــون بموقـــف يوم القيامـــة لا نطيـــق رجوعـــا

وقال أيضا:

تـــأوّب همّـــي والهمـــوم تـــؤوب وقـــلّ العـــزا والنائبـــات تنـــوب
وإن الذي أمسى ومـــن دون أرضـــه مســـيرة شـــهر كامـــل لغريـــب
تبدلتُ منها حـــين لا أبتغـــي بهـــا بديلاً ولم يحكـــم علـــيّ غريـــب

إذا المرء أمسى في بلاد يودها ... ذليلاً فلا أمسى لديه حبيب
أرى عُصبا من حي خولان أصبحت ... عليّ وهم منها وذاك تعيبُ
بغوا لي بديلاً بعد أن عدت بينهم ... وسيطاً وهل رأي بذاك يصيب
ولم يحفظوا عهدي ولا كون منزلي ... لديهم فهل عيش كذاك يطيب
شروني بلا شيء وباعوا فأرخصوا ... وكم بايع يرجو امرؤ بسخيب
فمن ذا الذي يهدي إليهم تحيَّتي ... وينظر فيما عندهم ويؤوب
فإن كان فيهم وافي العهد ثابت ... على ودّه فالنصر منه قريب
ولم نُخْلِه منا ولا من عصابة ... تعاضد من يدعو بها وتجيب
وإن يك صرماً ليس من بعده رجا ... ففي الهجر ما يبقى الأذى وينوب
إذا ختلفت خولان أبعدت منزلي ... ولم ينسني وافي الذمام وهوب
وكان له مني إخا ومودة ... وحسن ثناً في السامعين عجيب
تمنيتموا كوني لديكم وقومكم ... قصيد عناكم طامع ومصيب
وحازتكم همدان عنها وسهمها ... يكاد إذا انحط السهام تصيب
وما كان في سعد مقال لعائب ... إلى أن جرى ما لم يلسه أريب
بني العز مسعود وباسان رأبها ... وللمدلهم الفرد فيه نصيب
أولئك أشياخ تولى قديمهم ... فشادوا بناهم والعدو كئيب
فمن حين أمسى فيهم ألف هادم ... أضيع بنَى البانين وهو مهيب
فيا أيها القوم الذين همُ هُم ... بقية سعد لاينوا فنخيب
وشدوا على الأشرار منكم وشمروا ... فليس يفيد المكرمات هيوب
سلامة من في الأرض ما دمت داعيا ... ومنهم رضوني سامع ومجيب
وعند توليهم جميعا يصيبهم ... من الله ما لا يدفعون قريب

وقال أبو الغيث الطائي [١] عروضاً لقصيدة الإمام عليه السلام ، مدحاً له [٢]:

ما صَبوتي باللهو بعد مشيب / إلا لجاجاً بالهَوَى المعيوب
شيب الفتى داعي الوقار فمن يجب / داعي الوقار يفز بخير نصيب
إن الفتى ما لم يَزِعْه مشيبه / عن كل فاحشة لغير مصيب
تبدلت شيباً مكرهياً لونه / من بعد بُرد للشباب قشيب
ومن القوى ضعفاً يخون كلاله / ومن الشبيبة حادثات شجوب
ومن الأداني الأقربين بغربة / والنقص مقرونٌ بكل غريب
ليس الغريبُ وإن يخلد واثقاً / بالمزلف المدني ولا المحبوب
إن الإمام ابن الأئمة من ورى / أسلافه النجباء خيرُ عقيب
القاسم المنصور بالله الذي / ألقى إليه الأمر كل نسيب
ابن النبي وصنوه وابنيهما / آباء كل فتى أغرّ نجيب
أهل المفاخر والمآثر والعُلا / وذوي الطهارة والتُّقى والطيب
أرباب مجد أكرمون أعزَّةٌ / آساد أغيال غيوث جدوب
أعلام حَق يستدل بها إذا / عَرَت البرية مشكلات خطوب
ألفوا منار الحق يلمع فاقتدوا / في أمرهم بمناره المنصوب
ثقفوا سيوفهم خلوفهم على / سنن من التأديب والتهذيب
مثل النجوم يضيء طالعها إذا / سار المغرب جانحاً لمغيب
آباء صدق البنون كمثلهم / في الطبع والترشيح والتهذيب

---

(١) هو أبو الغيث بن جعفر الطائي ، ترجم له أبو الرجال في مطلع البدور ٢/٤.

(٢) أوردها أبو الرجال في مطلع البدور ٢/٤ ((نسخة غمضان)).

والقاسم بن علي والخلف الذي ... ورث الإمامة غير ما بكذوب
بسنانه وبمائه وحيائه ... ووفائه لمعاشر وضريب
وبحلمه وبعلمه وبقوله ... وبصوله في المارق المهيوب
وكماله ومقاله وجلاله ... وفعاله ونواله المطلوب
وذكاء قلب مستخف في حشا ... صدر لَدَى دهم الأمور رحيب
يدري بما تحوي القلوب وكيدة ... للمضمرين فلاة كيد أريب
حتى إذا ظن الغرير به التي ... يرجو تناوله بكف وثوب
شثن البراثن لا يعود إذا صدا ... إلا بظفر بالمداء خضيب
لا يُدرك الغفلات منه بخاتل ... لو دَبَّ في نجواه أي دبيب
حتى يحصل ما لديه برفق ذي ... أيدي شديدة محكم التأديب
سمح الخلائق في شراسة ماجد ... صعب كثير البشر غير قطوب
يدنيك بشراً ثم يقصي مانعاً ... عن عزم ألوى معظم مهيوب
ويردد الخصم الألد مطامناً ... طرف الحسير بحيرة المغلوب
وترى الثعالب وهو غير مغالب ... حتى يبيّن سورة التعقيب
بوقائع تجد المحذر مثلها ... بين الفرائص رعدة المرعوب
وكتائب مهما صمدن (١) قبيلةً ... تركت صدورهم بغير قلوب
وإذا نشرن وقيعةً في مشرق ... وجلت وقائعه ذوي التغريب
وفوارس مُستلئمين ضراغمٌ ... ما بين مرد كالجمال وشيب
همدان باديها وحاضرها الأولى ... يتبادرون لنَصر كل مهيب
من آل أحمد في القديم وآنفاً ... لا يخلطون زماعهم (١) بلغوب

(١) في هامش مخطوط السيرة: قصدن.

من فوق كـل طمـرّة ومقلـص متواشـكات العـدْو والتقريـب
بأكفهم سمر تقـدّ عُـرى الكلـى منسـهن كـل مـذلق مَـزرُوب
وقبيلـة آل الرسـول المصـطفى خير الأنـام بـرغم ذي التأنيـب
أمـراؤه في حفظـه وحُماتـه في كل يوم في الحـروب عصيـب
يَسْطون بالبيض الحداد كما سطت أسد الشـرى بمخالـب وبنـوب
لا يسلبون سوى النفـوس تنزهـاً عَـوَان يرمـوا أمـره المسـلوب
لا يأنفون من ابتـذال نفوسـهم معه إذا ما كاع [٢] كـل هيـوب
لا يَعلق الطبع الذميم بهـم كمـا علقت مواسمـه بأهـل الحـوب
هشّـون للأمـر الجميـل وفعلـه عفّون عن إتيـان كـل معيـب
ها هاك قـول مقصـر في مدحـه لك وهو فيما قال غـير كـذوب
يصفي مودتكم وإن عيـب العـدا لم يضح معتـذراً عـن المعيـوب
يرجو بـذلك في الحيـاة زلافـةً ولدى المعاد ثواب خـير مثيـب

وقال الحسين بن أحمد (مؤلف السيرة)في غزاة نجران:

سـرنا إلى نجـران لجـب شـزباً مثل السعالي في المسـاجل تمـرَعُ
فتى [٣] عليها الأيزنـون مظـاهرا خصاً لهـا منـها المكـاره تـدفع
يحملن كل فـتى شـجاع باسـل ماضي العزيمـة ضَـيغم لا يجـزع
منكّف حلـق الحديـد مظـاهراً عنـد اللقـاء مصـمم لا يرجـع
من حي همـدان الـذي بمثلـهم يرضى الإمام لدى الـنزال ويقنـع

---

(١) الزماع: المضاء في الأمر والعزم.

(٢) كاع: جبن.

(٣) كذا في السيرة.

لما هَبَطنا سهل نجران الذي — كانت جَوانبه حماء يمنع
لم يمتنع منا سوى من قال قد — بلغت صنيعتكم فمُنُّوا أو دعوا
فعفا الإمام وقال حبس صنانة — لا بد من حبس أطيعوا واسمعوا
فتبادروا طلب السلامة والبقا — خلق الحديد وكل خل ودع
والناكث الغدار ولّى هارباً — والعين من جزع المنية تدمع
جئنا إلى أرض اللعين وقومه — والكل في هرب مجد مسرع
قاعاً تركنا دورهم وحصونهم — بعد الأنيس فهم خلاء بلقع
ونخيلهم أمست ذواد [1] بناتها — جُمَّارها من كل شق يترع
دارت رحانا بعد ذاك على بني — آل الحماس وقد نووا أن يمنعوا
درنا بسوجان فلم تك طرفة — حتى الدُّخان بجانبيه يصدع
وتلاحق القوم الخفاف هزيمهم — في شاهق رأس البقاع ممنع
غنموا ظنينهم وظلت بيضهم — من خلفهم مثل الإماء تروّع
تسل الرحام لها فتلقى كلما — سالت فتحفظ بالذمام وتمنع
هذا جزاؤهم ببغض المرتضى — وهو المفضل والبطينُ الأنزع
وبنقضهم عهد الإمام ورفضهم — حق الوصي وما سواه ضيَّع
همدان للمنصور مَردات العدى — كلٌّ لهم في كل أفق يخضع
فليعلم العبدان أن كتائباً — منهم ستصبح قاع بيش تنبع
وهما غنيمتهم وما قد جَمَّعا — ولغيره كم من عديد يجمع
وهو الخليفة في البلاد لربنا — وهو السفينة للعباد المفزع
وهو المهذب من سلالة هاشم — وهو النجاة لمن يرى أو يسمع

---

(١) كذا في السيرة.

فــــالله أيّـــد قاسمـــاً لوقـــائع ... يصلي مواسم كتبـــها مـــن يخنـــع
حَسبي بـــه مـــولى أديـــن بدينـــه ... ومشـــفع يـــوم القيامـــة يشـــفع

وقال عمر بن بابل القسيري:

هل الدار بيني [١] نطفةً من برودها ... وهل عندها رجع لمـــن يَســـتفيدها
وإلا فما الآثار مـــن كـــل دمنـــة ... مزارته من بعـــد أمـــس يعودهـــا
شكا الصد والهجران قلب تأججت ... به نار شـــوق لا ينـــوخ وقودهـــا
ومما نفى عَني الكرى شيبُ هامـــة ... يجـــدد منـــها بـــالنفير جريـــدها
وكم ليلة قد بـــتّ قـــاطع طولهـــا ... بجارية جيد الخدانـــة [٢] جيـــدها
حلال تعاطيني الرضـــاب عفيفـــة ... مفلجة الأنياب رخـــصٌ نهودهـــا
لها عـــين أدمـــاء ومقلـــة جـــؤذر ... وجَذل زها لون العناقيد ســـودها
إذا أسفرت أجلتك أبيض واضـــحاً ... وإن بسمت حاك البروق برودهـــا
ويوم تجشمت الدياميم [٣] هاديـــاً ... صحابي بيدا تحرق العقـــل بيـــدها
مُجَعْلَندة [٤] دَعدادة السير كلمـــا ... تقعقع من طول الوجيب قيودهـــا
مخدمة مـــن كـــل شـــق بعالهـــا ... قد أزرى بهـــا أبغالهـــا ووخيـــدها
ويا كربة للطعـــم عيريـــة الصّـــوا ... بحون [٥] قريبات العيـــون بعيـــدها
وردت وأصحابي من الأين بينـــهم ... على قُلُص صارت ظهوراً كبودهـــا

---

(١) كذا في السيرة.

(٢) كذا في السيرة.

(٣) جمع ديمومة ، الفلاعة الواسعة والمفازة لا ماء فيها.

(٤) الصلب الشديد من الجمال.

(٥) كذا في السيرة.

وغراء في آل الرسول نسختها ... تعظم عن قدر الفريد فريدها
إذا بحثت عن مجد آل محمد ... تلألأ بأفواه الرّواة نشيدها
إذا قالها ذو منطق غير أفدم ... فهيهات أن ينحو بها أو يعيدها
وفي القاسم المنصور منها نظارها ... إذا أنشد الأشعار ضاع قصيدها
إمام هدى أضحت به الأرض سرعة ... وميز منها رَذلها وسعيدها
وسارت إليه العرب والعجم طاعة ... لنفس امرئ لا يرأم البخل جودها
ترى فيه أعلام الإمامة شرعاً ... أحاط به أعلامها وحُدودها
لعمري لأنت الفاضل الظاهر الذي ... إذا قيدت الدنيا فأنت وحيدها
وأنت أمير المؤمنين الذي له ... أمانة فرض للإله يفيدها
بكل بلاد منك في الله صولة ... تقرُّ بها عيني ويقمع حسودها
وفي كل يوم وقعة طالبيَّة ... له العرس فيها سيف فهد بدودها
أتيت الهدى فاستوضحت سبل الهدى ... وطابت نفوس الخلق ممن يكيدها
ودوَّخت بالخيل العراب مخارماً ... أتت كل مال الله فيه سعودها
أبت أن ترى حق الوصي وآله ... فعالجها في حينها من يبيدها
فإن آب منهم آئب آب راغماً ... وإلا فلا أرقى إلينا شديدها
فقد ملئت منك البلاد عدالة ... وضاق بشكر العالمين خلودها
وما شاهدوا جوراً ولا أحفلوا فلا ... ولكن لكل عادة يستعيدها
إذا نكصت عَمًّا يريد عصابةٌ ... فقل لها مسَّ التراب خدودها
ستحمد ذبَّ الله دونك وحده ... وفرسان هيج ليس يحصى عديدها
مساعير أما القلب منهم فهاشم ... أولو سعرها إن قيل أين أسودُها
وعن يمن والأيسرين أكارماً ... أطابت يمنيها إلى المجد هودها

شكت منك أبناء الربيعة إذ طغت ... ضياً لا لوينا [(١)] وحلماً بودها
وكانوا يظنون الحروب فكاهةً ... فطابت وقد صمّ الصميم لحودها
ونجران قومت الصغارة منهم ... بعدل وإن زادت فأنت تزيدها
فجللتهم عفواً وألبستهم حجًى ... وما ضر إلا نفسه مَن يكيدها
فلا تنكروا حصن الحديد فإنما ... تجول على سوق الكرام قيودها
فلم يبق إلا المسعران ووقعةٌ ... بمصر بن [(٢)] الأوب وليدها
بقومك هاهم ناصروك لوقعة ... يكون بها تاج العلوم كديدها
ذوي الطعن في اللّبات والقوم لعّب ... ومن دارها من كل حيّ نجودها
فوارس من قيس كأن وجوهها ... قناديل لولا ما أضاءت حديدها
أشاوس لا ينشون إلا مع القنا ... كما عمرت آباؤها وجدودها
أولئك قوم بَعض شأنك شأنهم ... وليس يطأها منك إلا بريدها
ألا رُب خرق إن دعوت مشمر ... وجرد قد ملّ الحديد كنودها
ورجراجة يأتيك للشمس بيتها ... دراهم فوق البيض لولا بنودها
منوهة فيها فوارس عامرٌ ... وكشاف رهمان [(٣)] الحجار وصيدها
إذا ما دعاهم هاتف متضمرٌ ... وزايلت البيض الرقاب عمودها
فكم رأس ذي جبر وجثة فاجر ... هنالك يستدعي السباع صديدها
ألا لا أبالي بعد كف لثمتها ... بسوجان[(٤)] والأملاك حولي شهودها

---

(١) كذا في السيرة.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) الرهمان: تمايل الإبل في سيرها.

(٤) حصن الحماس.

وقبلتها والله طهّـــرني بهـــا هنـــاك وأمـــلاك الســـماء جنودهـــا

قال مؤلف السيرة: وكان الزيدي في أول ولايته قد أولى الناس من العدل بأمر الإمام عليه السلام والنصفة للناس والقيام بهم في صلاح الرعية بما سر الإمام والأنام، فقال سلامة بن الحداد:

قَسَّـــم القاسمـــان فينـــا الأمانـــا فَبلغنـــا مـــن الصـــلاح رضـــانا
وأزالا دهـــراً أُديـــل علينـــا وعليـــه برأفـــة دَوْلانـــا
أَمّنـــا ســـربَنَا وصـــانا حمانـــا وأخافا من كـــان قـــد أشـــجانا
وأعَـــادا مـــذاهب العـــدل فينـــا وأزالا الطغـــاة والطُّغيانـــا
مَـــنَّ ذو العـــرش بالإمـــام علينـــا إن ذا العـــرش لم يـــزل مَنَّانـــا
حســـنيّ أتـــى فأحْسَـــن فينـــا والحُســـينيّ زادنـــا إحســـانا
نعمٌ بعضُـــها علـــى إثـــر بعـــض قد سررنا بهـــا وســـاءت عـــدانا
نحمـــد الله ذا الجـــلال فبالحمـــد يُرجّـــى جميـــل مـــا أولانـــا
زمـــنٌ صـــالح وأمـــنٌ وخفـــضٌ لم ير النـــاس مثـــل هـــذا زمانـــا
لا ولا عـــاينوا وليّـــي أمـــور كـــوليّي أمورنـــا مُنـــذُ كانـــا
هل رأيـــتم إمـــام حـــقّ كهـــذا وكهـــذا في دهـــره سُـــلطانا
هـــاشميَّين أبطحـــيين شَـــادَا مـــا ابـــتنى أوَّلُوهُمـــا وأبَانـــا
ذاك يقفو الـــنبي علمـــاً وحلمـــاً وأنـــاةً ورأفـــةً وبيانـــا
ومضياً إذا رحـــى الحـــرب دارت واعتزال الهـــوى إذا الحـــقُ بانـــا
قـــد عَرَفنـــا جلالـــة العـــزّ فيـــه ورأينـــا بـــذلك البرهانـــا
غير أن الإله ما اخـــتصّ بـــالوحي مـــن النـــاس بعـــدَهُ إنســـانا
وحكى ذا في العون منـــه عليـــاً ذا المعـــالي فمـــا ونى إذ أعانـــا
قام مـــن دونـــه وحـــامى عليـــه ومـــن الأمـــر وطـــد الأركانـــا

هو من دونه حتوف الأعادي وأمانٌ لمن يروم الأمانا
وكذا كان أحمد البرّ برّاً وعليٌّ يُنازل الأقرانا
أمَّنَ المسلمين شرقاً وغرباً وشآماً بيمنه ويمانا
أجمع الرأي ثم سار لنجران فغشى حيَادَهُ نجرانا
سار والنصر يقدم الرّاية والتوفيق يقفو مسيره حيث كانا
قاصداً للعداة منهم بمحو يتغشّى السهول والأحزانا
تطرد الوحش كثرة فنراها وهي بيتان من مكان مكانا
تلمع البيض والمخارص فيه والمذاكي تخالها عقبانا
فيلقٌ خلف فيلق ورغانٌ من أُسود يتلو هناك رغانا
لم تُجرْهم معاقل العزّ منهم فاستخاروا الصغار والإذعانا
منهم من أتاه قسراً ومنهم من تولّى واستقبل الغيطانا
وتولى دخامسٌ هرباً في الأرض يفرّوا الآكام والعقبانا
ليس يلوي على حريم ومال وهو يبغي في كل حي أمانا
خيلوا من جهالة أن يفوتوا ماجداً نال مجده كيف كانا
ولشتان بين من مُنح النصر وقوم تَعَرَّفوا الخذلانا
أنتم معشر أبى الله إلا أن تكونوا لأمره أعوانا
وبكم أكمل الإله لنا الدين وإن كان بينكم دنيانا
أولوكم لأولينا هداةٌ وبكم قد نراه أيضاً هدانا
فبقيتم على الزمان فإنا ما بقيتم لنا نُذل الزمانا

وقال الشريف الحسين بن أبي الحسن بن مسلم سلطان المدينة المنورة يمدحه ويشكو ما جرى له:

رحل الأحبة غدوةً وتحملوا وجرى ببينهم غراب يحجل

عود الصباح أبان وشك ... مذل لعاتب ما يحن مكبل

رَحلوا فأصبحت الديار بلاقعاً ... زُمرا تحث بهم حداة تزجل

ضُعن عدون من الغريض ... للفرش أو صفر فعدنة قفّل

جَعَلوا عقابا والسقاية دونهم ... والعَرضتين وما حَواه الصلصل

حتى إذا قطعوا الضبوعة ... ضربوا القباب بها ضحى

فظللت في عرصاتهم متفجعا ... والعين من أسف عليهم تهمل

أستخبر الدمن التي قد أصبحت ... قفرا تحن بها الظبا والشمأل

بالفيض من ملث سقت ... وطفا بحاديها السِّماك الأعزل

غر أعاديه يكفكفها الصبا ... طوراً وينجدها النحوب

فكأن رجع البرق في حجراتها ... لمع الصفائح للضِّراب تسلل

فشربت من غصص الفراق ... فيها عصارة ما يمج الحنظل

فدع اللجاجة في الهوى لذوي ... وارحل قلائص سيرها يتنخل

عيدية أحد المحال تقاذفت ... بذوي هموم والهموم ترحل

فإلى أمير المؤمنين رحلتها ... تطوي الفلاة بنا سواهم نحل

مثل الأهلة لاحهن ولاحنا ... بعد المفاوز سبسب أو مبهل

سدم النطاق إذا وردنا جوه ... عاف يظل به الشّذا من يغسل

حفت مفاوزه بكل تنوفة ... غبراء نازحة المفاوز مجهل

تقتادهن إليه حرف جرّه ... وجنا تزول في الهجير وتذمل

حمراء مائرة اليدين كأنها ... من وحش دورة أخدري

تدعا مذانب من عنيزة جادها ... همع أحش من السعود مجلجل

فكسا الأجارع والربا متعكسا ... خطلا تظل بها المكاري تزمل

وكأن وشي الأرجوان تروسه ... فلنوره شرح تشب وتذبل

فلدبه أذن يظل يجوزه ... يَعلو الحداور قائما يتنتهل

وتراه يتبع المراع بسوقه ... وعفاؤه عن ميتة يتنسَّل
فرد يشد بطرده عن غابه ... دنس الفحولة آيداً يتذبّل
حتى إذا يبس الربيع ونضبت ... عنه المصانع واشمأز الهزجل
وأنبت دعموص الغدير ... نار الهواجر والعجاج النفحل
وكسا مواقعَ دفتيه من السّقى ... نبل تراش من الرياح وتنصل
وتذكر القرب البطين وقلصت ... منه الذلاذل فهو منه أوجل
فحدا حلائله وهيَّج ورده ... ماء بأسفل ذي البجيل يشلشل
فغدا فأوردها ونير ضلوعه ... خوف يكاد فريصه يتزيل
حتى إذا شرعت جحافلها له ... وعلى الشريعة أطلس متزمل
متشيرق الإضمار مخف ... درب اليدين أبو عيال مطفل
فرمى فأنفذها شقاوة جده ... فبدا يعضّ على اليدين ويُعول
فانصعن ينشر بينهن ملاءة ... غَبراء من رهج العجاج ترَعبل
وبدا يشق نداه أوساط الربى ... والنقع يَحمل والحصى
وكأنه والجهل شيمة رايه ... دلو تفصَّت عقدها وتحلل
فأتت أمير المؤمنين وأونه ... عمق الفجاج يكل فيه العَيهَل
بملوح خلف الغمامة لم يزل ... يدعو الإله ولم يزل يتبتل
ليريه مولانا الإمام ومن به ... يشفى السقيم وكل خير يترل
علم الهدى وعمادُ دين محمد ... ابنُ النبي من الحوادث مغفل
مسحت أسرّة وجهه ميمونة ... فأتى وهذبه العروق مصلصل
كالبدر بان لتمّه في سعده ... طلق اليمين جبينه يتهلل
نور النبوة قد علاه ولم يزل ... في مهده بكرامة يتنقل
فعليه من شرف الإمامة حلةً ... بيضاء سابغاً المليك المُفضل
فعلى العدو إذا رءاها هبوةً ... وترى الولي لها منيرٌ يجدل

فبعـــزه عـــزت معـــدٌ كلـــها ... وبأمره نَحـــر الحجـــيج وهَلّلـــوا
فأتيت معتمـــداً عليـــه لنُصـــرة ... أرجو أعز بهـــا وأرجـــو أجـــذُل
فضلا بغير يـــد إليـــه تقـــدمت ... مني سوى رحـــم بهـــا أتوســـل
فلقد تركت ببطن يثرب صـــبية ... مثل الفراخ علـــى طريـــق بهـــل
أرجو النجاح من الإمـــام لعلّـــني ... ببقائـــه لهـــم بعـــبرا نوصـــل

ورجع الإمام القاسم بن علي بحصن هرجاب [1] في أسفل وادي بيشة ، وقد لقيه بنوه: جعفر ، وعلي ، وسليمان ، بنو القاسم بن علي ، وسلاطين خثعم وعَرِبها ، وكان الإمام عليه السلام ثقيلا من شكوى اشتكاها قبلهم ، فلم يبرح حتى قدموا إليه الحصن وسَلّموا عليه ، وقد جعل من خثعم عسكرا عظيما عند قدوم المهاجرين ، فاستأذنه الحسين بن أحمد بن يعقوب يسمعه شعرا ، فسلم به عليه ، يقول من بعد أن أذن له ، وقال: أنشد إن كان نشيدك محروسا من ذم العرب فقال:

دعانا القاسم المنصـــور يبغـــي ... عنايتنـــا ويمنَعُنـــا الأثامـــا
فلبينـــا لدعوتـــه وقمنـــا ... عجـــالا في إجابتـــه كرامـــا
نُبـــادر نفعـــه نبغـــي رضـــاه ... نجيـــب الســـيد العلـــم الإمامـــا
أمـــير المـــؤمنين له مقـــام ... مـــن الآبـــاء حُبِّـــب ذا مقامـــا
أجبنـــاه بكـــل فـــتى عبـــوس ... أخا صبر إذا مـــا المـــوت حامـــا
بكل طَمـــرَّة شـــقرا وكُمـــت ... ليـــوم الحـــرب قُـــدناها صـــياما
جنبنـــاهن نقـــرهن شـــعثا ... إلى حـــوض بســـكتنا نزامـــا
مـــذكرة مصـــرمة حملنـــا ... عليهـــا مـــا يجنبنـــا كلامـــا

---

(١) هرجاب (صفة جزية العرب: ٣٣٤).

من المادي [١] كل حصين سرد ... مليح الصنع سردا وانتظاما
وكل مثقف لدن وبيض ... صوارم تجتلي قِمَماً وهاما
وزور [٢] عكف منها ذراها ... مفضضة تخيلها العظاما
على أكبادها طرق المنايا ... إذا ألقت قوانصها السهاما
جعلنا نصرهُ حقا علينا ... بأمر الله ما دمنا وداما
خرجنا من عشائرنا إليه ... نجُوب البعد ودّاً واهتماما
وخلينا الديار وكل خل ... رفضنا قربَه عاما فعاما
نَعز إمامنا ونذبُّ عنه ... ونَمنَعه جهارا أن يُضاما
ونُسعده لطاعتنا فيأمر ... ويُقدمُ حيث شاء وحيث راما
فيا نور الخلائق هاك منا ... مودتنا وطاعتنا تماما
وقم في الخلق فابعثهم بعدل ... وجَلِّ الجهلَ عنهم والظلاما
وجدِّد دين جدك بعد درس ... وأورد من ينازعك الحماما
فهَمدَانيك قومي قد أطاعوا ... وهم يَدُكَ التي تروي الحساما
وخولان الحماة لهم ظهيرٌ ... لدي الهيجا يُجلُّون الظلاما
بهم فأَذق عداتك ما استحقوا ... ووطِّئ ثغرهم يمنا وشاما
وكل الأرض مغربها وشرقا ... بنصر الله والبيت الحراما
وبُعدا [٣] للمكذب أي بُعد ... سيلقاه عذابا وانتقاما
وسحقا للمخالف ما تولى ... وكان جزاء فعلهما غراما

---

(١) المادي: الدرع اللينة السهلة.

(٢) زور: الفرس اعوج زوره ، أي: صدره.

(٣) في السيرة: وبعد. والصواب ما أثبت.

وكنـــت فـــداء ســـيدنا أقيـــه ... مـــن الأســـواء جمعـــا والنـــدامى

فقال الإمام عليه السلام عند ذلك: أحسنت لا رضْ الله فاك أنت كما قلت أنت وقومك ، ولكني أحب أن لا يتكلم شاعر إلا بما يجمع فيه العشائر فكلهم مقبل عليّ.

وخف الإمام من علة ألمت به وهو في صنعاء ، فهنأه سلامة بن محمد الحداد قائلا:

صحّ الإمام فأشـــرق الإســـلام ... وأنارت الأحكـــام والأعـــلام
وارتد عنا كيـــد كـــل معانـــد ... ورست بنا أمنًـــا بـــه الأقـــدام
واختصّـــنا رب العبـــاد بنعمـــة ... يبقى به مـــن دونهـــا الإنعـــام
أيس الطغاة به عن الأمر الـــذي ... كانت تمـــن لهـــم بـــه الآثـــام
فهنـــت ســـلامته بنيـــه ... ... ما أمسوا وهني بـــرؤه الإســـلام
وهنت جميع المســـلمين حياتـــه ... ولحاســـديه الـــذل والإرغـــام
ملك تـــدين له الملـــوك مهابـــة ... وتذل من خـــوف له الأقـــوام
فتراهم حـــافين حـــول رواقـــه ... منـــهم قعـــود حولـــه وقيـــام
لا ينطقون مهابـــة لمكانـــه (١) ... وإذا يقول فمـــا يـــرد كـــلام
ملأ القلـــوب جلالـــة ومهابـــة ... وهو الجـــواد الماجـــد البســـام
وأما حنـــا قـــد تـــبين فضـــله ... مـــا مثلـــه في العـــالمين إمـــام
ما أن يقاس بفضله فضـــل ولا ... بمقامـــه أبـــداً يقـــاس مقـــام
اعتـــلّ فاعتلّـــت قلـــوب ذوي ... شفقا بـــه واحتلـــها الأســـقام
وأقاله رب العبـــاد فأصـــبحت ... قد صحت الأديان والأجســـام

---

(١) في السيرة:ملكانه .ولعل الصواب ما أثبت.

والله أسكن فضله فبشكره يرجا لأنعمه الجسام دوام
وأتم دولته الإله لخلقه وأدامها ما دامت الأيام
ووقاه أسباب المتالف دهره وعليه مني في المعاد سلام

مؤلفاته

- أجوبة المسائل.
- أجوبة مسائل الطبريين.
- الأدلة من القرآن على توحيد الله تعالى.
- الاستفهام.
- التثبيت والدلالة.
- التجريد.
- التفريع.
- التنبيه والدلائل (وهو الذي بين يديك).
- التوحيد ونفي التحديد.
- الرد على الرافضة رد فيه على من طعن عليه.
- كتاب حدوث العالم.
- ذم الأهواء. (وهو بين يديك).
- وصاياه ورسائله ودعوته. (وهو بين يديك).
- الدعامة في تثبيت الإمامة.

وفاته:

قال مؤلف سيرته: ولما لزم العزلة والانقباض عن الناس ، لقلة الموافق وكثرة المنافق ، تكلم عليه روافضة من الشيعة ، وأبدوا الطعن في السيرة ، فلما بلغه ذلك ، كتب كتابا رد عليهم ، دفع به باطلهم ، وقمع به محالهم ، وسماه

كتاب « الرد على الرافضة » ، فاستغنينا بشهرته وكثرة وجوده مع الأولياء عن رسمه في كتابنا هذا ، وكان آخر كتاب وضعه من كتب العلوم.

قال الحسين بن أحمد أيضا: واعتلّ الإمام صلوات الله عليه ، واشتدت به علته في سنة ثلاث وتسعين ، وكان من حين إلى حين أثقله منها ، ونقل منازل أهله من مذاب إلى عيان ، وجعل بناته بعيان عند نقله من علته ، وكان قد كتب كتاب وصية قبل وفاته إلى أولاده ، ورسم فيها كل ما يحتاجون إليه من المعرفة لديونه ، وما لا يَستَغنون عنه من وصيته ، وروي عنه صلى الله عليه عند ثقله من علته ، وذلك عند وصول بنات له كن عند أحمد بن الملاح كان قد أمر يراهنَّ ، فقال لبنيه: يا بني إني قد أجدني ثقلت من هذا المرض ، ولا أظن عند وصول هذه البنات إلا أنها قد حضرت الوفاة ، لأنه يروون في الخبر أنه ما حضرت الوفاة أحدا من النبيين والوصيين والحجج المستخلفين إلا حضره أكفانه ، وساق الله إليه لما يريد الله لغيره من سيرته ، وما يستحق لديه من تكريمه ، فحرج لذلك أولاده وحضور من أهل بيته ، وقالوا: يا مولانا يبقيك الله لنا ، ويجعل عمرك طويلا بعدنا ، فقال لهم: ما قضاه [١] الله ففيه الخيرة والتسليم منا لما حكم ، وروي عنه صلى الله عليه أنه ما بدا منه قرب وفاته جزع من شدة علته ، ولا اختلال من عقله ولا تغيرٌ من طبعه وحالته ، وما زال ثابت العقل ، حسن القول والفصل ، حتى فاضت نفسه بغير نزاع

(١) في السيرة: ما قضاء. ولعل الصواب ما أثبت.

شديد ، ولا كد [1] جهيد ، وكان ذلك صباح النهار يوم الأحد لتسع خلون من شهر رمضان ، سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة سنة [٩/ رمضان (٣٩٣هـ)].

وقد أجمل كاتب السيرة خصال هذا الإمام العظيمة في بكائية له بعد وفاته وغياب شخصه الكريم بقوله: « ففارق الحياة حميد الخلائق ، حسن الطرائق ، شريف المذاهب ، جزيل المواهب ، واسع الحلم ، بازغ العلم ، كاملا في الصفات ، جامعا للخيرات ، رؤوفا بالمؤمنين ، عفوا للمذنبين ، سابا للظالمين ، مجتهدا في رضاء رب العالمين ، زاجرا عن الغي والفساد ، داعيا إلى الرشاد ، صابرا عن البلوى ، شاكرا للنعمى ، علماً للقاصدين ، هاديا للمهتدين ، دامغاً بالحجج للمخالفين ، وباذلاً نفسه للمعتفين ، يهرب من الدنيا وآثامها ، ولا يرغب في شيء من حطامها ، توفي صلوات الله عليه فلم يورث ورثته دينارا ولا درهما ، ولا خلّف إلا سلاحه ودوابه وثيابه ، وتخلف دين عليه أكثر منها أضعافا ، فصلوات الله عليه ورحمة الله وغفرانه ، ولقد أبلغ في هدايتنا ، ونصحنا وإكرامنا ، وكنا في حقوقه مقصرين ، وفيما يجب علينا من فروضه مفرطين ، فنسال الله أن يتجاوز عنا ما فرطنا فيه من حقه ، ويهب لنا ما ضيعنا من لوازمه وفرضه ، فمولانا يعلم ما في قلوبنا من محبته ، وما وُفّقنا له من مودته » [2].

---

(١) في السيرة: كذب. والصواب ما أثبت.

(٢) السيرة /٢٨٧ – ٢٨٨.

الكتـــاب

حصلت على نسخة يتيمة ، خطها واضح ، فُرغ من كتابتها عشى يوم الإثنين الثاني عشر من شهر رمضان الكريم من سنة اثنتين وثلاثين وألف (١٠٣٢هـ) بخط أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي.

نأمل الحصول على نسخة أخرى في طبعة قادمة.

ورسائله وكتبه ووصاياه جمعتها من سيرته ، وهي أيضا وحيدة ، لم أجد نسخة أخرى رغم بحثي وتفتيشي.

هناك كتاب ينسب إليه، هو كتاب:« حدوث العالم »، وقد اطلعت عليه وإذا به مكتوب عليه: « كتاب منهاج الطالبين في آداب العلماء والمتعلمين » تأليف الإمام الحسين أبي القاسم. وفوقه كُتب:« كتاب حدوث العام » كذا ، تأليف الإمام القاسم بن علي العياني عليه السلام.

وكتب في الهامش: قال في الأم المنسوخ منها هذا الكتاب أظنه للقاسم العياني فينظر فيه. والله أعلم. وأظنه والله أعلم الكتاب المسمى: بحدوث العالم.

ثم تأملته وإذا به استدلال بكلام الإمام الهادي وولده المرتضى من أوله إلى آخره.

وهذه ليست طريقة الإمام. فلذلك أجَّلْته حتى يتبين لي الأمر.

صور المخطوطات

الصحفة الأولى من التنبيه والدلائل

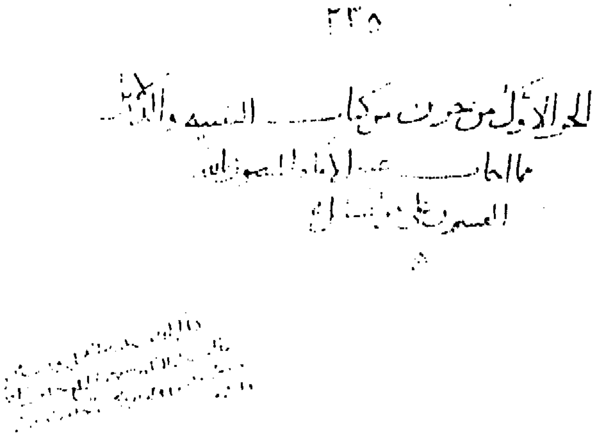
الجزء الأول من مجموع من كتاب التنبيه والدلائل
مما أجاب عنه الإمام المنصور بالله

الصفحة الثانية من التنبيه والدلائل

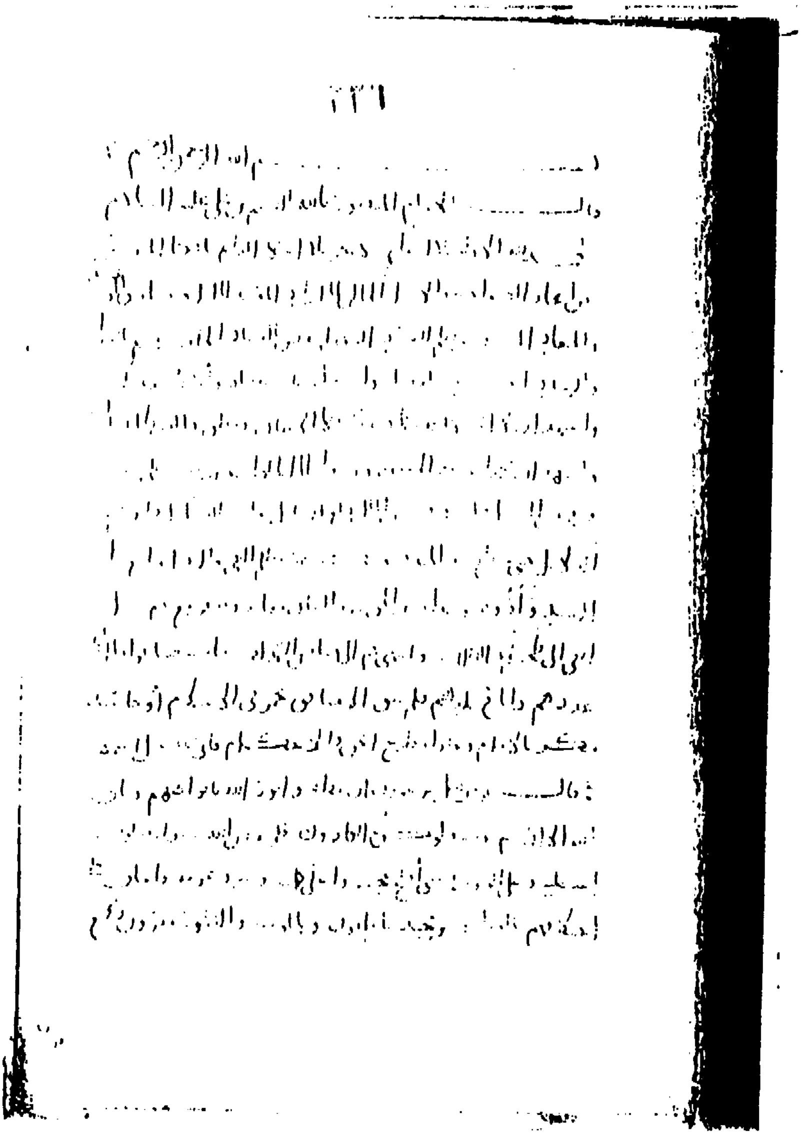

الصفحة الأخيرة من التنبيه والدلائل

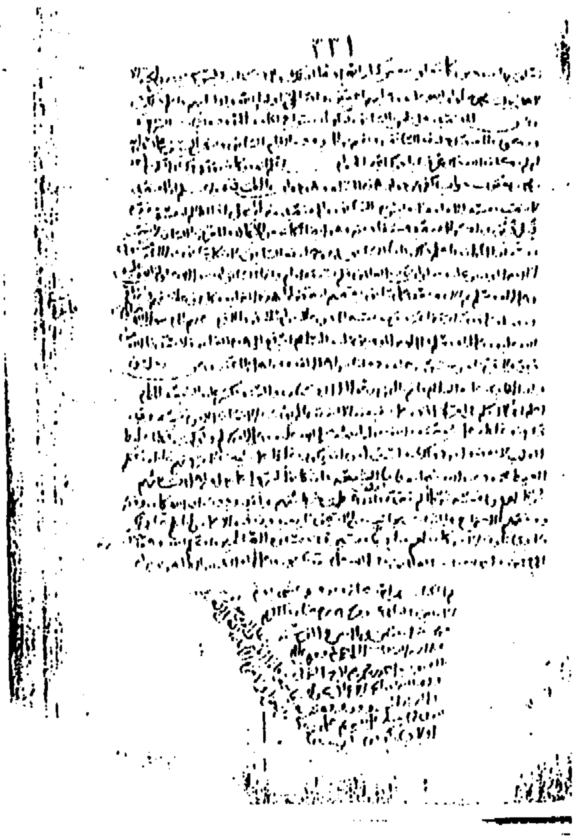

سائلا الله أن يتقبل منا إنه سميع مجيب ، والحمد لله رب العالمين.

عبد الكريم أحمد جدبان

اليمن – صعدة ١٢ / ربيع الآخر / ١٤٣٢ هـ

الموافق ٢٢ / ٦ / ٢٠٠٢م

كتاب

التنبيه والدلائل

الجزء الأول

كتاب التنبيه والدلائل

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام المنصور بالله القاسم بن علي عليه السلام: الحمد لله الأول بلا ابتداء ، الآخر بلا انتهاء ، الدائم بلا فناء ، المتقدس عن اتخاذ الصواحب والأبناء ، الخالق لما أراد ، المعيد لما أباد ، صادق الوعيد والميعاد ، المتتره عن ظلم العباد ، الذي لم يقض بالفساد ، الحاكم بالعدل والرشاد ، أحمده لفضله ، واستدل عليه بفعله ، وأصفه بعدله ، وأشهد أن لاالله إلا الله شهادة سبقها الإيمان ، ونطق بخالصها اللسان ، وأشهد أن محمدا عبده الأمين ، ورسوله إلى الخلق أجمعين ، بعثه على حين فترة من الرسل ، واختلاف من الملل ، فبلغ الرسائل ،وأنذر القبائل ، وأوضح الدلائل ، حتى سطع نور الهدى ، وتكشفت ظلم الغي والردى ، واتبع سبيل الرشد وآدّوه ، وعدل عن الحق بعد البيان معاندوه ، فرجع بهم سبيل الغي إلى طخياء الظلمات ، وانتهى بهم إلى حياض التهلكات ، فساقوا ما أفنى عددهم ، وأباح بلدهم ، فلم يبق إلا منافق تخمر في الإسلام ، أو حاسد مكر بالإمام ، وحاول طرح الحق والأحكام ، فأبى الله جل اسمه كما قال عز من قائل: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة:٣٢]. فلم يقبض الله رسوله صلوات الله عليه وعلىالله وسلم حتى أفلج حجته ، وأعلى

كلمته ، ونشر دعوته ، فالخلق على اختلافهم بالعدل والتوحيد نـــاطقون ، وبالموت والنشور مقرون ، وبجميع الفواحش عن الله نافون ، وبرسله مؤمنون ، وبالكتاب والسنة متمسكون ، ولكل معبود غير الله تاركون ، لم يظهـــروا سوى ذلك مذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم تسليما ، إلا أن خلف المنافقين ، وذرية الحاسدين ، قد لبسوا على العوام ، فبايعوهم وألهموا الطغام بغض ذرية الرسول صلوات الله وعلىالله وسلم فشنئوهم ، ونسوا ما ندبهم الله إليه فيهم ، إذ يقول لنبيه صلوات الله عليه وعلىالله وسلم: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى:٢٣]. بل لقد سمعـــوه ووعـــوه ، ولكنهم اتبعـــوا ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾ [المائدة:٧٧] ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وبـــه نستعين على ما يمكرون ، وحسبنا الله وعليه توكلنـــا ، وهـــو رب العـــرش العظيم.

وبعد: يا معشر الإخوان ، ومن ينتحل ولاية آل محمد عليـــه وعلـــيهم السلام ، فأنتم أشياع المحقين ، ونحن خلف الأئمة المهتدين ، عليهم صـــلوات رب العالمين ، فما إلى الحق غيرنا داع ، ولا لدعوة الرشد سواكم واع ، وقد شاهدت من اختلافكم ، ما أيسني من اتفاقكم ، ولقلّ جدا قوم مخـــتلفين ، والله يقول عـــز مـــن قائـــل: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال:٤٦].

واعلموا أن مع الاختلاف قلة الإنصاف ، ومع قلة الإنصاف الدخول في الإسراف ، والله لا يحب المسرفين ، وقد رأيتكم مختلفين منذ سنين تلقوني فيها في ثلاث مسائل ، وما من سنة إلا وأجيبكم فيهن بجواب شاف فيقنع به بعضكم ، ويرفضه بعض بعضكم ، ثم جرت لكم بمكة مسألة رابعة في الحج بمنازل القمر ، فأجبت أيضا في ذلك بجواب شاف ، فيه الكفاية لمن اكتفى ، فقبل الجواب عليها الأكثر من الإخوان ، وشذ منهم رجل في نفر يسير ، فاستبد برأيه ، وترك القبول ممن أُمر بسؤاله ، وسأوضح له ما بيِّن له عند تحققه خطأ فعلهن ، وكذلك في المسائل المقدمة ، وفي المسائل المتأخرة ، فقد اطلعت منكم على اختلاف كبير ، بعد أن أصدرت كتابي هذا ، فإن يكن بعد ذلك خلف فقد حال اليأس منكم دون الرجاء ، وإن يكن منكم اتفاق فقد أراد الله بكم الصلاح ، وأراكم النجاح ، وليسعدن الله بكم المحقين ، ويهلكن بكم المبطلين.

وما أقول: اسمعوا قولي واقبلوه ، ولكني أقول: اسمعوا لي ، فإن رويتُ لكم عن غير سلفي ، أو احتججت بغير كتاب ربي ، فلا تقبلوا مني ، وأقول لمن خطر في قلبه شك في شيء مما ألقي إليه ، فليسألني الحجة سؤال الشحيح ، ولا يستح مني فإن الله لا يستحيي من الحق ، فإن عليكم سؤالنا وعلينا جوابكم ، وبذا أمركم الله جل اسمه ، فقال عز من قائل: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْـلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣ ، الأنبياء:٧]. وقد سمى الله رسوله ذكرا ، وفي كل عصر من أهل بيته عدول ، ينفون عن الله الشبهات ، ويحكمون بآياته البينات ، هم حجج الله في كل زمان ، والهداة إليه في كل

أوان ، وما أقيس نفسي بالسلف عليهم السلام ، لا بسابق منهم ولا بلا حق ، ولكني أقيسها بالخلف الذين هم أهل زماني ، فإن يكن منهم أعلم مني فأنا به مقتد ، ومنه متعلم ، وإن أكن أعلم منهم فأنا لهم معلّم ، لأنا أهل البيت يتعلم بعضنا من بعض ، ونجتزي بذلك عن التعلم من غيرنا ، ولا يسعنا أن نتعلم من سوانا إلا ما يجيزه لنا علماؤنا ، وأنتم يا شيعتنا فلا يسعكم أن يتعلم بعضكم من بعض إلا ما يجيزه لكم علماء أهل بيت نبيكم صلوات الله عليه وعليهم وسلامه ، فاعلموا ذلك وبالله التوفيق.

وعدت إلى مسائلكم وتبيينها ، وبالله نستعين عليه توكلنا وهو رب العرش العظيم.

سألتم - أكرمكم الله بهدايته ، وكلأكم من السوء بكفايته - أيّ ابني الهادي رحمة الله عليهم أجمعين كان أفضل؟

واعلموا - وفقكم الله لما يرضيه ، وهداكم لما يثيب عليه - أني لم أشاهدهما فأعرف حقيقة أمرهما ، وأخبركم يقينا بما شاهدته من شأنهما ، فتكونوا به تعملون ، وعليه تتكلون ، ولكني أخبركم بما رويت عن بعض مشيخة ولد القاسم رحمة الله ورضوانه عليه ، حدثني عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحسين بن القاسم ، عن أبيه الحسن بن عبد الله ، وكان قد شاهدهما جميعا في حداثتهما وفي ولايتهما ، وكان ابن عمهما وخدنهما ، وكان أعلم الناس بشأنهما ، فروى لي عنه ابنه عبد الله أنه قال له: كانا أبناء عمي يحيى بن الحسين إمامين فاضلين عالمين ، فأما محمد فكان من التقشف والاستقلال من الدنيا على غاية ، وكان رحمة الله عليه يقول: لو وثقتُ

بالأعوان لما قعدت ساعة. وروى عن أبيه يحيى بن الحسين رضي الله عنه أنـــه كان يقول: لو استدبرت من أمري ما استقبلته بعد لما قمت في زماني هذا.

وأما أحمد رحمة الله عليه فقام واجتهد في قيامه ، ونال مع ذلك من الدنيا طرفا مما كان محمد يتورع عنه ، وكان الذي نال حلالا مما لم يحجزه الله عليه ، فلما نال ذلك أنكره نفر من الشيعة ، وأظهروا عليه فيه الشنعة.

قال الحسن بن عبد الله: فلما بلغه ذلك كتب كتابا أبان فيـــه عـــذره ، واحتج فيه على من أنكر فعله ، بحجج قطع فيها كل من اقمه. وذكر لي عبد الله بن الحسن أن نسخة ذلك الكتاب عنده ، ولا أشك أيضا أنه موجود عند ولد أحمد بن يحيى رحمة الله عليهما.

وروى لي عمي إسحاق بن القاسم مثل ما روى لي عبد الله بن الحسن ، وهذا ما رويت عنهما والله أعلم بحقيقة أمرهما ، وأولى بثوابهما.

وبعد: يا إخواننا وشيعتنا من العرب والعجم أجمعين ، فقد ألفيـــتكم في هذين الرجلين مختلفين ، وفي أبيهما وعمه من قبلهما ، حتى لقد أشـــفقت أن تبوأ بآثامهم ويفوزوا بثوابكم ، فلو ناظرتم أنفسكم مناظرة المنصف لخصمه! فتقولوا أقوالا ستة لوجدتم رشدكم في أحدهن ، ولَبَانَ لكم في تصرفهن الخطأ فاجتنبتموه ، أو لبان لكم الصواب فاتبعتموه. وذلك أن تقولوا: هؤلاء أئمـــة يتبعون.

أو تقولوا: الإمامة لمن قام ، ولا إمامة لمن قعد.

أو تقولوا: هي للفاضل دون المفضول.

أو تقولوا: هي للمفضول دون الفاضل. فهذه ستة وجوه من القول في الإمامة فافهموها وتكلموا بعد إعمال النظر فيها ، فإن قلتم هؤلاء أئمة راشدون ، القائمون منهم والقاعدون ، والفاضلون والمفضولون ، ونحن لهم تابعون ، ولمن دعانا منهم إلى الله مجيبون ، كنتم إذا قلتم ذلك واعتقدتموه عند الله من الناجين ، وبحبله المتين من المتمسكين ، وحينئذ يلزمكم الاتفاق ، ولا يسعكم الافتراق ، وأنا أرجو أن يجمعكم الله جل اسمه على هذا القول ، ويؤلف بين قلوبكم عليه ، فهذا الوجه الأول.

أو تقولوا: - وعائذا بالله من ذلك - ليسوا بأئمة يهدون ، فإن قلتم ذلك خرجتم من دينكم ، وأمكنتم العدو من أنفسكم ، واتفقتم على رفض العترة كما فعل غيركم ، والله يحفظكم من هذا الباب ، ولكن ضربته مثلا لمن يخاطر بنفسه ، وهذا هو الوجه الثاني.

أو تقولوا: إن الإمامة لمن قعد دون من قام ، فإذا قلتم ذلك فلا بد من النظر في أمر القاعد لِم قعد؟ فإن وجدتموه قد قعد بعد الكمال ، واستقامة الأحوال ، ومساعدة الثقات من الرجال ، وتسليم ما لله من الأموال ، فذلك رجل جبان ، والجبان لا يكون إماما ، فهذا وجه إذا كان يطلب له إمامة القاعد ، وإن كان قعوده لقلة أعوانه ، ولعجز أهل زمانه ، وهو قائم في كل شأنه ، فهو الإمام ، وولي المقام ، « من سمع واعيته فلم يجبه كبه الله في النار على منخريه » ، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وإنما مثله عند الله جل اسمه ، ومثل من قام ، مثل رجلين لله سبحانه مطيعين ، وفي عبادته مجتهدين ، فهما نهارهما صائمان ، وليلهما قائمان ، قد اتسيا في كل شأن ،

ثم عرض لأحدهما مرض وهّنه عن الصيام ، ومنعه من القيام ، فلم يعد يقدر على صلاته إلا قاعدا ، فأقام في علته سنة أو أقل أو أكثر ، وأقام أخوه المؤمن على رسمه في الصحة ، لا يخرم من عمله شيئا ، أفتقولون: الصحيح السليم المستطيع الذي لم يزل يصلي قائما ، أفضل من الممتحن الذي لم يجز لنفسه ما أصابه؟! أم تقولون: هما عند الله سواء؟! فإن قلتم: هما عند الله سواء نجوتم ، ولزمكم ألا تفضلوا قائما على قاعد ، ولا قاعدا على قائم ، وإن قلتم: الصحيح المستطيع أفضل ، نسبتم الجور إلى من منعه من العمل ، وهما لو كانا على ما وصفنا من الطاعة والعمل ، ثم قبض الله أحدهما وهذا أقطع عن العمل جملة ، ثم أحيا الآخر بعده سنة أو أقل أو أكثر ، ثم قبضه ، لكانا في إجماع الأمة سواء في الثواب عند الله. فهذا الوجه الثالث وهو اعتقادكم إن شاء الله.

أو تقولوا: القائم أولى بالإمامة من القاعد ، فإذا قلتم ذلك ، فلا بد أيضا من النظر في أمر القائم ، فإذا كان قيامه على غير استقامة ، فلا يستحق الإمامة ، والقاعد العالم المكتفي الذي ليس فيه شروط الإمامة أفضل منه ، فضلا عن القاعد الكامل المضطر إلى القعود ، فهذا وجه أنتم تعرفونه ولا تنكرونه ، فلذلك اختصرت فيه. فهذا الوجه الرابع ولا اختلاف فيه.

أو تقولوا: هي للفاضل دون المفضول ، فإذا قلتم هذا فقد قلتم صوابا من القول لا اختلاف فيه ، وبالله نستعين على ما يرضيه ، فهذا الوجه الخامس لا اختلاف بين الشيعة والعترة فيه.

أو تقولوا: هي للمفضول دون الفاضل ، والله يعيذكم من هذا القول أن تقولوه ، إلا عند عدم الفاضل ، فإذا عدم الفاضل فالمفضول إمام ، ومحطتنا

على العترة والأئمة يتفاضلون ، والأنبياء صلوات الله عليهم يتفاضلون ، وهم أرفع درجة عند الله من الأئمة ، والله يقول عز من قائل: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الإسراء:٥٥]. فإذا كان أنبياء الله سبحانه عليهم السلام يتفاضلون فالأئمة أعذر ، وليس التفاضل بالفرائض ، لو قصر عن بعض الفرائض نبي أو إمام لبطل عمله كله ، ولما استحق مقام الصديقين ، عليهم صلوات رب العالمين ، وإنما التفاضل بالنوافل ، فمستكثر منها ومستقل ، فمن استكثر فَضُل ، ومن استقل فُضِل ، فافهموا رحمكم الله هذا القول ، واعملوا فيه النظر تنجوا بحول الله ، ولا تفتتنوا ، ولا تخرجوا المفضول من الإمامة ، فقد أُخبِرت أن منكم من يخرج المفضول من الإمامة ، ويحله محل الجاهلين من العامة ، وبهذا الرأي ومثله هلك الأولون والآخرون ، فجعلنا الله وإياكم من الناجين ، وبحبله المتين من المتمسكين.

واعلموا أن القاعد الذي يفضله القائم ، إنما هو الرجل من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكون من العلم والورع والديانة بمحل يفوق فيه من سواه ، ولا تكامل فيه شروط الإمامة ، فهذا المقتصد من آل رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه ، يُتعلم منه ويُقتدى به ، ويكون مفضولا يفضله القائم الكامل ، والقاعد الكامل المضطر إلى القعود ، لأن القاعد لعدم الأعوان ، والقائم بإمكان عند من أنصف نفسه سيّان.

ومن الدليل على ما ذكرت لكم: أن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قعد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم قام بعد ما قعد إلى أن توفي ، وكذلك الحسن عليه السلام قعد وقتا وقام وقتا ، وقعد بعد ذلك إلى أن

توفي رحمة الله عليه وبركاته ، أفتقولون: كان قعود علي بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم اختيارا أم اضطرارا؟! وكذلك الحسن في قيامه وقعوده ، فإن قلتم: قعد اضطرارا وأصدقتم ، ووجدتم قعود الكامل بعد الضرورة لا يضره ، ووجدتم قيام القائم إنما هو بمقدرة ، فإذا كان كذلك ، فالقائم والقاعد في المترلة بالسوية ، إلا أن تكون نافلة كما ذكرت لكم في كتابي هذا.

وإن قلتم: كانا في وقت قيامهما أفضل منهما في وقت قعودهما ، فقد جعلتم في قولكم حتما لهما بالأدنى من حاليهما ، ويجب إذا كان الأمر كذلك أن يكون الحسين بن علي ، وزيد بن علي بن الحسين ، ومحمد وإبراهيم أبناء عبد الله بن الحسن ، والحسين بن علي بن الحسن ، والذين قتلوا وهم في قيامهم أفضل من علي وابنه الحسن عليهما السلام.

فإن قلتم: ليس هذا الحال أردنا ، ولا من تفاضل القائم والقاعد قصدنا ، خاصة في علي والحسن والحسين عليهم السلام ، لأن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قد حكم « للحسن والحسين بالإمامة قاما أو قعدا » ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « وأبوهما خير منهما ». يريد: أفضل منهما ، فنحن قد تبعنا قول الرسول عليه السلام ففضلنا عليا كما فضله الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه ، ولم نفضل الحسن على الحسين ، ولا الحسين على الحسن ، لأن الرسول صلوات الله عليه قد جعلهما في الفضيلة بمترلة واحدة ، ولم يجعل فيها القائم أفضل من القاعد ، ولا القاعد أفضل من القائم ، وإنما أردنا من قام من ذريتهما وقعد بعدهما ، فإذا قلتم هذا ، فقد أنصفتم أنفسكم من أنفسكم ، ويلزمكم بعد هذا الخطب أحد أمرين:

إما أن تتزلوا ذريتهما متزلهما ، أو لا تتزلوهم متزلهما ، فإن لم تتزلــوهم متزلهما ، فقد عطلتم الإمامة إلى أن تقوم الساعة ، ويكون عليكم أنه لم يذكر الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه ، غير هؤلاء الثلاثة بإجماع الأمـــة ، فهذا بابٌ الله يبعدكم من اعتقاده.

أو تقولوا: نتزل ذريتهما متزلهما ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآلــه وسلم لم يخصهما فيقول: قاما أو قعدا وحدهما. ولو خصهما لما اعتقدنا إمامة أحد من ولدهما بعدهما ، ولكنا أيقنا أنه حيث لم يستثن جَعْلَها فيهمـــا ، وفي من كان سبيله سبيلهما من ذريتهما ، فلذلك اعتقدنا إمامتهم من بعـــدهما ، فإذا كان ذلك كذلك ، لزمكم وبالله التوفيق أن تتزلوا مَن رَشَدَ من ذريتهما متزلهما ، فيكون القائم والقاعد منهم كالمستدل بهما صـــلوات الله عليهمـــا وعلى أبويهما ، وعلى من طلب من ذريتهما.

وكذلك إذا أيقنتم بتمام رجلين من نسلهما ، فاجعلوهما إمامين قاما أو قعدا ، فإن القاعد لا يقعد إلا بحق بعد ضرورة ، والقائم لا يقوم إلا بحق بعد مقدرة ، فالقاعد يقتدى في قعوده بعلي والحسن حين قعدا ، ويقتدى في قيامه بهما حين قاما. فهذه وجوه القول في الإمامة قد بينتها لكم غاية البيان ، لئلا يُعَدَّ بينكم فيها اختلاف ، فبالاختلاف هلك الهالكون ، وبالاتفاق على كلمة التقوى نجا الناجون ، فجعلنا الله وإياكم من الناجين ، ولأنعمه من الشاكرين ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين وسلم تسليما.

وسألتم - أرشدكم الله - عن الرزق هل خص الله به أولياءه من أهل طاعته ، أو جعله مباحا لأهل طاعته ومعصيته ، وقلتم: نحن في هذه المسألة

مختلفون ، فمنا فرقة تقول: الرزق جعله الله لجميع عباده عاصيهم ومطيعهم ، ومنا فرقة تقول: هو لأولياء الله خاصة جعله الله لهم ، فمن نال مما في أرض الله من أرزاقه شيئا غير أوليائه فقد تعدى ، وأكل ما يعذبه الله عليه يوم القيامة ، وقد أجبتكم بحول الله جوابا يقبله المسترشدون ، ولا يبطله الجاحدون.

اعلموا - هداكم الله - أن مسألتكم هذه تُبْنَ على أصل يتفرع على وجهين ، وكلا الوجهين يتفرع على جهات شتى ، أثبتها في مواضعها إن شاء الله تعالى.

فأما الأصل الذي تبنى عليه ، فهو الرزق نفسه ، والله جل اسمه خلقه يوم خلق أرضه وسماه ، وجعله لآدم صلى الله عليه ولذريته من بعده مباحا ، إلا ما احتجز كاسب منهم ، ما وضع يده فيه ، وأتعب نفسه به ، وأنفق ماله عليه ، وذلك مثل الفراغ من الأرض وما يعمل فيها ، ومثل الأشجار المباحة وما يغرس منها ، وصيود البر والبحر وما ينال منها ، والمعادن البرية ، والجواهر البحرية ، وأرباح التجارات ، وكد الإجارات ، فهذه المعايش كلها لا يجوز لأحد أن يحتجرها بالكلية ، كما قد نرى في هذا الزمان الفاسد أهله.

وأما الأنعام فهي مستقيمة غير مشاعة ولا مباحة ، فهذه جُمَل الرزق الذي جعله الله لآدم ولذريته من بعده ، فقد صنفته لكم وعرفتكم به كيف الوصول إليه. ثم لله جل اسمه فيه خالصة استثناها على الموحدين ، وشريطة شرطها على الجاحدين ، وأنا مبين ذلك في مواضعه إن شاء الله.

وأما الوجهان اللذان يتفرعان من الرزق ، فأحدهما: الاكتساب من حيث أباح الله الإكتساب ، مما ذكرت في أول هذه المسألة ، فمن اكتسب من هذا

الوجه فقد اكتسب حلالا لم يحجره الله عليه ، و لم يقيد فيه ، بل قد امتن به وجعله حجة عليه. فقال عز من قائل: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ [النحل:٥٦]. فقال: مما رقناهم ، فدل بذلك أنه من عنده ، وأنهم صرفوه فيما يكره ، فعلى تعدِّيهم تواعدهم ، لا على رزقه الذي أعطاهم وأباحهم. وقال عز من قائل في آية أخرى: ﴿ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [النمل:٦٤]. فهذه أيضا آية احتج فيها برزقه عليهم ، فلو كان جل اسمه جعله خاصة لأوليائه لما احتج بذلك على أعدائه ، ولكنه كان يُعرِّفهم بتعديهم ، وبتواعدهم بالعذاب كما تواعدهم به في أكل أموال الناس بالباطل ، وقد قال الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم آمراً: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١]. فهذه أيضا آية احتج عليهم فيها برزقه ، وسألهم فأقروا له بأنه من عنده ، لا من عند سواه ، فافهموا ذلك وعُوهُ من كتاب ربكم.

وقال أيضا عز من قائل: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش:١-٤]. فالله يحتج عليهم بإطعامهم وبأمانهم ،

وينفي ذلك من فعل الله فيهم. ويقول عز من قائل: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ [القصص:٥٧]. أي: من عندنا ، فالله جل اسمه يحتج على أعدائه بنعمه ، ويخبر أنها من عنده ومن عطائه.

ونقول: ليست من عنده إذن نكون ممن أنكر فعله ، وخالف حكمه ، فنعوذ بالله من ذلك ، ومثل هذا الاحتجاج في كتاب الله تعالى يكثر ، إلا أني قد اجتزيت بقليله عن كثيره ، ليكون ذلك أخف على قلب السامع من الإكثار ، ولا بد أن يفرع هذا الوجه بعد إثبات الباب الثاني وتفريعه ، بحول الله وقوته.

وأما الوجه الثاني: فهو الإكتساب من حيث حجر الله على العباد ، فمن اكتسب ما لا نهاه الله عن اكتسابه ، وأخذه بالباطل من أصحابه ، فقد تعدى ورزق نفسه ما لم يرزقه الله ، بل قد نهاه جل اسمه عن ذلك ، فقال عز من قائل: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [البقرة:١٨٨]. ومثل هذه الآية في كتاب الله كثير ، فمن فعل هذا الفعل ، وأكل الأموال بالباطل ، من ملّي أو ذمي ، أو مشرك غوي ، فإنما أكل رزقا رزقه الله غيره ولم يرزقه إياه ، فكيف يكون له مُعذّبا على رزق قد رزقه إياه؟! هذا ما لا ينسب إلى الله ولا يكون من فعله ، لأن فعله العدل ، وحكمه الفصل ، فإذا فعل ذلك من العباد فاعل ، فالنار لا مرية في ذلك له ، يكون فيها من الخالدين ، فإن تاب وفي يده شيء مما كسب من هذا الوجه ، أو قد استهلكه

أيضا واعتقد أن لا يرده إلى أربابه ، فتلك أيضا توبة لا تقبل عند الله إلا من بعد الإقرار بما أخذ ، وتأدية ذلك إلى أربابه ، إلا أن يكون قد أتلفه وأذهبه ، فيكون له ضامنا ، فإن رزقه الله شيئا من رزقه الحلال وفّاه ، فإذا اعتقد ذلك وصحَّت لله نيته بأدائه عند المقدرة ، فقد نجا إن شاء الله من التبعة في هذا الباب.

وكذلك أهل البغي الذين قعدوا في مقاعد الأئمة ، وجبوا الزكاة من العامة ، وأخذوا الأخماس والجزية ، واغتلوا الأراضي الجراجية ، بل لقد استحلوا بالتأويل الكاذب أموال الأمة بالكلية ، فلم يتركوا منها إلا ما وارت الحجب والأخبية ، فهؤلاء كاللصوص وأعظم جرما ، لأن اللص إنما عدوانه بالواحد بعد الواحد ، وهؤلاء أهل البغي فعدواهم بالخلق أجمعين ، لم يتركوا خاصا ولا عاما إلا وقد ظلموه ، وتعدوا لجورهم عليه ، فهؤلاء كاللصوص يأكلون حراما لم يطعمهم الله إياه ، بل يأكلون أرزاق سواهم ، ويجلسون في مجالس غيرهم ، وكذلك أعوانهم الذين [يشيرون] بسيرتهم ، سبيلهم في الرزق سبيلهم.

فأما من أصاب من أيدي هؤلاء شيئا من المسلمين الذين هم لله من المطيعين ، فلا تبعة عليهم مما نالوا مما في أيدي هؤلاء الظلمة ، لأنهم إنما نالوا قليلا من كثير أحله الله لهم ، وحجزه على من سواهم من أعدائهم ، وليس من أولياء الله غني ولا فقير إلا وله في أموال الله نصيب. فنسأل الله أن يجمع كلمة المؤمنين ، ويشد عزيمة المظلومين ، حتى يرجع إلى كل ذي حق حقه.

ومن تاب من أئمة البغي وهو متمسك بمظلمته ، فلا قبول لتوبته ، ومن تاب أيضا وخلاها من يده إلى ظالم ، فكذلك غير مقبول منه ، ولا ناج عند الله بفعله ، ولا توبة له إلا بتسليم جميع مملكته إلى ربها الذي جعله الله أحق بها ، فإذا فعل ذلك منه نجا إن شاء الله ، وللإمام فيه النظر ، فاي رأي رآه الإمام في وصبر نفسه له عليه ، فهو ناج عند الله ، وللإمام فيمن تاب من أهل البغي من قبل المعذرة عليه ، أن يحسن ويستغفر الله له من خطيته ، ويوليه إذا وثـــق بديانته ، ويأمره أن يسير في الرعية سيرته ، وإن رأى ألا يتبعه بشيء مما نـــال من المظالم عند الطاعة فذلك له ، وللإمام كل رأي بما رأى أنه أصلح للأنام ، فإن لج الباغي في ظلمه ، وبادى المحق في حكمه ، ثم رزقه الله جل اسمه عليـــه الظفر ، فله إن أحب قتله ، وله قبض جميع مملكته ، فما كان له حلا منـــها فيما استهلك من مال الله خلا ما استهلك من الجوار بالإيلاد ، كذلك حكم الهادي إلى لاحق عليه السلام وجميع الأئمة من قبله. فهذه فروع الوجه الثاني قد بينتها لكم ، وعرفتكم فيها من أكل رزقه ، ومن أكل رزق غيره.

وأما ثنوى الله عز وجل على الموحدين في رزقه الحلال ، فهو أداء الزكوات والأخماس ، واجتناب الرياء والأدناس ، فمن أخذ بالأخماس والزكوات ، وشاب ماله الحلال بالبيوع الفاسدات ، فهو في ذلك يستحق عذاب ربه ، وليس سبيله سبيل من كان كسبه حراما بالكلية ، لأن معه حلالا مختلطا بغيره ، فالخالص من أمواهم لهم ، بذلك حكم الله جل اسمه فيه ، فقال عز من قائل: فـ ﴿ إِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٧٩]. يقول: لا تظلمون بخدعكم فيما تربون ، ولا

يظلمكم الأئمة بأخذ خالص ما تملكون ، واللص والباغي فليس لهما رأس مال ، وليس معهما إلا الحرام ، فليس يبيعهما ولا يشترى منهما محل أبدا ، فهذا الفرق بين هذين المفسد في المبايعة ، والمفسد بالغاصبة ، وأما من بغى من الموحدين أو تابع أهل البغي ، وكان له مال حلال كسبه من حيث أباح الله الاكتساب ، فلا يؤخذ من ماله إلا ما حل من زكاته ، أو أجلب على المحقين في غزواته ، والبقية رزق له حلال.

والدليل على ذلك: سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في أهل البغي من الموحدين يوم البصرة ، غنم ما أجلبوا به عليه ، وخلى ما تأخر من أموالهم عنهم ، ولم يعرض لها وهو قادر على أخذها ، فلو كانت لأصحابه وهم أولياء الله لما تركها مع أعداء الله وأعدائه ، ولكان قد أخذها وقسمها. فهذه سيرة أمير المؤمنين في أهل البغي ، يعلمها الخاص والعالم مجمع عليها ، فاعلموا ذلك تول الله رشدكم.

وأما ما اشترط الله جل اسمه في رزقه الحلال على الجاحدين ، فكان شرطه عليهم بعد تمكينهم من العقول ، وتعريفهم بالسبيل ، ألا يعبدوا إلها سواه ، ولا يعصوا رسولا اصطفاه ، ولا يحكموا إلا بالحكم الذي ارتضاه ، فإن لم يفعلوا الثلاث كلهن ، كانوا لمن كفروا به من أولياء الله المرسلين خالصة ، يقتلون من قاتل ، ويسبون من ذل ، ويغنمون البلدان وما فيها ، فيكون ذلك مغنما لأولياء الله ، ولهم في الآخرة عذاب النار.

ومن الدليل على أن الله تبارك وتعالى استثنى على الجاحدين في رزقه الحلال ، ما حكى عن نبيه موسى عليه السلام إذ يقول: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ

إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾ [يونس:٨٨]. المعنى عند أهل اللغة واللسان العربي: أن لا يضلوا عن سبيلك ، فأسند للناس قول موسى صلوات الله عليه إن الله رزقهم ما رزقهم على شريطة الإيمان.

ومن الدليل أيضا على ذلك: أنه ما آمن برسول الله صلوات الله عليه وعلىالله وسلامه أحد من المشركين ، ولا من أهل الكتاب الإسرائليين فأخذ له مالا ، ولا سبا له عيالا ، ولا قتل له رجالا ، ولا كفر بالله جل اسمه ولا به أحد إلا وأباح ماله وسبا عياله وأحل دمه ، هذا أيضا باب مجمع عليه من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لا إختلاف بين خاص ولا عام.

فهذه وجوه الرزق قد عرفتم بكيفيتها ، وأدلتها من كتاب الله وسنة رسوله ، وسيرة وليه أمير المؤمنين عليهما وعلى آلهما صلوات رب العالمين ، وما أنتم بحمد الله تعرفونه ولا تنكرونه ، قد أجبتكم فيه بهذا الجواب ، ليكون قطعا لما بينكم من الخلف في هذه المسألة ، والله يجمعكم على كلمة التقوى ، ويجنبكم من الغي والردى ، والحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى ، وعلىالله الأتقياء ، وسلم تسليما.

وسألتم - ألزمكم الله - عن المتمتع بالعمرة: هل يلزمه الهدي إذا خرج من مكة للزيارة ، وعقد الإحرام للحج من المدينة؟ وذكرتم أن بعض الإخوان أفتاكم أنه: لا هدي على من زار وعقد الإحرام بالحج من المدينة؟!

والجواب: أسعدكم الله من كتاب ربكم أشفى ، وأولى بالكفاية لمن اكتفى ، والله يقول عز من قائل: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا

ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٩٦]. فأوجب الله الهدي على من لم يكن من أهل مكة ، وفي الآية حرفان من حروف الصفات ، أما أحدهما فقوله عز من قائل: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٦]. والمعنى: فمن تمتع من العمرة إلى الحج ، لأن الباء الزائدة ، ومن من حروف الصفات يعتقبان ولا يجتمعان ، والحرف الآخر وهو قوله عز من قائل: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٩٦]. المعنى فيه: ذلك على من لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ، فقامت (اللام) الزائدة مقام (على) أيضا ، فبان أن هذا الهدي على من لم يكن من أهل مكة إذ لم يستثن الله جل اسمه غير أهلها.

وأما نفس المتعة فإنما هو ما ينال المحرم بعد إحلاله ، مما يستمتع به من جميع ما حرم الله على المحرمين ، وإن كان الله جل اسمه قد أباحه للمعتمرين ، وجعل عليهم فيه الكفارة لدخولهم في النقص. كذلك قال سيدنا القاسم عليه السلام: لو لا أن في العمرة النقصان ، لما أوجب الله جل اسمه فيها الكفارة على الإنسان. وقد روى الهادي عليه السلام فيما أثر عن سلفه: أن من دخل مكة بعمرة قبل أشهر الحج وأقام فيها ، فسبيله سبيل أهلها ، وليس سبيل المتمتعين ، وإن أحب العمرة في أشهر الحج وأقام بها ، فسبيله في عمرته سبيل أهلها.

قال يحيى بن الحسين رضي الله عنه: وإن خرج هذا الرجل إلى ميقات بلده فجاوزه بميل ، ثم عاد محرما بعمرة أو عاود فأحرم بها بمكة أو فيما بين ذلك ، بعد أن يكون قد جاوز ميقاته فهو من المتمتعين ، وعليه ما عليهم من الدم والصيام. فهذا باب مسطور في كتابه أنتم تعرفونه ولا تنكرونه ، وبعد فليتني علمت من أين أفتاكم الآمر بطرح الهدى ، بل العجب منكم كيف قنعتم بفتواه ، وهي ضد كتاب ربكم ، ولسنة نبيكم ، ولأثر أئمتكم ، وهؤلاء الزوار من أهل مكة ، ومن كان معهما من أهل الشرق والغرب ببلدهم إذا خرجوا منها ، وجازوا مواقيتهم وعادوا لعمرة في أشهر الحج ، لزمهم الكفارة ، فلو كان لأحد من المسلمين رخصة في طرح الكفارات ، لكانت لأهل مكة ومن أقام ببلدهم قبل أشهر الحج ، لأن الله جل اسمه طرح عنهم ذلك ما كانوا بها ، فإذا كان ذلك كذلك في أهل مكة ، فأهل اليمن وغيرهم من أهل البلدان أولى بالكفارة ، فافهموا - رحمكم الله - ما لا يسعكم جهله ، ولا يعدمكم فعله ، فإن من ترك الكفارة على المتعة ، فإنما ترك فريضة من فرائض ربه ، وبترك واحدة من الفرائض بطلان جميعها ، فأعاذنا الله من ذلك ، وجنبنا طرق المهالك ، والحمد لله وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما.

وسألتم - أكرمكم الله - عن الهلال ، وقلتم: هل يجوز إذا نظر في منزلة يشبه أن يكون فيها لليلتين أن يحج بما يشاهد من منازله؟

واعلموا - وفقكم الله - أن الأمر ليس كما تظنون ، ولا يحكم في الهلال بما تقدِّرون ، والله سبحانه أعلم بمنازله ورسولُه ، وقد كان لرسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم من العلم بمنازل القمر ، ما لم يكن لأحد من المنجمين ممن يحسب بالتقويم ، فلم يحكم صلوات الله عليه بذلك ، بل حكم بحكم ربه ، و لم ينطق من الحكم إلا بما أمر به ، وبذلك وصف ربه جل اسمه فقال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾ [النجم:٣-٤]. وقال صلوات الله عليه وعلىالله وسلم في الهلال: « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته ، فإن غمي عليكم فعدوا ثلاثين يوما من رؤيته » ، فهذا باب مجمع عليه ، لا أعرف واحدا خالف فيه ، إلا أن تكون الفرقة المخالفة ، فهم يحكمون في حجهم وصيامهم بمنازل القمر ، وبحساب التقويم ، ونحن بحمد الله نعلم من ذلك كالذي يعلم أهل الخبرة به ، ولكنا لا نعمل بذلك في الأديان ، وإنما نستعمله للأزمان ، من الصيف والشتاء والفصل ، ولكل زمان من هذه الأزمنة نجوم موظفة ، وفي كل نجم منها للقمر منزلة ، لا يحلها أكثر من ليلة ، وإنما جعل الله جل اسمه هذه النجوم وما لها من عدد الأيام ، علامات الأزمنة التي فيها المعايش من الثمار والزرع ، فلكل جنس من أجناس هذا الزرع نجوم ، يكون فيها بذره ، ونجوم يكون فيها ثمره ، فمن قدم أو أخر كانت ثماره متقدمة أو متأخرة ، وكل ثمرة تقدمت أو تأخرت عن الوقت الذي قسم الله لها من الزمان ، لا يكاد تصلح لأربابها نفع ، والشمس والقمر وما يحلان من البروج ، فباب يتسع فيه الخطب ، ومن أحب علم ذلك فهو يجده في كتب مشايخنا التي أفردوها للنجوم.

وأما ما اختلفتم فيه وسألتم عنه من رؤية الهلال مرة مستقلا ، ومرة نازلا ، فإنما ذلك لعلة الشمس في دنو الهلال منها ، فإذا نزل القمر بالنجم الذي

ينزل به ليلة يهل ، وكان متأخرا عن شعاع الشمس ، وخارجا عن ضوءها ، نُظرَ الهلال تلك الليلة في المنزلة النازلة ، وإذا كان القمر نازلا بنجم به الشمس نازله ، أو كان داخلا في شعاعها غير باينٍ عنه ، لم يدرك في تلك الليلة أصلا ، وذلك أن الأبصار تكل عن نظره مع الشمس غاربة ، كما تكل عن نظره معها وهي طالعة ، وهذا الباب الذي صنفت معلوم عند أهل الخبرة بالنجوم ، لا ينكره منهم من نظر في اليسير من علمها ، فضلا عن الكبير ، والله جل اسمه أعلم بذلك ، وهو خالقه ومقدره ، فلو كان تبارك وتعالى جعل ذلك للأديان ، كما جعله للأزمان ، لكان قدر أمر به الرسول وعلمه إياه ، وأمره أن يعلمه العباد ويأمرهم به ، كما علمهم الرؤية وأمرهم بها ، وبثلاثين يومان إن عرض عارض يُغمّيه عن الأبصار ، والتغمية فهي: التغطية مما يحول دون الرؤية ، مثل السحاب والغبار وشعاع الشمس ، كما ذكرت لكم في أول هذه المسألة.

ومن الدليل أيضا أنه لا يعمل على منازل الهلال العالية إجماع أئمتنا عليهم السلام ، أنه إذا رُئِيَ الهلال بالنهار في آخر يوم من أيام شهر رمضان أتم الصائم إلى الليل ، وهو لا يرى في النهار إلا وهو يمشي في المنزلة العليا ، وهي الثانية من المنزلتين ، فلو كانوا يحكموا بالمنازل لأوجبوا الفطر لليوم الذي رأوا فيه الهلال ، و لم يستجيزوا أن يصوموا يوم عيد قد حظر رسول الله صلى الله عليه وآله صيامه على أمته ، ولكنهم رحمة الله ورضوانهم عليهم أيقنوا بقول النبي صلوات الله عليه وعلىالله فهم به مستمسكون ، ولقول من خالف الرسول تاركون ، وهلال الحج فيستحيل أن يختلف فيه ، وليس كهلال

الفطر. والدليل على ذلك أن كل أهل مدينة ينظرون الهلال ليلة يهل ، فـإن عرض لأهل مدينة من المدن سحاب أو غبار أصبحوا صياما ، ولعل غيرهـم من أهالي البلدان الذين لم يعرض لهم عارضن قد نظروا الهلال تلـك الليلـة فأصبحوا مفاطير ، فهذا باب تعرفونه ، وقد رأيناه مشاهدة.

وهلال الحج فيستحيل أن يعدم ذكره بمكة عند توافق الحاج ، وذلك أنه يهل والناس من كل فج مقبلون إلى مكة ، فإن عدمه بعضهم لعله لم يعدمـه بعض ، فإذا توافا الناس بمكة استخبر أهل كل بلد عن الهلال ، فإن أخبر بـه جماعة وتواطئت أخبارهم وتظاهرت ، عمل بذلك ، وإن أخبر به اثنان سُئل عن عدالتهما ، فإن عُدِّلا عمل بشهادتهما ، وإن لم يكونا من أهل ذلك النعت لم يعمل بخبرهما ، وإن رآه واحد لا ثاني معه لم يعمل بذلك وإن كان عدلا ، وله أن يعمل بذلك فيما بينه وبين ربه ، ولا يظهره لما فيه من الشنعة ، فهـذا جواب هذه المسألة قد بينته لكم ، و لم أعلم بعد مسألتكم وجوابي لكم مخالفا منذ افترقنا من المسجد الحرام عن المسجد الذي كانت فيه هذه المسـألة ، إلا أنه قد بلغني أن رجلا من إخواننا ونفرا يسيرا تابعوه فيما استنبد به من رأيه ، وقفوا بعرفة قبل طلوع الفجر غداة غدا الناس من منى ، وظلوا نهارهم بعرفة ، حتى وقفوا آخر ذلك اليوم في جملة الناس ، فأفاضوا معهم إلى جُمَع وغـدوا بغدوهم إلى منى ، ورموا معهم يومئذ جمرة العقبة ، وقضوا مناسـكهم الـتي تقضى بمنى ، كما قضى سائر الناس مناسكهم ، فليـت شـعري علـى أي الوقفتين بنوا مناسكهم؟! كما علمت بفساد رأيهم ، وشذوذهم عن جملـة إخوانهم ، ولا بد من البيان لهم بتوفيق الله. إنهم لن يخلوا من أحوال أربعة: إما

أن يكونوا عملوا على الوقفة الأولى ، أو على الوقفة الآخرة ، أو لم يعملوا عليهما جميعا ، أو عملوا بهما جميعا ، فإن كانوا عملوا بهما فقد أتوا ببدعة ما سبقهم إليها أحد من الناس أجمعين ، وأنا أعيذهم بالله من ذلك ، وإن كانوا لم يعملوا بهما فقد فوتوا على أنفسهم الحج بعد بلوغه ، ويحتاجون للعودة للقضاء ، ويتوبون إلى الله من الاجتراء بآرائهم ، وترك السؤال لمن أُمِرُوا بسؤالهم ، وإن كانوا عقدوا الحج في الليلة التي وقفوا فيها قبل طلوع الفجر ، فقد كان الواجب عليهم أن يكونوا غدوا غداة غدا الناس من منى إلى عرفة أجمعين هم إلى منى ، فيرموا جمرة العقبة ، ويصلوا صلاة عيدهم ، وينحروا هديهم ، ويحلقوا رؤوسهم ، ويلبسوا ثيابهم ، وينالوا جميع ما أحل الله لهم إلا ما كان مؤخرا عن زيارتهم ، فإذا كان اليوم الثاني وهو يوم وصول الناس إلى منى راحوا هم وحدهم فرموا الجمار الثلاث ، ثم كذلك ينسقون مناسكهم بعضها على بعض ، حتى يؤدوا ما فرض الله عليهم ، فإذا كان ذلك كذلك ، فقد تمت مناسك حجهم الذي خالفوا فيهم أئمتهم ، و لم يكن لو فعلوا ما ذكرت ينفعهم ، وإنما ذكرت ما ذكرت من ذلك تنبيها لهم ، ولأن يسير بهذه السيرة من امتحن برؤية الهلال وحده ، فيفعل هذا الفعال فيما بينه وبين ربه ، ولا يظهره ، لما فيه من الشنعة ، وإن كانوا نظروا في أمورهم بعد كونهم بعرفة ، وتبينوا خطأهم ، وكان ثباتهم للدخول في حقيقة حجتهم ، فلا تبعة بعدُ عليهم ، إلا أن يكون دما يهرقونها لخلافهم السنة ، وغدوهم من منى قبل طلوع الفجر ، والتوبة إلى الله من العودة في مثل ذلك الفعل ، فها باب إذا كان كذلك ، وكَفّرُوا عن فعلهم فقد نجوا إن شاء الله ، والله يقبل التوبة عن

عباده ، وإن كان مقامهم بعرفة مقام عمى وضلالة ، وغدوا على ذلك وهم يرون أنهم على صواب ، ولم يروحوا في جملة الناس ، ووصلوا منى بوصول الناس ، فالواجب عليهم في ذلك أن يهريقوا دما لتأخيرهم مناسك منى عن اليوم الأول إلى اليوم الثاني ، ويجب أن يصعدوا فيرموا مع الناس جمرة العقبة ، ويروحوا وحدهم بعد الزوال فيرموا الجمار كلهن ، وهذا الباب أيضا ليس يغني عنهم لو فعلوه ، ولا يصلح فاسدا قد أبطلوه ، ولكني أثبت لهم ذلك ، وجعلت الحكم فيه لمن رأى الهلال وحده ، وذهب للعودة إلى منى ، فإذا كان ذلك فليَسْر بهذه السيرة عند رجعته إلى منى ، وبالله التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل.

وسألتم عن أفعال العباد هل ترى وتسمع؟ و[سألت] عن التبن هل فيه زكاة؟

فأجبتكم في ذلك بالكفاية فلم تناكروا ، وظننت أنكم قنعتم بالجواب ثم وصل إلي كتاب من أخي وأخيكم أبي الهيثم يوسف بن عقيب المعمري يذكر أنكم عبتم قولي لا زكاة في تبن ، وأفعال العباد ترى وتسمع ، وقال: إن أمكن في ذلك حجة فاكتب إلي بها ، والحجة ولله المنة ممكنة لي ، وغير معدومة من فعلي ، وأنا مثبت ذلك من أفعال العباد بعد إثبات أفعال الباري وتصنيفها.

واعلم يا أخي - أرشدك الله - أن لله أفعالا لا تشابه أفعال عباده ، في حال ولا حالين ولا أحوال أبدا ، وللعباد أفعال ليست لله فعلا ، بل هي أفعال لهم ، منسوبة إليهم ، مما يكون من خير وشر فيهم. فأما أفعال الله جل اسمه ،

فأجسام مجسمة ، مقرونة بالأعراض غير مباينة لها ، ولا ممتازة منها ، وأفعال ليست بأجسام ولا أعراض ، ثم الأجسام ممتاز بعضها من بعض على هيئات شتى ، فمن ذلك ما يكون به عرض واحد وهو أقل ما يكون من الأعراض في جسم ، ومنها ما يكون مقرونا بعرضين ، ومنها ما يكون مقرونا بأعراض شتى ، فهذه أفعال الله تعالى.

وأما أفعال العباد فقول مقول ، وعمل معمول ، وذلك ما يحدثون من تحركاتهم في الأجسام التي هل أفعال الله ، فيفرقون بين مجتمعاتها ، ويجمعون بين مفترقاتها ، فيخفظون ما علا وقتا ، ويرفعون ما انخفض وقتا ، ليس من ذلك كله جسم مجسم صنعوه ، ولا بديع صورة شيء ابتدأوه ، ثم الله جل اسمه مدرك لما فعل وفعلوا ، وهم مدركون لبعض ما فعل الله وفعلوا ، فأما الله جل اسمه فمدرك للأشياء ما ظهر منها فبان ، وما خفي منها فبطن ، بعلمه الذي أدرك جميع ما خلق وخلق عبادُه ، وخلقُ العباد فهو فعلهم ، وبذلك أخبر الله عنهم ، فقال عز من قائل: ﴿ وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ ﴾ [العنكبوت:١٧]. أي: كذبا ، والكذب يسمع ، وأما إدراك العباد لفعل الله ولأفعالهم ، فإنما يدركون من ذلك ما ظهر لحواسهم فباشرته ، ويعدمون من ذلك ما وارت الحجب عنهم فسترته ، وهذا أصل أَصَّلتُه في قولي قبل احتجاجي فيما عابوا من فعلي ، فقل للعائب لفعلي ، المتعدي بجهله عليَّ ، حظَّك أضعت ، ورشدك تركت ، وابن نبيك عارضت ، وهواك تابعت ، فقل لنفسك التي أَوبَقَتكَ ، ولهواك الذي أوقعك ، يخلصاك من حبائلنا ، ويدلاك على سبيل غير سبيلنا ، فإنك إن

تابعتها سلكا بك واسعة الفجاج ، لا يتجه لسالكهما منهاج ، وحينئذ تندم على مفارقة الدليل ، وتمنّى الرجعة إلى السبيل.

ثم سله فقد أراه عالما بالجهل بما ثبت عند الأئمة عليهم السلام أفعال العباد ، فإذا قال: ثبتت بالعلم لا بالحواس من الأسماع والأبصار ، فقد أغناك عن مناظرته ، وأبدا ما كان مستورا من خَلته ، وأمكن الرامي عند خلع جُنّته ، إذ جعل إدراك المخلوقين مثل إدراك الخالق ، وقد أثبتُّ لك أن الدرك من الله جل اسمه للأشياء بعلم لا بحاسة ، وأثبتُّ لك أن الدرك من المخلوقين بحواس يدركون بها ما يشاهدون.

وإن قال: ثبتت عند الأئمة عليهم السلام أفعال العباد بشهادة بعضهم على بعض ، فقل له: فقد يشهدون على الزاني والسارق ، وقد فعلا فعلين أحدهما الزنا وأحدهما السرقة. فإن قال لك: ثبتت ذلك عند الأئمة بعلم الشهود به ، فقل له في هذا المكان بعينه: فإن الشهود بذلك عميان لا يبصرون شيئا من الأشياء ، ولا يسمعون ، فإن قال: يجوز ذلك فقد استغنيت عن مناظرته ، وندمت على ما قدمت من معاشرته ، ويجب في قوله أن يكون الشهود يشهدون على ما لا يرون ، ويشهد من باليمن على من بالحجاز ، ويشهد أهل كل بلد على أهالي البلدان المتباعدة ، وهم غُيَّبٌ من عيونهم وأسماعهم ، وهذا فساد الحكمة ، والخروج من جملة الأمة ، فنعوذ بالله من ذلك.

وإن قال لك: لا تجوز شهادة العميان ، ولا يكون ذلك عند أحد من الأمة لا موافق منهم ولا مخالف ، فعند ذلك فقل له: لِمَ أضعت شهادة

العميان؟! وهم الثقات أهل الثقة والإيمان ، فلا بد له عند ذلك ضـــرورة أن يقول: لأنهم لا يبصرون شيئا من الأشياء ولا يسمعون ، فإذا قال ذلك ، فقل له: فما يغني عنهم السمع والبصر ، إذا كانت أفعال العباد لا تسمع ولا تُبصَر ، وعند هذا المكان قهرت خصمك إن شاء الله ، فلن يجد مخرجا إلا أن يخرج إلى أعمى مما كان فيه أولا ، فيقول: ليس للعباد أفعال يشهد بهـــا علـــيهم لا أعمى ولا بصير ، فإذا نفى أفعال العباد فقد جعلها فعلا لله ، لأنه يستحيل أن يكون فعل لا من فاعل ، فإن قالها هلك وبدت خلته ، وإن قـــال: ليســـت بأفعال لله ، ولا بأفعال لعباد الله ، فقد وضع عن الأمة الأحكام في أفعالهـــا ، ونفى عن الله أفعال عباده ، والحمد لله ، وهذه مكابرة العيان ، وإبداء الخلـــة لكل إنسان ، وكذلك الحكم فيمن يشهد عليه الشهود بالقذيفة للمـــؤمنين ، وسمعوها من فيه ، فالقذيفة له فعل وهو مسموع منه أيضا ، والاحتجـــاج في البصر الذي قدمت ذكره يجزي عن الاحتجاج في السمع ، إذ الحجة فيهمـــا واحدة تجري مجرى واحدا ، والحمد لله على ما أولى من فضله.

وأما التبن وما أنكروا من قولي فيه: لا زكاة عليه ، وإن ثبت عندهم وصح بكتب ورسائل وجدوها مما كان الأئمة عليهم السلام يرسلون بها إلى العمال ، فأنا لا أنكر أن يكونوا وجدوا كتابا إلى العمال ، وإنما أنكر صحة تلك الكتب ، لأن كل كتاب بلا شهود ، لا يحكم به إلا كتاب الله ، فإنه كتاب ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [فصلت:٤٢] ، ولا يقدر أحد أن يزيد فيه ولا ينقص منه ، وكذلك جميع العلوم التي شهد الكتاب

بصحتها ، والسنة التي أجمعت الأمة عليها ، والعقول التي استحال كون الباطل فيها ، والذرية التي أثبتت العلوم وحامت عليها.

وأما مثل رسالة الإمام إلى العمال بقبض الزكاة ممن هي عنده ، مثل رجل كان له وكيل ببلد قريب أو بعيد ، وله في ذلك البلد بضاعة عند رجل من أهل ذلك البلد ، فأرسل إلى وكيله بكتاب يقول له فيه: إذا وصل إليك كتابي وقرأته ، فامض إلى فلان فقل له: يُسلّم لك من بضاعتي التي عنده مائة دينار ، أو أقل أو أكثر ، فمضى ذلك الوكيل بالكتاب إلى الذي عنده البضاعة المستأمن عليها ، فعرَّفه بما في الكتاب من الأمر بالدفع ، فهذا المستأمن الذي جعلته قياسا لمن عنده الزكوات بين أمرين لا ثالث لهما ، إما أن يسلم ويكون ضامنا للدرك أن وقع خلف ، لأنه لم يشهد عنده شاهدان بصحة الرسالة. وإما أن يدفع الرسالة ويطالب بالبينة ، فيكون له ذلك لا يقدر حاكم أن يقول للمستأمن: الذي عندك بلا شهود يثبتون لك صحة الرسالة ، فهذا وجه مما تبطل به الكتب عند عدم البينات ، وكذلك لو أن رجلا ادعا على رجل ميت ألف دينار أو أقل أو أكثر ، كان لورثته الخيار إن شاءوا أعطوا ما ادعا بلا بينة ، وإن شاءوا طالبوا بالبينة ، فإن أعطوه بلا بينة فلن يخلو من أحد أمرين:

إما أن يكون محقا ، وإما أن يكون مبطلا. فإن كان محقا فحقه أخذوا ، وإن كان مبطلا فقد وَزِرَ ولا تبعة على من أعطاه ، لأنهم إنما أعطوه حيطة وخوفا من أن تكون محقا كما ذكر ، وإن طالبوه بالبينة فأحضرهم كتابا من الميت لا شهود فيه ، فلهم دفعه ، لا يحكم بغير ذلك عليهم حاكم ، فإن

أحضرهم الكتاب وفيه خطوط شهود قد ماتوا وعدموا ، فلهم دفع ذلك أيضا ، وإن كان شهود الكتاب غُيَّبا أُجِّل إلى إحضار شهوده أجلا يجوز له مثله ، وإن أحضر شهوده العدول صح له ما يطلب إن شاء الله ، بلا منة من أحد إلا من الله جل اسمه ، بذلك حكم الهادي عليه السلام ، فقال في الكتاب بلا شهود: لا ينفع ، والشهود بلا كتاب لا ينفع ، فلا يكون الكتاب إلا بالشهود ، ولا يكون الشهود إلا بالكتاب. كذلك جعلت هؤلاء الورثة الذين يطالبون بالبينات ، قياسا على الذين عندهم الزكوات. فأما كتاب الله جل اسمه ، فكتاب قد شهد الله وملائكته ورسله عليه ، ثم حماه الله من كيد الكائدين ، فلا يقدر أحد أن ينقص منه ولا يزيد فيه ، وقد نطق بأداء الزكاة مجملة غير مصنفة ، وصنفها الرسول صلوات الله عليه وعلىالله وسلم ، وكتب ما صنف منها ، وشهد بذلك أهل الفرق ، فكل فرقة تجوز شهادتها للفرق سواها ، ولا تجوز شهادتها لأنفسها ، لأن الشاهد لنفسه لا يأخذ بشهادته شيئا ، وإن كان عدلا تقيا ، وهذا الهادي عليه السلام يبطل كثيرا من الأخبار التي رويت عن النبي و[سألت] عن أمير المؤمنين عليهما السلام ، حيث لم يقم له بتلك الأخبار براهين يعمل عليها ، ويقول في موضع ينفى فيه بعض أخبار العامة: وذلك أنهم يزعمون أنهم وجدوا ذلك في صحيفة بخط أمير المؤمنين. فالهادي عليه السلام يُعِلُّ الأخبار المضعوفة عن النبي عليه السلام التي لا يقيم بها من رواها حجة ، لا من كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا من سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام ، فقد سار سِيَراً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليما عُلِمَتْ ، وأُجمع عليها كما أجمع

على سيرة النبي صلى الله عليه وآله ، ومع ذلك فلم يُجمع بصحة هذا الحديث في زكاة التبن علماء ولد القاسم رضي الله عنه ، فقد أدركت من علمائهم رجالا ، ومنهم من يعيش معروف بصحة الديانة ، ولم يجمع منهم على هذا الخبر أحد ، وهذه نسخ من كتبهم عليهم السلام استقصوا فيها وعلموا أنها حجة تلزم كل من سمعها ، لم يذكروا فيها التبن وما جرى مجراه ، بسينة واحدة ، فله نظائر كثير تأتي بثمن كثير أكثر وأنفع من ثمن التبن ، من ذلك ما يؤخذ من خوص النخل وليفها وجريدها وجذوعها ، ومن ذلك ما يؤخذ من ألبان الأنعام وسمونها وأصوافها وأوبارها وأشعارها ، فهذه الأشياء كلها قياس للتبن لا أصل لزكاتها ، إلا أن تدخل في التجارات ، فتجري مجرى الأمتعات.

واعلم يا أخي - وُقِيت فيك جميع الأسواء - أن الذي أنكر من قولي: لا زكاة في التبن ، لا يرجع عن توليه ، ولا يزال لك خصما تلاحيه ، إذ وعيتَ من الحق مالا يعيه ، فقل لخصمك: من أين ثبت لك وصح زكاة التبن؟ فإن قال: من طريق الأئمة عليهم السلام. فقل له: وما تلك الطريق عرفني بها ولا غنى لي عنها؟ فإن قال لك مثل قوله الأول: ثبت لي ذلك من طريق كتبهم إلى العمال. فناظره على صحة الكتب وثبات البينات ، بما أثبتُّ لك من الحجة على صحة الكتب وفسادها ، فهذا وجه إذا ناظرك منه قهرته وقامت حجتك عليه ، وإن قال لك: هذا قد صح لي أنا من فعل الإمام ، وثبت عندي ، فليس أحتاج فيها إلى شاهد. فقل له عند ذلك: هذا باب قد لزمك بإقرارك ومعرفتك له ، وكل من صح له من إمام حجة فقد لزمته ولا مخرج له منها ،

وأما أنا فلم تلزمني حجة الإمام لهذا الباب ، إذ لم يبين لي الإمام فيه الحجة كما بيَّنها لك ، فلا حجة له عليَّ فيما أسرَّ عنِّي.

وإن لم يحاجك من هذين الوجهين ، وحاجك من كتاب الله ، فقد أنصفك إذ حاجك من هذا الوجه ، والذي في كتاب الله من الاحتجاج ثلاث آيات ، وأنا مبين لك كيف المخرج منها ، فمنهن آية محكمة ، وآيتان متشابهتان. فأما المحكمة فقول الله جل اسمه: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٤١].

فهذه آية إن احتج عليك بها فهي حجة لك لا له ، فقل له عندها: لا أرى الله جل اسمه ذكر تبنا ولا شيئا من الأشجار التي تجري مجرى التبن ، ولا أراه ذكر إلا الثمار حيث قال: ﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٤١]. فهذه آية محكمة نطقت بالأكل وأداء الحق من الثمار ، فأت بحجة غير هذه تكون لك ، وتحقق قولك ، فإن احتج عليك بعد هذه الآية بحجة متشابهة ، فقل له: حجتي أوكد من حجتك ، إلا أن يعدل عن أئمتك ، فقد سمعت من قولهم وعلمت أن المتشابه يرد إلى المحكم ولا يرد المحكم إلى المتشابه ، فأت بحجة غير هذه الآية ، فإن أتى بحجة محكمة مثل هذه التي نطقت بالثمار تنطق بالتبن ، فقد صح أمر التبن ، ولن يأتي أبدا بآية محكمة في ذلك ، إلا أن يدعي مثل دعوى الرافضة ، فيقول: الآية التي نطقت

بالتبن ضاعت فيما ضاع من القرآن ، فإن قال ذلك ، فهذا رجل ضل أصحابه ، فعرِّفه أهم الإمامية ، فيلحقهم ويذر القاسمية ، فهذا وجه الحجة في الآية المحكمة.

وإن احتج بإحدى الآيتين المتشابهتين اللتين أجمعت العترة والأمة كلها على تأويلهما ، وذلك قول الله سبحانه: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة:٤٣] (١). وقوله: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة:١٠٣]. فقل له: إن كانت حجتك بالآيتين المجملتين على ما هما في كتاب الله ، فليس لك فيهما حجة ، وإنما الحجة في الإجماع في تأويلهما،فأوِّلهما ، فإن أوَّلهما بإجماع معلوم عند الأمة كلها ، فاقبله منه ، وليس يجد في ذلك ذكر التبن ، وهذا فساد ما في يده.

فإن قال لك: للأئمة والذرية من تأويل الكتاب ما ليس لسواهم من العامة ، فقل له: أنا مجمع معكْ على ذلك ، فأخبرني: هل لهم من علم التأويل والتتزيل ما لم يكن للنبي والوصي عيهما السلام؟

فإن قال لك: نعم لهم من ذلك ما لم يكن لهما ، فقد أتى بمحال لا يشبه الأحوال ، وليس يحتاج بعده إلى مناظرة ولا جدال.

وإن قال لك: ليس لهم من ذلك إلا دون ما لهما ، لقدر ما خصهما الله به من ذلك ، إذ كان تعليما من الله لنبيه ، ولعلي من تعليم رسول الله صلى الله عليهما وعلىالله وسلم ، فإذا أقر بذلك ، فقل له: هل يزرع بالمدينة أيام

---

(١) هذه الآية ذكرت في القرآن أثنا عشرة مرة.

رسول صلوات الله عليه ، فإنه يقر بذلك ، ولا يجد عن الإقرار به معدلا ، فإذا أقر بذلك ، فقل له: أليس قد أخذ رسول الله صلوات الله عليه وعلى الله وسلم من خمسة أوسق العشر ، أو نصف العشر مما يسقى بالدلا ، وعُلم ذلك من سيرته وأُجمع عليه ، فلا بد له من الإقرار بذلك ، فإذا أقر لك بالحب ، فسله عن التبن: هل أخذه كما أخذ الحب ، فإن قال لك: لم يأخذه فقد كسر على من زعم أنه أخذه من ولده ، وتأول غير تأويله صلوات الله عليه وعليهم ، وإن قال لك: أخذه ، فسله أن يبين على ذلك ، ولن يبين عليه أبدا ، إلا أن يرجع إلى الدعوى على الأئمة ، فيقول: الأئمة قد أخذوه و لم يأخذوه ، حتى صح لهم أن رسول الله صلى الله عليه وعليهم وسلم أخذه ، فإذا ادعا ذلك على الأئمة ، فسله البينة على ذلك ، فلن يبين عليه أبدا بيانا تقبله علماء الأمة ، فضلا عن حكماء العترة.

فهذا يا أخي - أرشدك الله - احتجاج على من فنَّد رأي في ترك ما لم يقم به بينة ، ولا آمر هذا السمج بإخراج ما لم تلزمه الحجة بإخراجه ، ولكني آمره فيما اشتبه عليه من الأحوال ، وتضاد فيه الإجماع ، ووقع فيه النزاع ، أن يثبت على حاله متطوعا ومُستَحْيطا ، فإنه لن يعدم عند الله ما طلب من الثواب والله يقول عز من قائل: ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ﴾ [البقرة:١٨٤]. ولا سيما إن اتفق ذلك في زمان إمام وغيره من خالص ماله ، فإني أبشره إذ ذلك بما وعده من لا يخلف الميعاد ، وذلك قوله عز وجل: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ

سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة:٢٦١]. فنسأل الله جل اسمه أن يبلغنا ذلك الزمان ، ويجعلنا ممن يجود فيه بمهجته ، فضلا عن بضاعته ، ونستعين به على ما نسر ونعلن من طاعته ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

وسألتم – تولى الله رشدكم وهدايتكم – عن أخماس الأشجار والأبذار والحيتان ، وما يجري مجرى ذلك مما لم يأت فيه أثر عن النبي صلوات الله عليه وعلىالله وسلم؟

و**[سألت]** عن أبي عبد الله محمد بن القاسم: هل دعا إلى نفسه الإمامة؟

ولم يكن حال أبي عبد الله رضي الله عنه يخفى على أوليـــاء الله ، ولا استتر عن حزب الله ، فإن كان أخفى ذلك قوم علموه وأسروه ممن شـــاهده بغيا عليه ، فإن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، وقد كـــان مثل هاتين المسألتين قد تقدمتا من إخواننا الطبريين في حياة أبي رضي الله عنه ، وإحداهما خاصة في إمامة أبي عبد الله ، وفضائل أخوته ، ثم جرت مســـألة من إخواننا الطبريين في الأخماس ، فأنكر شيخنا أبو القاسم إسحاق بن القاسم ذلك من أمر الخمس ، ورد بردا من ذلك الوجه ، فردَّ عليه الحسن بن مهدي بن عبد الله بن سهل الطبري ، ردًّا عنفه فيه ، وأنكر مع ذلك كلام من أثبت إمامة أبي عبد الله ، فأجابه الشيخ أبو القاسم إسحاق بن القاسم بجواب يجمل ، فعلمت أن العجم لا يقنعهم من الجواب إلا ما كان بيِّن التفسير ، فأجبت في ذلك بجواب حكايته تغنيني عن جواب هاتين المسألتين ، وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكائن بلا تكوين ، الصانع بلا معين ، وارث الخلق أجمعين ، وجامعهم ليوم الدين ، أحمده على تظاهر نعمه ، وأشكره على ترادف إحسانه ومننه ، وأشهد ألاالله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة ألزمها العقول ، ودل عليها الرسول ، وصدع بها التنزيل ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المصطفى ، وأمينه المرتضى ، ختم به الأنبياء ، وأوضح به الهدى ، وقهر به العُنَدَا ، فبلّغ صلوات الله عليه وآله وسلم ما نُدب إليه ، وصبر محتسبا لما وعد الثواب عليه ، حتى قهر العرب بأسرها ، وردها جميعا عن كفرها ، بتأييد الله وعونه ، وبذلك أخبر الله جل اسمه ، فقال عز من قائل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [الأنفال:٦٢ - ٦٣]. ثم خص الله تبارك اسمه ، وليَّه أمير المؤمنين بنعمة بان فضلها عليه ، وانقاد شرفها إليه ، فجعله عونا لنبيه صلى الله عليه ، وخازنا لعلمه ، وأمينا على سره ، وزماما لحربه ، ومطيعا لأمره ، وقاهر لأعدائه ، فكان رحمة الله عليه لا يتكعكع عن قِرنٍ لاقاه ، ولا ينثني عن مبارز إن باداه ، حتى وطئ أثباج جحاجح المشركين ، وقهر بعون الله جميع المخالفين ، فعليه صلوات رب العالمين ، وعلى ابنيه الطاهرين ، سليلي البتول ، وحبيبي الرسول ، الذين تظاهرت الأخبار بفضلهما ، وأجمعت الأمة على إمامتهما ، ورحمة الله ورضوانه عليهما ، وعلى من احتذى بحذوهما من ذريتهما الطاهرين ، ثم أقول من بعد الحمد لله والثناء عليه ، والصلاة على محمد صلى الله عليه وعلىالله أجمعين ، أما بعد:

فإني قرأت كتابا وَجَّهَ به أخونا الحسن بن المهدي بن عبد الله الطبري ، إلى شيخنا أبي القاسم إسحاق بن القاسم بن محمد بن القاسم رحمة الله عليهم أجمعين ، ولم أكن ممن حضر بالمدينة حرسها الله في وقت موافاة الحاج ، فأكون قدمت كتابي هذا مع من وافى من الإخوان في العام الماضي ، ومع ذلك فلم أشك أن شيخنا أبا القاسم - حاطه الله - قد أنفذ جوابا ، ولم آمن لضيق الوقت ، واستحثاث العجلة ، أن يكون لم يأت في كتابه بالذي لا يمتنع عليه من الجواب عند المهلة ، وتصورت مع ذلك رسالة أخينا ، فإذا هي لا بد تقتضي جوابا ، يكون له فيه مقنع ، ولمن لما ادعاه علينا مدفع ، وسأشرح له ولكم يا جماعة إخواننا السبب الذي أوجب رسالته واقتضى جوابنا.

اعلم وإخوتنا جميعا - وقانا الله فيكم جميع الأسواء - أنه ورد إلينا أخونا وأخوكم إسماعيل بن علي ، ووصل إلينا بدراهم ذكر أن بعض الإخوان أرسل بها ، فقبضناها منه على سبيل ما كنا نقبض عليه ما ينفذه إلينا إخواننا ، ثم جرى بعدُ خطاب بدأ لنا فيه من كلامه ، أنها خرجت ممن لا خمس عليه ، إلا برأي إمام له ورآه في عصره ، وأن الذي أخرجها أخرجها على سبيل الإيجاب ، في جميع الحالات والأسباب ، لا على سبيل الاستحباب ، فكرهنا أخذها على هذا السبيل ، فرد أخونا الحسن بن مهدي ردا احتج فيه بغير ما حجة أقام برهانها ، ولا بآية أوضح بيانها ، فكان أول ما ذكر لنا ، واحتج به علينا ، أنه روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بعض ما أثره منه من فضل أهل بيت محمد عليه وعليهم السلام قوله: « مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق وهوى » ، وهذه الرواية - والحمد

لله - حجة لنا يوجب عليه التعلق بنا ، والتمسك بحبلنا ، ولقد كان الواجب على أخينا حين اشتبه عليه ما فعلنا ، أن يجعلها مسألة يستقصي فيها علينا ، فيقول: فعلتم وما الدليل على هذا وذا؟ فتكون حينئذ بين أمرين لا ثالث لهما ، إما أن تقيم دليلا أولا ، فيتبين له منا عجز ، فيكون حينئذ علينا مؤيِّد ، ولما يبدو له من جهلنا مفندا ، ثم ذكر بعد ذلك في خطابه - تولى الله كفايته - الأئمة عليهم السلام ، واجتزى بمعرفة المخاطب بهم عن تسميتهم ، وذكر القاسم عليه السلام ، وأن جده عبد الله بن سهل احتج بحجته ، وتعلق ببرهانه ، واقتدى بقدوته ، وتسنن بسنته المستقيمة ، واستنار بنوره ، واستفاد منه علما جما ، ثم ذكر أنه نال من الهادي عليه السلام مثل ما نال من القاسم عليه السلام ، وأجاز له روايته وسماعه عنه ، وكذلك المرتضى والناصر عليهما السلام ، حتى استفاد منهم كتبا فيها علم الخلائق طرا ، مما يحتاج إلى يوم القيامة ، ولقد طال فكري عند هذا الخطب ، وترك سؤاله لهذه الذرية من بعد القاسم. ومحمد بن القاسم في هذا الزمان الذي يذكر موجود بعدُ غير مفقود ، فيا عجبا له لِمَ ترك سؤاله وهو إذ ذلك أقعد الناس بالقاسم؟! ومن لم يكن ينكر فضله أحد من ولد القاسم ، بل كان كلهم يعلم أنه إذ ذلك العالم ، وإن في هذا ومثله لدليلا على فساد ذات بينكم ، فإلى الله المشتكى وهو حسبنا.

وذكرت أن مهديا بن عبيد الله سألهم عن الأخماس وكم هي وما هي؟

فكان من جواب الهادي رحمة الله عليه له أن قال: الغنائم - أكرمك الله - فهي كل ما غنم في حجر أو مدر أو بر أو بحر أو عسكر ، من ذلك الذهب والفضة والحديد والنحاس والزئبق والكحل والسمك والدر واللؤلؤ

والعنبر والمرجان ، وغير ذلك من سائر المعادن ، كانت في بر أو بحر ، وكذلك الخرز والفصوص ، وما غنم من عساكر الباغين ودُور الحرب ففي كل ذلك ما جعل الله من الخمس من الأصناف ، الذين جعلت لهم ، وأنا أرجو بمنة الله أن لا يكون رجل من فضلاء الشيعة وعلمائها ذكر إلا ما ذكر له ، ولكن ليس كل الكلام يجزي ظاهره عن باطنه ، والقاسم عليه السلام العالم وبه يقتدي العالم ، ثم ولده من بعده يَقْفُون أثره ، ويعلمون أمره ، وما أعلم منهم من بعد القاسم إلى هذه الغاية مختلفين ، ولا فيما بعد من الأرض وقرب إلا مؤتلفين ، إلا أن يكون ذو جهل بظنه ، ولا يعرفه بعينه ، فلعله أن يكون لقلة معرفته يتابع المخالفين ، تعرضا لدنيّ ما ينال ، وطمعا لما يؤكل من سحت الأموال ، ولعله مع ذلك موافق لأهل بيته في باطن أمره ، وما يُسِر من شأنه ، ومع ذلك فعلماء ولد القاسم عليه السلام مجمعون أنه لا اختلاف بين القاسم ولا بين أحد من ولده ، ومنكم يا إخوتنا من يزعم ذلك لاشتباه الكلام عليكم ، وقلة الإنصاف فيكم ، ولاجتزائكم بأنفسكم عن ذرية نبيكم ، صلوات الله عليه وعليهم وسلم ، الذين أُمرتم بسؤالهم ، ونُدبتم إلى طاعتهم ، وذلك قول الله عز من قائل: ﴿ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾ [الطلاق:١٠].

فسمى الله تعالى رسوله: ذكرا ، وعرفكم باسمه طرا ، ثم قال عز من قائل: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾ [النحل:٤٣ ، الأنبياء:٧]. وأهله فهم: ذريته ، ومن لا يختلفون في منزلته ، من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم قال جل اسمه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾

[النساء:٥٩]. فهل تعلمون أن أولي الأمر إلا من أمر بما أمر به الرسول ، ونهى عما نهى عنه من ذريته صلوات الله عليه وعليهم ، أو تقولون و- عائذا بالله - ما قالت الرافضة: فلان إمام ، وفلان ليس بإمام ، وذرية فلان أئمة ، وذرية فلان ليسو بأئمة ، ثم تفرقوا بعد ذلك فرقا ، كل فرقة منهم تكفر الأخرى ، وكل فرقة تطعن في إمام الأخرى ، بغيا على آل نبيهم ، ظلما لهم وتعديا عليهم ، والله المستعان على ما يصفون ، فهؤلائك ومن كان مثلهم الذين يقول الله عز وجل فيهم ، ويخبر أهل الإيمان عنهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩]. هذا وهم مجمعون معكم ، أن الأرض لا تخلو من حجة من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إلا أن الرافضة قد أقروا أن حجتهم غامضة ، وأنتم مقرون أن حجتكم ظاهرة ، لا يخلو منه زمان ، إما قائم بحق ، وإما قاعد بحق ، فيا عجبا لكم لقد ذهب بكم الهوى!! وفتنتكم الرؤساء!! حتى عاد بعضكم يطعن على بعض ، وبعضكم يكفر بعضا ، ومع ذلك فلم نسلم منكم ، كما لم يسلم من كان قبلنا من شيعتهم ، فإلى الله المشتكى ، وهو لكل خير المرتجى.

وعدت إلى ما ذكرت - أكرمك الله - من أمر الخمس ، اعلم - - وفقك الله - وإيانا للهدى ، وجنبنا وإياك الغي والردى - أن بعض الخمس الذي ذكر لكم الهادي عليه السلام وأبناؤه لا يخلو من ثلاثة وجوه:

إما لمعنى ، وإما لاستحباب ، وإما لإيجاب.

فأما الإيجاب فيستحيل عندنا ، ولا يصح في قولنا. ومن الدليل على ذلك أنا وإياكم مجمعون في الإمام أن قوله لا يتناقض ، ولا يجد إليه سبيلا معارض

، وهذا القاسم عليه السلام وبنوه أجمعون متفقون فيما أصلوا من الأصـــول ، وشرحوا من الحق ، يزعمون أن للحق وجوها أربعة:

منها: كتاب الله جل اسمه.

ومنها: ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، المترجمة عن الكتاب والسنة.

ومنها: حجة العقل وهي أوكدها.

ومنها: سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المجمع عليها.

وهذه الأمة تجمع جميعا ونحن مجمعون معهم ، أن الغنائم التي نطق بها كتاب الله ، وخمّسها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجرت سنته فيها ، هي: ما غنم من أموال المشركين ، وما أفاء الله به على رسوله إلى الغانمين ، والمعادن من الذهب والفضة وشيء من الجواهر دون ما صنفت ، أجتزئ عن شرحه لك بمعرفتك له ، مما هو مضمَّن جميع النسخ التي بأيديكم ، فهذا معلوم عند جميع الأمة ، قد تواترت بذلك الأخبار ، وتتابعت فيه الآثار ، اللهم إلا أن تكون علمت من الأمة إجماعا لم نعلمه ، فَأَين ذلك؟! ولن تبينه أبدا ، ولن تطابق فيها أحدا من هذا الوجه خاصة ، والوجه الثاني من الوجوه الثلاثة التي ذكرت أولا في خطابي ، وهو وجه المعنى ، وذلك وجه يردك عن رأيك إذا قلت محتجا على خصمائك ، فإن هذه الأصناف التي ذكرت ، ولأسمائها جميعا قد فرقت ، قد وجدنا عيونها بأسرها فيما غنّمنا الله ، فلا يكون لهم بد من الإجماع معك على أن يخمس ذلك كله إذا كان قد غنم ، وأخذ من أيدي القوم الذين قهرهم المحقون ، وظفرهم المسلمون ، وقول الله جل اسمه: ﴿ مَا

غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنفال:٤١] يجمع جميع الأشياء مما سميت ومما لم نسم مما هو شيء. فاعلم ذلك وتَصَوَّرْه تلق رشدا إن شاء الله.

وأما الوجه الثالث وهو وجه الاستحباب ، فهو: وجه لا يشك فيه أهل الفضل ، ولا يمتري فيه أهل العقل ، وهو باب يفعله أهل الاستحاطة والديانة في أموالهم ، ولا يلزمونه العالِم في أحكامهم ، وأهل البيت مجمعون أن الاحتياط أولى بالفضل ، وأسبق إلى العقل ، إلا أن من جعل الله له من أهل هذا البيت الإمامة ، وقلّده أحكام العامة ، ليس له أن يجبر أحدا إلا على ما أجمعت الأمة على أخذه من الأموال ، أخماسا كان ذلك أو زكوات ، لأن الواجب غير المستحب ، وقد حدثني عبد الله بن المختار ، عن أحمد بن أبي العشيرة ، أن الطبرية الذين كانوا مع الإمام كانوا يحطبون ويعملون الطين ، وما كان مثل هذه الأشياء ويؤدون خمس مكاسبهم اختيارا منهم على غير طلبة كان يطلبها منهم ، وهذا تصديق لقولي في الاستحباب ، ولو كان ذلك إيجابا ، لطالبهم به الإمام أشد مطالبة ، وطالب به من كان سواهم ، فقد كان بصعدة ممن يصنع هذه الصنعة خلق كثير ، ما علم أن الإمام ألزم أحدا منهم خمسا فيما كان يكسب ، وهذا الجواب فيما كان من رسالتك يا أخي ، فإذا كان الأمر يا أخانا وجماعة إخواننا عندكم كالذي هو عندنا ، أخذنا خمسكم الواجب والمستحب ، وكان فعله وأخذه حلالا لنا ولكم ، وإذا لم يكن كذلك فَوجْدُنا بفراقكم ، أعظم هما علينا من نوالكم ، والله نسأله التوفيق لنا ولكم ، وهذه وجوه الخمس ومعانيه عندنا ، والذي يرويه آخر عن أول من سلفنا ، وربنا المحمود على كل حال ، ونَسقتَ أسماء أصحاب الخمس من بني

هاشم ، وذكرت تصنيف الإمام عليه السلام لذلك ، وهو باب لا نختلف نحن وأنتم فيه ، ولا نزال متطابقين عليه ، وذكرت أن عندكم أناسا يقولـــون: إن الهادي لم يكن إماماً ، وأنه ظلم أبا عبد الله محمد بن القاسم حين قام ، وهذا مالا أرضاه من قولهم ، كما لم أرض من قولكم: محمد بن القاسم لم يكـــن بإمام ، والناصر لم يكن بإمام ، وأنه ظلم المرتضى حين قام ، فَلِمَ تعيبون على إخوانكم حالا قد أتيتم مثله؟!

وقلت: إنهم لا يقرون بالخمس ، وهذا حالٌ هم فيه مصيبون ، ولـــيس كل الخمس يجحدون ، إنما ينكرون منه ما لم يقم به بينه.

وقلت: إنهم يقولون: لا يجوز للرجل أن يدخل المسجد ولا يتنيـــه إذا لم يكن لإمام السابق ظاهرا ، وهذا القول قد صح لي أنهم لا يقولونه ولا يعملون به ، والدليل على ذلك أني قد شاهدت منهم رجالا بالحجاز ممن يحج منهم ، يدخلون المسجد الحرام ومسجد النبي عليه السلام ، وما أرادوا من المســـاجد التي بالمدينة ، مثل مسجد قبا وغيره ، فلو كانوا على ما ذكرت ما دخلوا هذه المساجد ، ولا تَعَنَّوا لها من المسافة البعيدة.

وقلت: إنهم لا يرون الغسل إذا جامع الرجل زوجته و لم يمن ، وهذا في إجماع الأمة لا حرج فيه ، والاغتسال أفضل ، وقد فسرنا ما يوجب الغســـل ممن أمنى أو لم يمن ، واحتججنا على ذلك من الكتاب والسنة بما فيه كفاية ، وأنا أرجو أن تتبعوا الأفضل ، وتعتزلوا الأقل.

وقلت: إنهم يقولون: إن ليس للصلاة وقت ، فَصَلِّ حين تريد ، وهـــذا أيضا فلم نعلمه منهم ، فنحن نطلع من حالهم على ما لا تطلعون عليه.

وقلت: إنهم يقولون: إن الإمام لم يكن إلا علي بن أبي طالب ، والحسن ، والحسين ، والقاسم ، وأبو عبد الله محمد بن القاسم ، ولا يقرون بإمامة زيد مع ورعه ، وقد فهمت جميع ما قلت ، وتصورت كل ما ذكرت ، فإذا هـو باب يسمج ، ويحتاج أن يوضح لأهله المنهج ، إذ أشهد بذلك عليهم غـير خصمهم ، لأن جميع العلماء يجمعون أن الخصم لا تجوز شهادته على خصمه ، وهو مع ذلك مؤمن تقي ، ومع ذلك فلست آمن أن يكون القوم الـذين ذكرت طعنوا في أئمتنا عليهم السلام ، حين ردوا عليهم قبل استتمام الحجج عنهم ، وقبلوا عليهم شهادة خصمائهم ، ومع ذلك فقد لقينا من القوم الذين ذكرت طرفا ، ولم يظهر لنا منهم مثل الذي ظهر لك ، ولو ظهر لنا ذلـك لنقضنا رث ما يقولون ، وأبرمنا من الحق ما يكرهـون ، إلا أن لكـل نبـأ مستقرا.

وأما ما تختلفون فيه من تفاضل أئمتكم ، فأنتم تجدون اليقين في ذلك ، إذا أنزلتم كل إنسان مترلته من رسول الله صلوات الله عليه وعلىالله وسلم ، فالأقعد به مع تمام العلم أعلا طبقة ، ولن يقعد عالم إلا أن يكون يقعد به أهل زمانه ، فيكون ذلك معذرة له وحجة عليهم ، أو من وراء جهد من علة مانعة من القيام ، فاعلموا ذلك.

وأما إمامة أبي عبد الله محمد بن القاسم عليه السلام ، فقد كان جماعة من شيعة القاسم صلوات الله عليه سألوا أبي رحمة الله ورضوانه عليه عن فضل أبي عبد الله محمد بن القاسم صلوات الله عليهما ، و[سألت] عن إخوته من ولد القاسم ، وسألوه أن يخبرهم عن نعوتهم وما سموا إليه بهممهم ، و[سألت]

عن يحيى بن الحسين هل قام في أيام أبي عبد الله؟ وهل كان أبو عبد الله رحمة الله عليهما ممن قام ، والتأمت فيه شروط الإمامة؟ فكان من جوابه لهم ، وما رفع من الحديث إليهم ، أن قال: حدثني أبي عبد الله بن محمد ، وعمي عبد الله بن الحسين ، عن الحسين بن القاسم رحمة الله عليهم قال: سمعت أبي القاسم بن إبراهيم وهو يقول: صحبت الصوفية أربعين سنة ، ودرت الشرق والغرب ، و لم أر رجلا أشد ورعا من ابني محمد.

وقال: وحدثني عمي عبد الله بن الحسين رضي الله عنه قال: رأيت عمي أبا عبد الله في ليلة من الليالي وهو يطوف بالكعبة في وقت من الليل ، لم يكن يطوف بالكعبة فيه أحد من الناس إلا هو ، ورأيته من حيث لم يرني ، فلما قضى طوافه ، رأيته وقد رفع يده وقد تطقطقت عضداه من الكِبَر ، فدعا الله بما شاء من الدعاء وقال: اللهم إن كنت رأيتني حيث نهيتني فلا تغفره لي ، ثم وضع رجلا على رجل ، وقال: اللهم إن كنت مشيت بهما حيث تكره ، فلا تغفره لي.

قال: وحدثني أبو القاسم طاهر بن يحيى الحسين الحسيني قال: كانت بنو أبي طالب إذا أتى محمد إلى جماعتها لا يتكلم بين يديه منها متكلم ، إلا من بعد كلامه.

قال أبو القاسم طاهر بن يحيى: ورأيته وهو في المسجد الحرام وقد مر ابن أبي ميسرة يختال ويخطر في مشيته ، فحصبه بكف من حصا ، وقال له: تعال فلما وقف بين يديه زجره ، وقال: قد بلغني كلامك في بني أبي طالب ، فارتعد و لم يحر جوابا ، وقد كان من رؤساء هذه الدنيا ، وجبابرة أهلها.

قال أبي رحمة الله عليه: وحدثني عبد الله بن طاهر ، عن أبيه قال: كان قد وقع بين بني حسن وبني جعفر تلك الفتنة ، فكانت فتنة ظلم وطلب رياسة ، فنهاهم عنها فلجوا عليه ، فلم يدخل بينهم ، فلما اقتتلوا قتل من قتل وبقى في المعرك جرحى من الكل ، فرفعهم جميعا وجعل لهم من قام بهم ، وأجرى لهم النفقة الكافية حتى بروا ، ولحق كل حزب منهم بأهله.

وقال أبي رحمة الله عليه: وحدثني أبي عبدُ الله بن محمد قال: كان أبي محمد بن القاسم يتتره عن أكل أرزاق السلطان.

و[سألت] عن كثير مما يأتي من القسوم ، ويتورع عن ذلك كله.

قال أبي علي بن عبد الله رحمة الله عليه: وحدثني ابن بويه ، عن عبد الرحمن بن إبراهيم العامري قال: بعثني القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليه إلى أبي جعفر محمد بن جعفر بن عبيد الله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمة الله عليه بكتاب يخطب فيه ابنته فاطمة ابنة محمد بن جعفر لابنه محمد بن القاسم ، فكان من رد أبي جعفر على أبي محمد القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليه أن كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم ، وصل كتابك أمتعنا الله بحياتك ، ووهب لنا طول عمرك ، تذكر فيه فاطمة بنت محمد بن جعفر ، لأبي عبد الله - أحسن الله توفيقه - والأمر فيهما إليك ، وقد جعلت الزواج بيدك ، فأملكه على اسم الله وبركته وتوفيقه ، فمثل أبي عبد الله يُخطب ولا يَخطب ، ولقد امتلأت سرورا بقربه منا ، وكينونته من جملتنا ، جمعهما الله على الألفة ، وكفاهما شر إبليس اللعين برحمته. قال: ولو عددنا فضل أبي عبد الله رحمة الله عليه لما بلغنا الغاية فيه.

قال أبي رحمة الله عليه: وكان محمد بن القاسم صلوات الله عليه قد باع من الله نفسه ، فخرج إلى الحيرة هو وأخوه سليمان بن القاسم ، فنزل على أشهب بن ربيعة صاحب المعدن ، فبايعه وأخذ له بيعة كثيرة ، وكانت له بيعة باليمن ، وأخذ له ابن الجوزي بيعة بمصر ، وكتب إليه وهو بالحجاز يخبره بمن بايع له وبكثرة أنصاره ، فلم ير صلوات الله عليه التخلف بعد ما اتصل به من علم ذلك ما اتصل ، فخرج إلى مصر حتى كان بالعويد ، ثم ورد عليه كتاب ابن الجوزي يخبره فيه أن جيوش بني العباس قد ضبطت البلد ، وأن كل من كان بايعه قد ذهب ونكث ببيعته ، ولم يكن رحمه الله صَحِبَه من الحجاز إلا شرذمة تقل عن مكاحفة العساكر ، من ولد الحسن والحسين وجعفر وعقيل ، وجماعة من قريش فيهم عبد الرحمن بن إبراهيم العامري ، ونفر من العرب يسير ، فكره صلوات الله عليه أن يلقي بشرذمة من المؤمنين قليلة إلى التهلكة ، ولم ير في دينه صلوات الله [عليه] أن يحملهم على السيف ، وقد تقرر عنده ما تقرر ، فردهم تقية فيهم حين علم قلة حداهم وكثرة عدوهم ، ونكث أهل العهد لبيعتهم ، فرجع عند ذلك غير مختار للرجوع ، بل راجع وهو مجد غير متوان ، دعاته في جميع البلدان ، وكانت له بيعة بطبرستان ، وكانت له بيعة بكرمان ، وكان صلوات الله عليه حريصا مجتهدا على القيام غير متوان ولا مقصر. ألا تسمعون لمخاطبته لأخيه سليمان بن القاسم في شعره الذي يقول فيه:

فصبرا جميلا يا سليمان وانتظر ... فكم من رجاء عاد ثم أمانيا

ثم يقول في هذه القصيدة البيت الذي يستشهد به على دعوته.

فقال:

قد يعلـــم الله العلـــيم بـــأنني دعوتهم لو يقبـــل الله داعيـــا

ولكنه رحمه الله راجا أهل دهره بكثرة الغدر ، والإخلاف في كل أمر ، حتى علت سنه ، ولزمه مرض في ركبتيه أزمنه ، فزال عنه فرض القيام عند ذلك ، فكان كما قال الله عز وجل: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾ [الذاريات:٥٤]. فهذا ما ذكر أبي رحمة الله عليه من فضائل أبي عبد الله وإمامته ، وقد شرحت لكم في الإمامة في أول كتابي هذا ما إذا عملتم به لم تضلوا أبدا ، فاعلموا بذلك تلقوا رشدا.

وقال أبي رحمة الله عليه لمن سأله: وأما الهادي رحمة الله عليه فلم يقم حتى آل عمه إلى الحال التي سقط عنه معه فرض القيام ، مما تقدم ذكـــره أولا في كتابنا هذا ، وكان قيام الهادي قبل وفاة عمه عليهما السلام بسنة ، وعمـــه يومئذ زمن لا يقوم ، وهو يعد إذ ذاك من السنين نيفا وثمانين سنة ، رحمة الله ورضوانه عليهما.

ثم ذكر أبي رحمة الله عليه إخوة جده محمد بن القاسم فقال: والحسن بن القاسم فقيه أهل زمانه رحمة الله عليه ، مع ما كان يذكر عنه مـــن بصـــره بالأمور ، وحسن جواره للجيران ، ورحمته للأيتام ، وتحننه إلى الضعفاء مـــن الأنام ، يبغي بذلك الثواب ، ويتقرب به إلى رب الأرباب ، فعرَّفه الله صالح ما قدم ، وألحقه بجده النبي المكرم.

وإسماعيل بن القاسم في الدين كان نسيج وحده ، أبر الناس بـــرحم ، وأبعده من كل قبيح وإثم ، رحمة الله عليه.

والحسين بن القاسم خير خلف لسلف ، أو ربع أهل زمانه ، وأبصرهم بالعربية ، وأبعدهم من الأفعال الدنية ، فرحمة الله عليهم أجمعين ، ونوامي بركاته ، فلقد حذوا من فعل أبيهم ما لم يحذ أحد من الأولاد ، إلا من كان مثلهم من السلف والأجداد ، ومن فضل أبي عبد الله وإخوته فما لا تحيط به ، وهو غير غبي عند من عرفهم ، ممن يقتدي بهم وبسلفهم.

ثم بنو القاسم بعد ذلك لا ينكر بعضهم فضل بعض والسلام.

وهذا ما كان من جواب أبي رضي الله عنه لمن سأله ، فالله الله يا إخوتنا في فكاك أنفسكم ، وخلاص مهجكم ، فلن تجدوا لها مخلصا غيركم ، واعلموا أنا بمنّ الله بسبيل لا يضل من سلكه ، ولا يرشد من تركه. واعلموا أن الله نهاكم عن اتباع ما سواه من السبل ، فقال عز من قائل: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٥٣]. فنسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه.

وسأل أخونا أبو الهيثم يوسف بن عقيب الهمداني - تولى الله رشده - مسألة انفرد بها ، وكانت مسألته - تولى الله كفايته ، وعظم هدايته - عن صبية ابتدأها الحيض ولج بها ، وجهل أول أمرها ، حتى مضت له مدة من الزمان ، والدم لاجّ بها ، وعاد لا يتمعنى لها الحيض من الاستحاضة ، وذكر مع ذلك أنها غريبة لا نساء لها ، فظننتُ أن مسألته هذه عنته فلم أجبه عنها ، وذلك أني لم أجد هذه المسألة في مسطور أئمتنا عليهم السلام ، ثم عاد لهذه المسألة بعينها ، فاستنبأته هل لها حقيقة ، فذكر لي أن مثل ذلك قد جرى وكان ، فلما صح لي ذلك رفعت الجواب لأعمل في مسألته النظر ، أو أجد

فيها لأحد من الأئمة أثرا ، فلم أعدم ما التمست ولله المنة على ذلك ، ورحمة الله على من أصَّل لنا من العلم أصلا نبني عليه ، وأقام لنا من الحجج كهفا نلجأ إليه ، فلعمر الله لقد ورَّثنا القاسم صلوات الله عليه ما ورَّث من أبوته ، وكلاه من الكائدين حتى ودَّاه إلى ذريته ، وإلى أهل البر من قرابته ، وإلى المسترشدين من شيعته ، فجزاه الله عنا أفضل ما جزى أباً عن ذريته ، وأهل مودته.

واعلم أيها السائل - أرشدك الله لما يحب ويرضى - أن جواب مسألتك التي سألت عنها ، يخرج في آخر هذه المسألة ، فقد أفردتها للحيض ، لتكون لمن أطاع الله من النسوان رداء يرجعن إليها ، وبالله التوفيق.

اعلم - وفقك الله - أنه ليس من امرأة حل بها الحيض إلا ولحيضها مدة يتناها أكثرها إلى عشرة أيام ، لا تزيد عليها يوما واحدا ، وأدنى حيض يلم بامرأة ثلاثة أيام ، فما كان أقل من الثلاث فهو حيض عرض له فساد اخترمه عن تمام ثلاثة أيام.

وأما الاستحاضة فأدناها بعض ساعة فصاعدا ، وأقصاها ما بين الحيضتين من أيام الطهر.

واعلم أنه لا يحفظ الحيض من النساء إلا المؤمنات الصالحات ، وليس يحفظن ذلك إلا أن يحفظن الأيام من عند ابتداء الحيض ، تفسير ذلك: امرأة ابتدأها الحيض ابتداء ، فعدت أيام حيضها ما كانت من العدد ، ثم رأت الطهر ، فعدت أيام طهرها ما كانت من العدد أيضا ، ثم رأت الدم بعد انقضاء أيام الطهر ، فالواجب أن تعد أيام الحيضة الثانية ، فإن أتت مثل عدة

الأيام المتقدمة فقد صح لها العدد ، وعرفت إن شاء الله أيام قرئها ، وعرفت ما بين القرئين من أيام طهرها ، فهذا نعت ما صح من الأقراء. وأما إن زادت الحيضة الثانية على الحيضة الأولى يوما أو أياما ، فلترجع الامرأة إلى نسائها فتقيس نفسها بهن ، فإن كان عدد أقرائهن مثل عدة قرئها الأول ، فذلك لها قرء ، وما زاد فهو استحاضة ، وإن كانت ممن لا نساء لها تقيس نفسها بهن ، وكانت حيضتها الثانية أكثر من حيضتها الأولة ، فلترجع إلى حيضتها الأولة ، وما زاد فهو استحاضة ، فإن كانت الآخرة أقل من الأولة ، فذلك لمعارض عرض ، فمنع الحيضة الثانية من التمام ، فتجعل الأولة قرءاً تعمل به ، وتبني عليه إن شاء الله.

واعلم أيها السائل أن الحيض متصل بعضه ببعض ، والطهر متصل بعضه ببعض ، فما داخل الحيض في أيام الأقراء من الطهارة، ، فإنما ذلك لعلة عرضت ، وما داخل أيام الطهارة من الدم ، فإنما ذلك أيضا استحالة لعلة أيضا تحدث من العلل ، ومن حفظ من النساء أيام الطهارة التي تكون بين الحيضتين ، علمت أن ما كان في تلك الأيام استحاضة ، فلم يفتها فيها صلاة ولا صيام ، ومن أضاع من النساء حفظ ما بين الحيضتين من الطهارة ، لم يميز لهن الحيض من الاستحاضة ، وأضعن الصلاة والصيام ، وكن عند الله من الهالكات بالآثام.

واعلم أنه ربما عرضت العلة فلجَّ الدم بالمرأة زمانا طويلا ، لعلل شتى ، من ذلك ما يكون على الحبل ، ومن ذلك ما يكون على الرضاع لبعض النساء ، ومن ذلك ما يكون للعلة تعرض ، فإذا اتصلت أيام الطهر فلتضع

المرأة العدد ، وتلزم أداء الفرائض حتى يرجع إليها الحيض ، ثم تستأنف العدد على ما جرت العادة ، كما ذكرت في أول كتابي هذا.

وأما الدم إذا لج ، فليس تخلو صاحبته من أحد أمرين:

إما أن تكون حافظة لأقرائها كما ذكرت في أول هذه المسألة.

وإما أن تكون مضيعة كما ذكرت في مسألتك يا أبا الهيثم ، فإن كانت حافظة لأقرائها كما ذكرت ، فالواجب أن تلزم الصلاة في أيام الطهارة ، وتتركها في أيام القرء.

تفسير ذلك: امرأة كانت قد جربت من نفسها سبعة أيام حيضا ، وستة عشر يوما طهرا ، ثم سبعة أيام حيضا ، فكان هذه المرأة كانت تحيض في ثلاثين يوما حيضتين ، مرة في أول الثلاثين ، ومرة في آخرها ، ثم ابتدأها الحيض في أول يوم من القرء الأول ، ولجّ بها الدم زمانا طويلا ، فكأنها وقفت عن الصلاة السبع الأُول ، وصلّت الستة عشر الوسط ، وخلّت الصلاة السبع الأُخر ، ثم عادت بعد انقضائهن إلى الصلاة ستة عشر ، ثم لزمت ذلك كذلك ، فلم تبرح حتى يجعل الله لها فرجا مما عرض لها.

وأما التي قد لجّ بها الدم ، المفرطة في نفسها حتى عادت لا تعرف الحيض من الإستحاضة ، فهذه لا تكون عاقلة أصلا ، لأنه يستحيل عند ذوات العقل من النساء أن يكون الحيض والإستحاضة سواء ، إذ لكلا الحالتين معنى يستدل عليه به.

وتحقيق ذلك: قول القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليه: دم الحيض خالص لا يشبه دم الإستحاضة ، لأن دم الإستحاضة دم صافٍ لا يشبه دم الحيض ، وليس يخفى دم الحيض إلا على ذات حمق من النساء.

وتحقيق ذلك أيضا: قول الهادي إلى الحق صلوات الله عليه: الحيض ربما صرعت أوجاعه النساء ، وهو مرض من الأمراض. ففي ذين القولين دلالة لمن اشتبه عليه أمره ، فإذا ابتليت المرأة بلجاج الدم ، وكانت قد أضاعت ، فلتنتظر أول وجع يلم بها من أوجاع الحيض التي معه ، فتحصي من أول يوم يلم بها إلى ما تعلم من الأقراء لنسائها ، ثم تصلي عدد ما لنسائها من أيام الطهر التي تكون بين القرءين ، ثم تقف عن الصلاة ، كذلك لا تزال على هذه الحال حتى يجعل لها الله فرجا ، فإن كانت ممن لا نساء لها - وهذه نفس مسألتك يا أبا الهيثم التي سألت عنها - كذلك فلتنظر هذه المرأة أول وجع يلم بها من أوجاع الحيض التي تلم معه ، فتحصي من أول يوم يلم بها إلى تمام عشرة أيام - وهو أكثر ما يكون الحيض - ثم تصلي وتفعل ما تفعل المستحاضة ، وتحصي من أول يوم صلّت فيه العدد إلى أن يلم بها من أوجاع الحيض ما أَلَمَّ بها في الابتداء ، ثم تقف عن الصلاة عشرا أخرى ، فإذا عرفت ما بين القرءين من الأيام لزمت في تلك الأيام الصلاة.

والحيض لها علامة كما قال القاسم بن إبراهيم صو ، إلا أنه ربما عرض له العلة التي تغير لونه ، والوجع فلا يخلف إما قليلا وإما كثيرا. فإذا فعلت ذلك هذه الممتحنة فقد صح لها إن شاء الله ما كان أولا غَبِيَ عنها ، وقد استطهرت بعد ما وجدت من كلام الإمامين صلوات الله عليهما.

وسألتُ نسوة من ذوات السن والديانة ، والورع والصيانة ، عن معنى قول القاسم عليه السلام: دم الحيض خالص لا يغبى إلا على ذات حمق من النساء؟ فقلن لي: القول كما قال عليه السلام ، يكون أبدا إلا كما قال ، إلا عند عارض علة وقل ما يعرض لذلك.

وسألتهن أيضا عن قول الهادي إلى الحق صلوات الله عليه: أمراض الحيض تصرع النساء؟ فقلن: صدق وذلك مختلف ، فمن النساء من يزري بها ذلك الوجع ، ومَن من لا يزري بها ، وهي تجد لا محالة وجعا عند إلمام الحيض ، أدناه تحس به المرأة وتجده ، وهذا جواب مسألتك يا أبا الهيثم ، والله يرحم من استدللنا على جوابها من قولهما ، و يرضى عنهما رضاه عن الأبرار من سلفهما ، فإن كانت المرأة التي ذكرت ، فاتها شيء من الصلوات فلتقضها عند تحقيق أمرها ، وإن كانت لا تثبت عدة ما أضاعت فلتحر ذلك ، وتستغفر الله مما تركت.

واعلم أن الحيض على ضربين: حيض نفاس ، وحيض قرء ، وقد يلزم النساء فيها لوازم توجب أن أشرح ذلك لهن ، وذلك عندما يكون للرجال عليهن من العدة ، تفسير ذلك: أن القرء الواحد ربما عرضت له العلة فداخله من الطهر ما يقسمه ، فيعود ثلاثة أقراء صغارا ، يفصل بين كل قرءين طهارة. تفسير ذلك: امرأة كان قرءها عشرة أيام ، فابتدأها الحيض يومين متتابعين ، ثم رأت الطهر في اليوم الثالث ، ثم عاد إليها الحيض في اليوم الرابع ، فتولى بها ثلاثة أيام ، ثم رأت الطهر اليوم السابع ، ثم رجع إليها الحيض في اليوم الثامن إلى الأيام العشر ، فهذه ثلاثة قروء قد فصل بينها الطهر الذي

يجب على المرأة معه الصلاة ، فهذا قرء واحد لا تنظر إلى تَجَزِّيه بأيام الطهر التي فصلت بينه ، ولا يكون القرء التام إلا الأيام التي جربت المرأة من نفسها عشرا أو دون ذلك ، استقام القرء أو عرض له فساد.

وكذلك من طلق من النساء في وجه نفاس ، ثم رأت الطهر دون الأربعين ثم رجع إليها الدم ، فهذه في قرء نفاسها بعد ، ولا تحتسب بالطهر(١) الذي عرض لها ، فإذا انقضت الأربعون يوما وهي قرء النفاس ، استأنفت ثلاثة قروء بالحيض كما أمرها الله جل اسمه ، والعدة فلا تكون إلا في وجه طهر بعد الحيضة التي طلقت وهي فيها ، فهذا صحة هذا الباب ، وما بعَّد من الشك والارتياب ، والحمد له ولي الحمد والثواب ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم تسليما.

يتلوه الجزء الثاني

(١) قال في الهامش: لعله إذا لم يكن الطهر عشرا فما فوقها. والله أعلم.

كتاب

التنبيه والدلائل

الجزء الثاني

كتاب التنبيه والدلائل

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، والسلام على المرسلين ، وعلى جميع عباده الصالحين ، ولما اتصل بي يا جماعة الإخوان قَوًّا الله عزائمكم في الإيمان ، ووفقكم للإحسان ، ما تضمنت كتبكم من إعلام سلامتكم ، ومواهب الله الجميلة عندكم ، سرني ذلك لكم ، أتم الله ما بكم من نعمه ، ووقاكم ما يكره من نقمه ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم تسليما ، وكذلك جميع مسائلكم فقد وقفت عليها كلها في أشغل وقت مر بي ، في حين رحيل ، وضعف من مرض طويل ، أحمد الله على ذلك كثيرا كما هو أهله ومستحقه ، فإن تأخر من جواب مسائلكم شيء في هذا العام ، فَلِمَا ذكرت لا لعدم الجواب ، والله ولي الفضل والثواب.

وبعد يا جماعة الإخوان: فإن عتاب أهل الرشاد تأكيد للوداد ، وعتاب الأضداد سبب للبعاد ، وقد رابني منكم أني أجيب السائل منكم على المسألة فينكر الجواب ، ولا يذكر لي ما ينكر ، حتى إنما يذكر لي عنه ويتصل بي لا عنه ، فأرجع حينئذ في المسألة إلى جواب آخر ، استقصي فيه شرح الأدلة ، فيأتي كالرد على ذي المسألة ، وهذا ومثله سبب الفرقة والإختلاف ، وتباعد

من الحق والإنصاف ، وقد حملت أموركم - تولى الله رشدكم - على أحوال أربعة:

فمن ذلك أن تكونوا قد لبس عليكم بمسائل تخالف الكتاب والسنة المجمع عليها ، وأسندت بعد ذلك إلى أئمتكم عليهم السلام ، فأنتم لمحبة الأئمة عليهم السلام - وهم أهل ذلك - لا تَدَعُون ما في أيديكم ، إلا أن يأتيكم ما يوافق ما معكم ، فإن كان الأمر كذلك ، وعائذا بالله من ذلك ، فلا حاجة لكم بالسؤال إذا أنتم عنه في غنى ، وإنما يسأل من افتقر إلى السؤال ، فيأخذ ما يعطى ويقنع به بعد الحاجة إليه ، فيزكوا حينئذ عنده ولديه ، فهذا وجه.

ومن ذلك أيضا: أن تكونوا قد توهمتم سببا هو شاق على أهله ، فأنتم تسألون تعنتا ، ولا تسألون تفقها ، وقد نهى أمير المؤمنين صلوات الله عليه مَن فَعَلَ مثل ذلك من أصحابه ، وقد علمتم ذلك في الأخبار المنقولة ، فهذا وجهٌ ، ومن اعتقده خرج من جملة الإسلام ، وعائذا بالله لي ولكم من ذلك.

ومن ذلك أن تكون مسائلكم اختبار ، فإذا كان كذلك فليس إلى منعكم من هذا اعتذار ، ولكن من أراد مثل ذلك ، احتاج إلى عقل رصين وإلا فخرج به الأمر إلى بعض المهالك ، حمانا الله وإياكم من ذلك برحمته.

ومن ذلك: ما لا أشك فيه ، ولا أحمل أموركم إلا عليه ، وهو أن تكون مسائلكم مسائل المسترشدين ، المتفقهين في الدين ، وأنا أجيبكم - بحمد الله ومَنِّه - جوابا لا أعدل فيه عن كتاب الله ، ولا عن سنة نبيه صلوات الله عليه وعلىآله وسلم ، فمن أدرك معرفة جوابي وتحققه ، وإلا فيعرفني بذلك حتى

أزيده شرحا وبيانا يقنع به إن شاء الله تعالى ، بحول الله وقوته ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

سألنا أخونا أبو محمد جهضم بن محمد ، تولى الله توفيقه فقال: قال الله عز وجل لعدوه إبليس و ﴿ فَٱخْرُجْ مِنْهَا ﴾ [القصص:٢١]. هذه هاء سمى الله بها شيئا كان فيه عدوه فأخرجه منه ، ما ذلك الشيء الذي خرج منه إبليس؟ ثم بعد أن خرج ، فيما ولج؟ وهل خرج بالجبر أو بالأمر؟ فإن يكن أخرج بالجبر فكيف يجوز أمر المجبور؟ وقال: لولييه آدم وحواء عليهما السلام ﴿ ٱهْبِطَا مِنْهَا ﴾ [طه:١٢٣] هذه الهاء اسم ، فما الفرق بين المسميين بهاتين الهائين ، لأن معصية عدو الله عمد وعصيان ، ومعصية وليه آدم غفلة ونسيان ، وهل يجوز في العدل أن يكون الإهباط وهاء الإخراج لشي واحد؟ فليكن للسائل عن ذلك جواب؟

والجواب: اعلم يا أخي ، وُقِيتَ جميع المكروه والمساوي ، أن هذه الهاء علامة للاسم المكنى ، ودلالة على الشيء المعنى ، وذلك الجنة. فأما الهاء نفسها فليست باسم لما عين بها عليه ، فلو لم يعرفنا الله جل اسمه الاسم قبل هذه الهاء وبعدها ، لما درينا فيما كانا ولا مما أُخرجا.

وأما قولك: ما ذلك الشيء الذي أخرج منه إبليس؟

فذلك: الجنة ولم تكن له محلا ، وإنما جعلها الله محلا لآدم وزوجه عليهما السلام ، وإنما كان عدو الله يلم بآدم في جنته ، كما ألم بعد ذلك بولده في جنانهم ، وفي غير ذلك من أوطانهم.

وأما مولجه ففيما جعل الله له مولجا ولقبيله من الجن ، وهي الأهواء التي بين الأرض والسماء.

وأما قولك: هل خرج بالجبر أو بالأمر؟

فإني أقول: إنه أخرج بالأمر لا بالجبر ، ولذلك لم يخرج ، ولو كان خرج بالأمر طائعا ، أو بالجبر مكرها ، لما أدرك آدم منه ضر ، والدليل على عصيانه قول الله سبحانه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۝ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ۝﴾ [الأعراف:١٢-١٣]. فلما عصى اللعين أمر الآمر بالخروج ، علم أن قد استحق من الله العقوبة على عصيانه في السجود ، وعصيانه في الخروج ، فطلب من الله النظرة بما استحق من العقوبة ، فأنظره الله ممليا له ، ليستحق من العذاب أضعاف ما استحقه ، فعند ذلك حذّر آدم كيده.

وأما قولك: قال الله عزل وجل لوليه آدم وحواء عليهما السلام: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا﴾ [طه:١٢٣]. هذه الهاء أيضا اسم فما الفرق بين المسميين بهاتين الهائين ، لأن معصية عدو الله إبليس عمد وعصيان ، ومعصية وليه آدم غفلة ونسيان؟

وقلت: لا يجوز في العدل أن يكون هاء الإهباط وهاء الإخرج لشيئا واحدا؟

فإني أقول في الهاء والأسماء كقولي الأول ، وفيه ما شفى وكفى ، لمن كان في الحق منصفا.

وأما قولك: فما الفرق بين المسميين بهاتين الهائين؟

فإني أقول: لا فرق بينهما إلا في اللفظ ، والمعنى يجمعهما إن كان من أدك في الإهباط والإخراج ، لأن الله سبحانه قال: ﴿ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة:٣٨]. وقال: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا﴾ [طه:١٢٣]. وقال: ﴿ٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ [الأعراف:١٣]. وكذلك في الخروج قال: ﴿مِنْهَا﴾ ، فهذه الهاء تعيين على الجنة لا على شيء سواها ، وهذه الهاء هاء التأنيث معروف ذلك ، وإن كان مرادك آدم وإبليس ، فليست الهاء لهما اسما ، ولا تعيينا على اسم مذكر يكنى ، وإنما ذلك الألف ، لأنه قال: ﴿لَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾ [طه:١١٧]. وقال: ﴿فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه:١١٧]. وقال في إبليس: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ [طه:١١٧]. ونحو ذلك كثير.

وإن كان مرادك في العملين العدوان والعصيان ، والغفلة والنسيان ، فإني أقول ، وجميع الأمة كلها تقول: إن ذلك لا ينسى أبدا ، فكذلك قلت: لا يجوز في العدل أن تكون هاء الإهباط وهاء الإخراج لشيء واحد ، وبلى قد يجوز ذلك في العدل إذا كان المخاطب واحدا قيل له: اهبط منها ، واخرج منها. وإن كان قولك لشيء واحد تريد به أن من انتظمه هاتان الهاءان يكون شيئا واحدا سواء ، فإني أقول: إن ذلك يجوز في الأمر ، ولا يجوز في المعنى ، إذ ليس من العدل كونهما سواء ، و[سألت] عن قول الله سبحانه يحكي قول وليه سليمان عليه السلام عندما عرضت عيه الصافنات الجياد فقال: ﴿إِنِّيٓ

أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [ص:٣٢].

فكأنه لم يحب الخيل ، وإنما أحب حبها ، لأنه قال: ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾. و لم يقل: أحببت الخيل ، والمعروف أنه أحب الخيل ، ولذلك اشتغل لا أنه أحب حبها ، فما مخرج ذلك في اللغة والبيان؟

الجواب: اعلموا يا أخي أن مخرج هذا في اللغة والبيان ، معروف عند أهل الفصاحة واللسان ، ولذا لم ينكروا التثنية والتكرير من قول سليمان ولا غيره ، لأنه عليه السلام لما قال: ﴿أَحْبَبْتُ﴾. كفاه عن أن يثني فيقول: حبا مرة أخرى ، فلما كان ذلك جائزا في اللغة لم ينقل عليه تكرير المحبة ، وذلك غير منكر عند أهل الفصاحة ، ومن ذلك ما يقول القائل منهم: أحببت حبا ما أحبه أحد ، وركبت ركوبا ما مثله ركوب ، وسرت سيرا ما يعدله سير ، وقلت قولا ما شاكله قول ، وأخذت أخذا ليس دونه دفع ، وأعطيت إعطاء ليس معه منع ، كل ذلك يكررونه ولا ينكرونه على قائل أكثر منه أو أقل ، وفي مثل ذلك يقول بعض شعرائهم:

علقت حب الغانيات فزادني ... كلفا وحب محبة الخلان

فقال: حب محبة الخلان ، فكرر وإنما مراده وحب الخلان ، ففي هذا ومثله دليل وبيان لما سألت عنه ، فاعلم ذلك ، تولى الله حفظك برحمته.

وسأل أخونا كثير بن أبي الخير المعمري أن أُعرِّفه تفسير الخمسة الأصول ومعانيها؟

الجواب: اعلم يا أخي أن تفسير الخمسة الأصول تفصيلها ومعانيها: تأويلها ، فمن ذلك الإقرار بالعدل والتوحيد ، ومعنى الإقرار فهو: التصديق

بقدم الواحد الفرد المجيد ، والإيقان بأن ما سواه محدث يبيد ، وأنه لا يظلم أحدا من العبيد ، ولا يعاقب على ما يريد.

والتصديق بالوعد والوعيد. ومعنى التصديق فهو: الإيقان بصحة قول السيد المجيد ، الذي لا يخلف من وعده الموعود ، ولا يصرف عمن عصاه الوعيد.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومعنى الأمر فهو: القول من المؤمن لمن يأمر بطاعة الله أو ينهاه عن معصيته ، والحجة التي لا تعدم في أرض الله ، وممن الحجة فهو: من يبعث الله من الأنبياء في أزمانهم ، ومن أوجب له الإمامة من بعدهم.

والأسماء التي يفرق بها بين عباد الله. ومعنى ذلك: أن الله سبحانه سمى المطيعين له: مؤمنين ، وسمى العاصيين والجاحدين: مشركين وكافرين ، وسمى من أخفى الكفر وشهد بالشهادتين غير معتقدين لذلك: منافقين ، وسمى من خالف وفسق من أمة نبينا صلوات الله عليه وعلى آله: ظالمين.

فهذا تفسير الخمسة الأصول ومعانيها. وأما تصنيف المعاني فقد اجتزيت بكتاب التوحيد عن الكلام على ذلك ، فانظره يا أخي ففيه شفاء لما تريد ، ولكل مرتاد مستفيد ، وفقنا الله وإياك للرشد والتسديد برحمته.

و[سألت] عن الإرادة هل هي إرادة أو إرادتان؟

الجواب: اعلم - وفقك الله - أنها إرادة واحدة ، لحالين: أحدهما حتم مقدم لم يتعبد الله العباد فيه بحال عند كونه ، والآخر كالأول إلا أنه حتم مؤخر تعبد الله العباد بحذر ما حتم منه قبل إنفاذ حتمه له ، تخييرا منه لهم ، لم

يحتم بذلك عليهم قبل تحذيره إياهم. والدليل على ذلك قول سبحانه: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ [الأنفال:٦٧]. والآخرة فقد عرَّفنا الله جل اسمه ما هي ، فلم نجد فيما عرَّفنا به إلا الجنة والنار ، فوجدنا الله حين أرادهما قد حتم بكونهما ، فكانتا كما حتم بغيرهما فكان ، وجعل سبيلهما سبيل الأشياء المكونة.

وأما أفعال العباد ، فإرادات منهم بعد التعريف بالسبيلين ، والوعيد والميعاد على العملين ، وقال الله عز وجل: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة:١٨٥] ، والمعنى: يريد الله بكم اليسر ولا يريد لكم العسر ، فوجدنا إرادة الله هاهنا محتومة ، إذ كانت تركيب الإستطاعات التي تولى الله كونها ، الخطب يا أخي - أرشدك الله - يتسع في هذه المسألة ، وقد تُكلِّم فيها فأُكثِر ، وقد سمعت ما قال الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام ، وهو قول حسن التأويل ، وأي القولين تعلقت به إن شاء الله فليس يؤديك إلى ضلال ، مع أني لا أشك أن مراده عليه السلام بمعنى إرادة الله سبحانه على ما وصفت ، إلا أن الغالب على أئمتنا عليهم السلام مداخلة الكلام بعضه في بعض ، فتدق المعاني عند مثل ذلك على أكثر الناس. واعلم أنه لما ذكرت في كتاب الله سبحانه دلائل منيرة ، اجتزيت بقليل ما ذكرت منها عن كثيره ، وفيه ما كفى من كان ذا عقل وحجا.

و[سألت] عن الوقف الذي لا يجوز فيه بيع ولا شراء؟

الجواب: اعلم يا أخي أن مسألتك هذه قد هلك فيها أكثر الأمة ، وقد كنت لما واجهت بين الناس من الخلف في ذلك ، قد أردت أن أفرد له حكومة يعمل بها من وفقه الله لطاعته ، أو يفصل بها بين من اختلف من بريته ، ثم أنا أجعل ذلك جوابا لمسألتك ، وأجتزي بذلك عن الإفراد له ، فيكون أول ما يذكر بحول الله وقوته الموقفين بأسمائهم وأفعالهم ، حتى يعرف كل واحد منهم بفعله ، فيعلم أن منهم من أوقف ما تصدق به ديانة يطلب بها وجه الله والدار الآخرة ، وذلك بَيِّنٌ لناظره. ومنهم من أوقف ما تصدق به ضنانة ، يريد ألا يخرج ماله من أيدي ورثته إذا دعتهم الحاجة إلى بيعه. ومنهم من أوقف ما تصدقه خيانة ، و لم يأت فيها فعل ديانة. ومنهم من وقف مالا يملك فطمع أن يثاب على ذلك ، فهؤلاء الموقفون أربعة لا خامس لهم ، ولا بد من تفريع ما ذكرت لك من أصولهم ، وإثبات ما يجب من ذلك عليهم ، ليعلم منه ما يحل وما يحرم ، وما يجوز وما لا يجوز.

فأول ذلك أن أذكر من بدأت بذكره ، وهو الموقف ديانة ، وذلك مثل رجل له مال حلال ، كسبه من حيث يرضى الله ، وأوقفه في سبل الخير التي تقرب إلى الله ، ويرجى بها ثوابه ، وذلك أن يكون خيل وقفه في سبيل الله ، ومعونة للمجاهدين لأعداء الله ، فإن كان فعل ذلك فقد أصاب أعظم الأمور ثوابا عند الله ، ولمن جعل إليه ذلك الوقف أن يصرفه إلى أئمة الحق ، فإن عدم قيامهم رد غلات ذلك الوقف في مصالحه وتزيد بها فيه ، فإن لم يكن يحتاج لنفقة ولا إلى عمارة ، اشترى بتلك الغلات ما يجريه مجرى الأمهات ، وأقام

بذلك المكاتب والبينات ، ليعلم أن سبيله سبيل الأمهات المحرمات ، إلا ممن جُعلن له مُوقّفات.

وإن كان أوقف ذلك للحج به إلى بيت الله ، أو يهدى به الهدايا إليه ، وتبين فيمن يكون عنده من الضعفة ولديه ، جاز ذلك فيما صرفه إليه. وإن كان أوقف ذلك على فقراء موضع من المواضع بعينه ، فهو لهم ولا يعدل أبدا إلى سواهم. وإن كان جعله لجملة الفقراء والمساكين و لم يخص به أحدا بعينه ، فهو لكل من سكُن وافتقر. وإن كان لم يذكر ولده أو أحدا من قرابته ، ثم بلغ بهم الحال إلى الفقر والمسكنة ، فهم أحق بوقفه ما بقوا في ذلك الحال. وإن كان أوقف ماله على نفر بأسمائهم ، و لم يذكر الوقف إلى من يرجع بعدهم ، فهو راجع على أولادهم ، وكذلك الواحد كالجماعة في أحكامهم. وإن كان جعله في وجوه البر و لم يفصل ذلك بعضه من بعض عدل إلى أحق الوجوه ، وأعودها صلاحا على الأمة ، وذلك الجهاد ، فإن لم يكن إمام صُرف إلى الفقراء والمساكين وأصلح به شأنهم ، وإن كان له ولد فهم أحق به عندما يحتاجون ، وإن كان جعل ذلك لسقي الماء في المواطن المحمودة أنفذ أمره ، وإلى أي وجه صرف ماله من وجوه الخير جاز فعله ، فمن أوقف على هذا السبيل الذي ذكرت ، فلا يجوز بيع وقفه ولا هبته ، وهو أصح الوقوف وأفضلها ، فمن لم يكن وقفه على هذا السبيل ، فلم يرد به وجه الله الجليل فاعلم.

وأما المُوقِف الضنين ، فهو في ذلك غير معاقب عند رب العالمين ، وذلك: مثل رجل له مال حلال ، فخاف إن توفي و لم يوقف ذلك المال أن

ينقل من أيدي ورثته ، بما تنتقل به الأموال من البيوع والهبات ، فأوقفه لما خاف ذلك وجعل سبيله سبيل الميراث ، و لم يحف على أحد من تركته ، فهذا أيضا لا يباع وقفه ولا يوهب ، لا يزال يجري فيه سهام المواريث ما بقي من ورثته أحد ، فإذا انقرضوا رجع إلى ما شرط ، فإن لم يكن شرط إلى ما يرجع ، رد إلى ذوي أرحام الورثة ، فإن لم يكن بقي لأحد منهم ذو رحم رد إلى بيت مال المسلمين ، و لم يصرف عما جعل عليه من الوقف ، فإن كان هذا الرجل جعل ثلث ما أوقف في وجوه البر ، ثبت ذلك و لم يلحقه تبعة من وارث ولا غيره ، ولو أنه خص بذلك بعضهم دون بعض لم يضق ذلك عليه ، لأن له الثلث مباح فيه أمره ، فلهذه العلة هو ناج ، ولا يجوز بيع وقفه ولا هبته أبدا.

وأما المُوقِف الخائن ، فذلك: مثل رجل كان له أيضا مال حلال ، فلما نظر في كتاب له أو أخبر عنه وجد المواريث تنقل الأموال إلى مَن بَعُدَ نسبه من النساء والرجال ، فلما أيقن ذلك اختار أن يعدل عن حكم الله ، ويحكم بهوى نفسه ، فعمد عند ذلك إلى المنتسبين إليه من ولده الذكور ، وولد ولده أبدا ما تناسلوا ، فجعل المال لهم وأوقفه عليهم ، وأعطى من كان من البنات سهمهن أو زاد عليه حياتهن ، ومنع منه ورثهن بعد موتهن ، وعمد إلى زوجاته فصرفهن وولج عنهن ما جعل الله لهن من ماله ، ثم قال في كتاب وقفه: وإنما أردت بذلك رضى رب العالمين ، والدار الآخرة التي جعل الله للمتقين ، ثم قال في كتابه: « ملعون من باع أو اشترى أو وهب أو حكم أو فعل أو صنع » ، ثم قال محتجا من كتاب الله: ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ

فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ﴾ [البقرة:١٨١] ، و لم يعلم ما أريد بذلك ، وهو قد عدل وغيَّر ، وأساء وقصر ، ثم أنفذ جهلة الحكام العمون أمره ، لعظيم التأكيد في كتاب الوقف ، و لم يعظم عليهم ظلمه من ظلم ، ومن سيَر فيه بغير الحق ، فحُرم ، وتقدم العدول الضلال ، فأثبتوا شهادة الجور بجهلهم ، فملكوا غير المستحق بشهادتهم ، وغدا تجزى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ، ولا بد أن أعرفك أيها الأخ - أكرمك الله - بوجوه الحق التي يحكم بها بينهم ، والسيرة التي يسار بها فيهم.

فأول ذلك أن يحمل أمور الورثة على وجهين ، فمن ذلك أن يجيزوا للميت فعله كلهم ، أو يجيزه بعضهم وينكره بعض ، فإن أجازوا فعل الميت كلهم ، وقد علموا جوره عليهم لزمهم فعلهم ، وإن أنكر المظلومون منهم و لم يجيزوا فعل الميت حكم لمن خصهم بثلث غلة هذا الوقف ، وقسم الثلثان الباقيان بين المخصوص والمحروم قسمة الميراث ، و لم يحل الوقف ، لأن الوقف جائز في أصله ، والجور فلا أصل له يرد إليه ، فلذلك أثبتنا الوقف وأبطلنا الجور ، فإن كان جعل للبنات سهم رجل ذكر رددن إلى سهامهن ، وكان الثلث للبنتين دونهن ، فإنهن لم يُزدن على سهامهن إلا لجريمة وارثيهن ، و لم ينقص الذكور إلا لحب التوفير عليهم والأثرة لهم ، فلما علمنا ذلك جعلنا الثلث لهم على الجواز ، و لم نعط النساء منه شيئا ، فإن قلن البنات: قد رضينا بحق الذكر ولا نبالي بورثتنا من بعدنا ، فذلك إلى شركائهن لا إليهن ، لأنهن لا يطلبن بحق ، ومن كان كذلك لم يجز له أمر ، فإن اختلفوا بعد مدة من الزمان حمل أمرهم على وجهين ، فمن ذلك: أن يكونوا أحياء لم يمت منهم

أحد ، حضورا لم تَبِن بهم بلد ، فإذا كان كذلك نُظر في حلفهم ، فبدئ بالمستعدين ، فقيل لهم: ما تطلبون؟ فإن قالوا: نطلب ميراث أبينا ، ولا نرضى بجوره الذي جار علينا. قال لهم الحاكم: فما منعكم من الكلام إلى هذه الغاية ، فإن ادعوا جهلا أو صغرا ، أو اعتذروا عذرا لم يجز للحاكم أن يبطل دعواهم ، ولم يكن له أن يطالبهم ببينة ، لأن شروط أبيهم تدل على ما يطلبون ، ورجع إلى إخوتهم فقال: ما تقولون؟ فإن قالوا: نقول قد رضوا ، طولبوا بالبينة؟ فإن أبانوا بيانا صحيحا حكم لهم ، وإن لم يبينوا حكم بينهم بمثل ما ذكرت في الفصل الأول من قسمة الميراث بعد إخراج الثلث ، وإن كان منهم من قد مات أو غاب لم يحكم لأولئك ولا عليهم إلا أن يوكل من غاب فيجاز الحكم لهم وعليهم ، ويسار فيهم السيرة التي ذكرت في هذا الفصل،أن يطلب البينات من ادعى على المنقوصين أنهم رضوا ، فإن تعلق ولد الموقف بكتاب أبيهم ، لم يلتفت إلى شهودهم ولا إليهم إلا في جواز الوقف في أصله ، فإن قولهم يقبل فيه ، فإن كان الزمان قد أتى على هذا الوقف ومات البنات ورجع الوقف إلى بني البنين وبني بنيهم ، ثم قام عليه بنو البنات طولبوا بالبينات ، فإن أتوا بشهود عدول ثقات يشهدون أن البنات كن كارهات ، وأنهن طلبن حقهن فلم يعطين شيئا ، ومتن مظلومات وأشهدننا على ذلك ، ليكون لولدهن بما يطلبن بينات ، ثبت حينئذ مكاتب البنات ، وثبت لولدهن في كتبهم الشهادات ، وحكم الحاكم حينئذ بالقسمة بين بني البنين وبني البنات ، على قدر مواريثهم إلى تلك الوقوف المحرمات ، بعد إخراج ما ينوبها من المصالح والمؤنات ، واستأثر بنو البنين بالثلث مما يقع عليه

التفرقات من ذلك ، فإن لم يقم لورثة البنات بينات لم يحكم لهم ، لأنه لا يدرى أجاز ذلك أمهاتهم أم لا؟ والميت لا يصح له ولا عليه دعوى إلا ببينة ، فاعلم ، وليس للحاكم أن يطلب من بني البنين بينة ، لأن الشيء في أيديهم ، وليس هذه الحكومة كالتي قبلها ، لأن تلك بين قوم أحياء ، كلهم قائم على حقه ، وهؤلاء يطلبون لأموات ، وبين ذلك فرق عند من يعرف الحكومات.

فإذا اختلف أصحاب هذا الوقف فقال بعضهم: هو وقف محرم ، وقال بعضهم: بل مطلق مسلم ، طالب الحاكم بالبينة المقر بالوقف ، لأن مدعي الوقف أحراهما بأن يكون عنده كتاب الوقف ، فإن أحضر كتاب الوقف وشهوده ، كان الواجب عليهم أن يلزموا ما في كتابهم على رسوم ما ذكرت ، وإن لم يقم المقِرُّون بالوقف بينة كان لمن أنكر الوقف حقه يفعل فيه ما بدا له ، وكان حق من أقر بالوقف وقفا لإقراره بذلك ، و لم يسعهم أن يعدلوا بحقوقهم عن طرق الوقف.

وإن اختلفوا في شيء قد أتت الأزمنة من دونه حملوا على ما وجدوا عليه من قبلهم ، وما جرت به رسوم ما في أيديهم ، ففعلوا فعلهم ، فإن تجاحدوا فعل مَن قبلهم ، وأنكروا رسوم ما في أيديهم ، انحل ما معهم ، و لم تغن فيه الحكايات ، وصرفوه إلى ما أحبوا ، واصطلحوا فيه على ما تراضوا ، وكذلك الكتب العُتُق فلا يحكم بها إذا عدم شهودها ، وذلك أنه ربما كتب الرجل الكتاب وأشهد عليه ، ثم بدا له لعلة من العلل ، وربما زثوّر على الرجل الكتاب ، وزُوِّر على الشهود الخطوط ، ثم لم تظهر الكتب إلا بعد موت الجميع ، فلو جاز ذلك لما عدم الناس في كل يوم يكون فيه ذلك من يقوم

عليهم بكتاب ، فلذلك لم تجز الكتب إلا بجواز من فيها من الشهود ، فاعلم ذلك.

وأما الموقف مالا يملك رجاء الثواب ، فذلك الذي لا يثاب وذلك مثل رجل اغتصب أموالا وكسبها من غير حلها ، ثم تصدق بها وأوقفها وعقب وقفها ، فذلك ومن كان مثله يسار فيه سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام التي سارها في صدقة عثمان بن عفان التي بالمدينة ، تعرف ببير وتين ، فإن أمير المؤمنين عليه السلام ردها تقسم على من يقسم في بيت مال المسلمين ، وذلك أنه شراها من ذلك الوجه ، وقد سمعت عن بعض آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يروي عن علي عليه السلام أنه كان يقول: آخذ كل ما وجدت لعثمان ولو قد عاد صداقا للنساء لأخذته من أيديهن ورددته إلى أهله.

ومن كان على ما ذكرنا في وقفه لم يخل من وجهين:

إما أن يكون ما وقف لقوم يعرفون ، أو يكون مختلطا لا يعرف له أحد ، فإن كان مختلطا فأمره إلى أئمة الحق يفعلون فيه ما فعل علي عليه السلام في مال عثمان من القسمة بين المسلمين ، وإن ابتيع ذلك لهم فليس يضيق عليه ولا عليهم ، وإن كان لقوم يعرفون سلم إلى كل إنسان منهم ما أخذ من يده بالغصب ، فهذا أيها الأخ أكرمك الله ومثله من الوقوف يزول ولا يقف ، ويغير ولا يقر ، فاعلم ذلك تولى الله رشدك.

و[سألت] عن مرة حلفت بالسبيل في جارية لها لأبيعنك ، ثم ماتت المرأة و لم تبع الجارية هل تحنث أم لا؟

الجواب: اعلم أن هذه المرأة لا تخلو من أحد وجهين: من ذلك أن يكون عُلم مرادها ونيتها قبل موتها ، أو ماتت و لم يدر ما نيتها.

فإن كانت قد علم منها أنها نوت البيع و لم تحد وقتا بعينه ، فقد ماتت وانتقل الملك إلى غيرها قبل أن تنفذ فيه نيتها ، وإن كانت حلفت يمينا مطلقة لم تعقد فيها نية لم يضق عليها تحليفها ما كانت مجمعة على بيعها ، فإن ماتت أيضا وهي في ذلك ، فقد حنثت ، فإن كانت أيضا قد عُلمت نيتها في أي وجوه السبيل أنفذت ، وإن لم يكن عرفت نيتها في أي وجوه السبيل سُلمت الجارية إلى أضعف قرابتها ، و لم تعتق ، وإن لم يكن لها قريب ضعيف وكانت الجارية مؤمنة أعتقت ، وإن لم تكن الجارية صالحة بيعت وتصدق بثمنها ، فهذا وجه.

وإن كانت ماتت و لم يعلم من حالها إلا اليمين فقط ، فإنا نستحب أن تخرج الجارية من الثلث في بعض الوجوه التي قدمنا ذكرها إذا سمح بذلك الورثة ، وإن شحوا فالجارية لهم ، وليس يلزمهم قَسَمُ من مات لا تعلم نيته على حقيقة العلم ، لأنه ربما كان للإنسان في يمينه ثَنْوَىً (١) يسرها ، معلوم ذلك غير مستنكر من أفعال الأمة ، وإنما الأمور تحمل على الصحة لا على لشكوك ، فاعلم ذلك أراك الله محبوبك ، ولا قطع سرورك.

وسأل أخونا زيد بن إبراهيم أرشده الله أن أعرفه ما معنى قول القاسم رضي الله عنه: ومن لم يعرف في دين الإسلام خمسة من الأصول فهو جهول

(١) ثنوى ، أي: استثناء.

... إلى قوله في الخامس وهو الذي سأل عنه السائل: « وإن التقلب بالأموال في التجارات والمكاسب في وقت ما تعطل فيه الأحكام ، وينتهب ما جعل الله للأرامل والأيتام ، والمكافيف والزُّمنى ، وسائر الضعفاء ، ليس من الحل والإطلاق كمثله في وقت ولي العدل والإحسان ، والقائم بحدود الرحمان » ، وما أراد بهذا القاسم عليه السلام؟ وهل يجب للمسلم في وقتنا هذا أن يجتنب البيع والشراء ، وهو يعلم أن أهل هذا الزمان يعاملون بالربا ويغلون الزكاة؟

الجواب: اعلم يا أخي - وفقك الله - لما يرضيه ، أن الذي ذكر القاسم عليه السلام من انتهاب الأموال ليس بأصل ولا فرع لدين الله سبحانه. ألا ترى إلى قوله: « ليس من الحل والإطلاق كمثله في وقت ولي العدل والإحسان ». وما لم يكن من الحل المطلق ، فليس من الأصول التي بها يُتعلق ، وإنما مراده عليه السلام أن هذا الأصل الخامس ليس من الحل والإطلاق كمثله في زمان ولي العدل والإحسان ، والقائم بحدود الرحمان ، يعرف من كان ذا عقل وحجا أن هذه الأشياء لا تحل على حقيقة الحل إلا في زمان هذا الأمين ، الذي هو أصل من أصول الدين ، ولا يكون ذلك الزمان كزمان الجهلة المتحيرين ، فكل ما نال المسلم في زمان الجهلة من المكاسب ، فإنما يحل عند الضرورة لا بالواجب ، فكلما نيل في زمان أئمة الحق من المطالب ، فذلك الحلال الواجب ، فاعلم ذلك وُقيتَ جميع النوائب.

وقلت: هل يجب للمسلم أن يجتنب البيع والشراء في وقتنا هذا ، لما يعلم من غلول الزكوات ، والبيع بالربا في التجارات؟

واعلم أنه لا يجتنب البيع في زماننا هذا إلا من لا يرى تحليل ما أباحه الله من المحرمات عند الحاجة والضرورات ، فإن علمت أيها الأخ - أرشدك الله - مطلبا غير المباح ضرورة فاطلبه ، فإنه لا يسعك أن تطلب اضطرارا ، وأنت تجد اختيارا ، مع أني أعلم أنك لا تجد إلا المباح ضرورة ، وإنما يحل لك ذلك إلى أن تسمع دعوة إمام حق من آل النبي عليه السلام ، فإذا سمعت دعوته و لم تجبه حرم عليك ما كان مباحا قبل الدعوة.

والدليل على ذلك أن رجلا لو دعته الحاجة إلى أكل الميتة ، فأخذ منها ما يأكل ، ثم عرض له رجل قبل أكلها فقال له: عندي ما يغنيك عنها فدعها ، لحرمت عليه الميتة في ذلك ، ووجب عليه أن يمر إلى الذي دعاه إلى الحلال ، وأغناه ببذله عن الحرام ، وأنه في زمان الفترة ليس كهو في زمان الإمام ، فما أفسره لك حتى تيقنه إن شاء الله ، أرأيت - وفقك الله - لما يرضيه لو أن رجلا خرج من مترله لطلب الرزق ، وتذكر أحل الأشياء ، فلم يذكر إلا المباح من الرزق الذي في أرض الله ، فعمد إلى أيسر ذلك وهو الحطب ، فأخذ منه أعوادا فدخل بها سوقا من أسواق المسلمين ليبتاعها ، فلما دخل ذلك السوق وجد فيه سلطانا ظالما ، أو معينا غاشما ، أو تاجرا علولا مربيا ، أو زراعا مقويا ، أو صانعا مرفقا ، أو مجاورا مكثرا ، أليس بأيقن اليقين لا بد له من البيع من أحد هؤلاء أو لا يبيع منهم؟ فإن لم يبع منهم هلك ، وإن بايعهم بايع قوما مخلطين ، قد ملكوا بالباطل ما لم يعطوا ، فحينئذ لا بد له من مبايعتهم ضرورة ، فاعلم ذلك.

واعلم علما يقينا أن كل ما في الأرض من محل أو محرم مختلط ملتبس اختلاطا لا يفصله إلا إمام بملك الإسلام ، ولذلك ما أجرى القاسم عليه هذه المسألة ، وربنا المحمود لا شرك له.

و[سألت] عن رجل مسلم وجد في بيته فاسقا يفسق بحرمة من حرمه ، أو خادمة من خدمه ، وأمكنه قتله و لم يعلم أحد هل يجب عليه يؤدي إلى أوليائه ، أو ما يكون عند الله في فعله؟

الجواب: اعلم - وفقك الله - أن مسألتك هذه تعدل من ابتلى بمثلها عن الحق إن كتم ، وتوجب القصاص أن أقر وسلّم ، ولا خلاص لمؤمن إلا باتباع الحق ، وشد الحجاب في زمان الفترة ، يعني عن ارتكاب ما حرم الله سبحانه ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن مرة مسلمة عند فاسق ثم خرجت من عنده إلى المسلمين واستجارت بهم منه ، هل يحل لهم أن يزوجوها وهم يقدرون على ذلك ، و لم يطلقها وهو في عصرنا هذا؟

الجواب: اعلم - وفقك الله - أن مرة الفاسق إذا كانت مسلمة ، فليس يضيق عليها مشاقته ، والبعد عنه ، والاقتداء بكل ما قدرت عليه منه ، ولا بأس بمعاونة المسلمين على ذلك ، والدفع لجور الفاسق بما قدروا عليه. فأما زواجها فليس لها ولا لهم ذلك ما كانت في عقد نكاح ، فإن أطاق المسلمون إيقافه والشدة عليه حتى يطلق ، أو يتوب ويرجع إلى الله ، فذلك واجب عليهم ، وإن لم يطيقوا إلا إجارة هذه المرأة ومنع الفاسق منها ، فذلك لهم. فأما زواجها فلا سبيل إليه بوجه من الوجوه ، إلا بعد طلاقها وخروجها من

عدمًا ، فاعلم ذلك ، ولا تقس أهل الملة بأهل الردة والشرك ، فإن بين أحكامهم فرقا أبانه الله ورسوله للعباد ، فنحمد الله ولي الفضل والرشاد.

و[سألت] عن رجل حلف بطلاق مرته لا يشرب خمرا أبدا ، ولا يدخل بيتا فيه خمر ، ثم دخل بيتا فيه خمر و لم يعلم ، هل يحنث أم لا؟

الجواب: اعلم - وفقك الله لما يرضيه - إن كان هذا الحالف استثنى علمه ، ودخل و لم يعلم ، فلا حنث عليه ، وإن كان حلف غير معتقد لثنوى ، فقد حنث ، وواجب عليه أن تطلق زوجته بواحدة ، ويراجعها قبل خروجها من العدة إن شاء ، أو بعد الخروج بنكاح جديد.

و[سألت] عن رجل ظالم عنده دين لرجل مسلم و لم يعطه إياه وظلمه ، وأمكن المسلم بذلك الظالم شيء هل يحل له أن يقتضي دينه من ذلك الشيء بغير علم الظالم؟

الجواب: اعلم - وفقك الله - أن المسلم غير مأثوم فيما غل من رحل الظالم ، إذا كان مثل ما أخذ له ، وهو مع ذلك غادر فيما ولي للظالم ، وليس الغدر من أخلاق الصالحين ، ولو كان الظالم أخذ رحل المسلم بالعدوان ، بلا مبايعة ولا معاملة ، لأوجبنا للمسلم إذا قدر أن يعدو على الظالم ، فيأخذ مثل الذي أخذ له ، و لم يضق ذلك عليه ، لأن الله قد أباح ذلك بلطفه ، فقال سبحانه: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤]. وقال عز ذكره: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا

عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الشورى: ٤١ - ٤٢].

واعلم ثم اعلم أن جميع ما فيه الناس من الأمور أكثرها فاسد ، وليس تكون الأشياء في وجوهها إلا بظهور ولي الحق ، فانظروا في ما يقوم به صلاح دنياكم وآخرتكم ، من قبل ظهور النقم ، وحلول الندم ، جعلنا الله وإياكم من الناجين برحمته.

و[سألت] عن رجل كان فاسقا سارقا ، ثم تاب هل تجزيه توبته ، ولم يؤد إلى من سرق رحله ، خوفا على نفسه منه؟

الجواب: اعلم - أعانك الله على طاعته - أنه لا يصح توبة من ظلم إلا بأداء الظلامة ، واعتقاد الأداء والعزيمة عليه ، والتأدي مع ذلك ، ألا أن يخاف جورا فلا بأس بالكتمان ، حتى يرزقه الله أداء ما اعتقد أداه ، وهو عند الله ناج مع اعتقاده ، فاعلم ذلك أيها الأخ وفقك الله.

و[سألت] عن رجل شرى سلعة بثمن كثير ضرورة إليها ، ولم يكن ثمنها ذلك معه عند شرائه لها ، هل يقبل قوله أم لا ، وهل يجب له بذلك حكم حاكم؟

الجواب: اعلم يا أخي أن كل مضطر إلى شراء سلعة ، فإنما يضطره إلى شرائها حاجة تدعوه إليها ، وسلطان يجبره عليها ، فإن كان ذلك بجبر من سلطان ، لم يلزمه شراء تلك السلعة ، كان موسرا أو معسرا ، وإن كانت دعته إلى شرائها حاجة لزمه الثمن ، ولم يلتفت إلى دعواه ، فإن أتمام بينة بالفلس أخذت السلعة من يده ، وأُدِّب في شراء ما لا يملك ثمنه ، وليس لمن

أفلس واضطره الفقر أن يشتري سلعة بعاجل لا يوجد معه ، وإنما له أن يقترض أو يدّان إن أُقرض أو أُدِّين والسلام.

و[سألت] عن مَرَةٍ أقرت لزوجها عند موتها بدين ، هل يلزمها له ذلك إن ادعا لورثه أنها اجنفت؟

الجواب: اعلم أن من أقر بدين لرجل أو مرة لزمه قرره ، فإن ادعا عليه مدعٍ جنفا طولب بالبينة ، فإن أقامها بطل القرر ، ولم يعط من مال الميت ثلثا ولا غيره ، لأن هذا قرر نقضته البينة ، والثلث فإنما يكون من الهبات والوصايا ، فما جاز الثلثَ رد إلى الثلث.

و[سألت] عن مرة ردت على زوجها من هبة وهبها لها في حياتها ، فلما أتتها الوفاة ردت الذي وهب لها ، وأبرأته من حق لها عليه ، هل يدخل الرد مع البراء في الثلث أم لا؟

الجواب: اعلم - وفقك الله - أن الذي ردت عليه ، وأبرأته من حق لها عليه ، كل ذلك هبة منها له في حال الوفاة ، وما كان في حالة الوفاة من الهبات فالورثة فيه بالخيار ، إن شاءوا أجازوه ، وإن شاءوا ردوه إلى الثلث ، وكان لهم ما سواه نافذا فيه أمرهم ، وغير ضيق عليهم فيه فعلهم ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن رجل وجد ابنته أو أخته تفسق هل يحل له قتل أيهما ، وهما محصنتان وهو يمكنه ذلك بيده أو بيد غيره ، وليس يعلم به أحد؟

الجواب: اعلم إن إقامة الحدود على المحصن وغيره لا يكون إلا لمن جعلها الله إليه ، وجعل القيام بها عليه ، وعلى من امتحن في حرمته بمثل ما ذكرت

أن يستر ذلك ، ويفعل ما أمر الله به في الآية المنسوخة ، وذلك قوله سبحانه: ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ [النساء:١٥]. فأما الآية الناسخة فهي للأئمة لا لأحد سواهم ، فلا يعدل بذلك ، لا عدل الله بك عن رحمته.

و[سألت] عن رجل فسقت جاريته وعلم بذلك هل يجب له أن يقيم عليها الحد هو بنفسه أم لا؟

الجواب: اعلم أنه إن كان في زمان إمام ، فالحد للإمام لا له ، وإن لم يكن إمام وجب على مولى الجارية أن يقيم عليها الحد ، وليس الإماء في ذلك كالحرائر ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: « أقيموا الحدود على ما ملكت أيمانكم » ، فيما روي عنه ، وقد أدركت من ولد القاسم رضي الله عنه رجالا يحدون من فسق من إمائهم ، ويؤدبون من استحق الأدب ، ولا يرون بذلك بأسا ، وقد كانوا ممن لحق الصدر الذين يؤتم بهم ، وهذا ما علمت من رأيهم.

و[سألت] عمن شرب الخمر وهو عارف بالتوحيد ، مقر بالله عز وجل هل تحل ذبيحته؟

الجواب: اعلم - وفقك الله - أن كل الأمة مقر بالتوحيد ، عارف بالله ، فإذا عصى فهو كمن عصى من المشركين ، مع معرفتهم بالله رب العالمين ، ولا يحل لمؤمن ذبيحة العاصي لله سبحانه ، كان من المسلمين أو الذميين أو المشركين ، إلا على سبيل ما تحل عليه الميتة ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن مال الظلمة هل يحل أخذه لمن لم يعنهم بشيء مما يدخل به عليهم منفعة؟

الجواب: اعلم - وفقك الله - أن من الظلمة من لا يحل لأحد أن يأخذ منه درهما ، ولا أقل من ذلك ولا أكثر ، وذلك من كان منهم ليس بيده إلا الغصوب والمكوس ، فأما من كان منهم على أفياء المسلمين المشتركة بينهم ، مثل مصر وما يجرى مجراها من الغرب ، ومثل سواد العراق وما يجري مجراه من جبال خراسان ، ومثل الجزية وما يجرى مجراها من الأخماس ، فلا بأس بأخذ ما في أيدي هؤلاء الظلمة ، وإنما يعطون قليلا من كثير يستحقه المؤمن في أموال الله سبحانه.

و[سألت] عن رجل أخذ شيئا من الفايش الذي لم يكن لأحد فيه عمل ، حتى أثاره رجل مسلم ، وفيه مساقي قوم آخرين هل يحل له أخذه؟

الجواب: اعلم أن الفايش مباح لمن أخذه ، وليس المساقي التي تمر في الفايش من الأرض مُحَرِّمة للفايش على من وضع يده فيه ، ما لم يدخل بذلك مضرة على أرباب المساقي ، فإذا لم يدخل عليهم مضرة فالذي أخذ حلال غير محرم.

و[سألت] عن رجل مشبِّه مجبر يضيف إلى الله مالا يليق به ، ولا يقلع عن ذلك ، هل يجب للإمام قتله إذا لم يقلع عن ذلك؟

الجواب: اعلم أن المشبه المجبر لا يجوز للإمام قتله حتى يدعوه إلى حكم الكتاب والسنة ، فإن أظهر الطاعة فلا سبيل عليه فيما اعتقد وأسر ، وإن أظهر المعاندة وقدح في أديان الأئمة ، وعاضد أهل البغي على الأئمة ، وجب

قتله بعد الدعوة ، ومثل هذه الأمور ترد إلى أئمة الحق ، إذ هم الناظرون للخلق ، نسأل الله السداد والرشاد برحمته.

و[سألت] عن رجل من غير العترة يدعو إلى نفسه ، وهو على غير الملة ، ثم غشي قوما في بلادهم هل جهاده مع ظالم يستعين به المسلمون واجب ، والظالم يقول بمذهب الحق وليس يعمل به؟

الجواب: اعلم أنه لا يضيق على المسلمين الاستعانة بالمخالفين ، إذا نزل من الأمر مثل ما ذكرت ، ولم يزل أئمة الحق تستعين بهم على ما يلم بالإسلام ، فأما الأئمة فلا يستعينون بهم حتى يكون معهم غيرهم ممن يجرون الأحكام عليهم. وأما المسلمون فلا يجوز لهم الاستعانة بهم ، إلا عندما ذكرت من إلمام الظالم ببلد المسلمين ، فإذا استغنوا عن معاضدته وجب عليهم أن لا يدخلوا في شيء من أمره ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن رجل أخذ من مال ظالم شيئا بغير أذنه ، هل يجب عليه التودي إليه مما أخذ ، أو ما يصنع إذا تاب مما أخذ؟

الجواب: اعلم أن هذا الرجل الذي سألت عنه لا يجوز له أخذ مال الظالم ، إلا أن يكون أخذ له مالا ، فإذا كان قد أخذ ماله ، فأخذ مثل ما أخذ له ، فلا بأس بذلك ، وإن كان لم يأخذ له شيئا ، وعرف من قد أخذ له الظالم ودَّى إليه لا إلى الظالم ، وإن لم يعرف أحدا بعينه ، تصدق بذلك على الفقراء والمساكين ، ولم يحبسه على نفسه ، ولا حرج عليه في كتمان ذلك من الظالم ، ولا يرد عليه شيئا قد صار في يديه ، وليس يسعه أن يرده إلا إلى مستحقه.

و[سألت] عن رجل جنى لظالم شيئا ، واكتسب من جنى الظالم مالا مع مال حلال كان في يده ، وقد غاب عليه الذي كان حلالا والمكتسب الحرام واختلطا عليه ، ما يصنع عند توبته؟

الجواب: اعلم أن اختلاط الحلال والحرام غير محرمهما جميعا ، ولا محللهما جميعا ، والحرام حرام ، والحلال حلال ، فميز أحدهما من الآخر ، وتحر الاستقصاء على نفسك بجهدك ، حتى تصح في معقولك ، ويطمئن قلبك ، أنه لم يلحق من الحرام شيء ، فإذا فعلت ذلك ، فقد تخلصت إن شاء الله ، ونجوت عند الله سبحانه ، وما كان من الجبا فعرفت له ربا فَرَدَّه إليه ، وإن لم تعرف له ربا فتصدق به على الفقراء والمساكين ، فإن ذلك يخلصك إن شاء الله.

و[سألت] عن رجل كان لرجل عليه دين وهو عامل السلطان ، ثم أخذ منه العامل شيئا جبا للسلطان ، نحوا من دينه الذي عليه ، ثم طالبه العامل بالدين ، فقال له: قد أوفيتك دينك ، وحلف له على ذلك وهو ينوي أنه قد أعطى الذي اغتصب منه ، هل يكون مأثوماً في ذلك ، أو متخلصا عند الله؟

الجواب: اعلم - وفقك الله - أن الأمة استعملوا التأويل فيما بينهم ، أخرجهم ذلك إلى استحلال ما حرم الله ، وحظر على عباده ، فالواجب ترك التأويل والوفاء بالمعاملات ، كان المعامل ذميا ، أو عامل سلطان ظالم ، وهذا الرجل المتأول لا يدري ما حال هذا العامل ، أمجبور على عمله ، أم له عذر عند الله ، قد استأثر بعلمه ، فلا يسع الحالف عند الله إلا الوفاء والأداء ، والتكفير عن يمينه ، والتوبة إلى الله من فعله ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن رجل خلف له أبوه مالا ، وهو يعرف أن أباه أربا فيه ، وأخذه من غير حله ، هل للمسلم الانتفاع بما خلف أبوه هذا ، وليس له غيره وهو إليه محتاج؟

الجواب: اعلم - وفقك الله - أن هذا الرجل إن كان يعرف لأبيه رأس مال ، اكتسب إليه بالربا ، فليس يسعه عند الله أن يأخذ أكثر من رأس مال أبيه ، ويرد البقية إلى مستحقيه إن عرفهم ، وإلا فتصدق به عنهم و لم يرده له في مال ، وإن كان لا يعرف له رأس مال ، أخذ من ذلك جزءا ، ولا يسرف في الأخذ ، ورد البقية على الفقراء والمساكين ، وكل ما لم يعلم واشتبه فيه تحرى ، وللصالحين من أنفسهم معرّف بالصواب إذا صبروا ، وقد وعد الله الصابرين خيرا ، والصبر لا يكون إلا على المكروه ، لا على المحبوب ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن رجل التقط مائة دينار واكتسب فيها مائة دينار أُخرى ، و لم يعلم لها أهلا ، ما يصنع بها وبهذه المائة المكتسبة ، وقد تعب في اكتساب المائة الأُخرى ، وجاء وذهب وسافر سفرا بعيدا؟

الجواب: اعلم أن هذه اللقطة إن كان ملتقطها في زمان إمام وداها إليه ، والمائة التي اكتسبها وربح فيها ، وإن لم يكن في زمان إمام تصدق بذلك إذا لم يعرف له طالبا ، و لم يسعه غير ذلك ، ولا شيء له في عناه إذا أخذ ذلك على سبيل الإستحلال ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن رجل وطئ جارية شراها وأولد منها ، ثم صح بعد ذلك أنها أُخته من الرضاعة ، أو ذات رحم محرم ، ما يصنع وما يكون ولده؟

الجواب: اعلم أن من أتى شيئا مما ذكرت على غير تعمد منه ، فلا تبعة عليه عند الله ، وأكثر ما يجب عليه الوقوف بعد العلم عن الوطء ، وولده لاحق بنسبه ، وصداقها ثابت بما استحل ، والرضيعة مملوكة ما عاش مولاها.

و[سألت] عن رجل شرى جارية لم تبلغ ، ثم استبرأها بشهر ، وأقامت عنده عشر سنين ، وهمَّ ببيعها ، ولم تحض عنده ، مما يستبرئها عند بيعها ، أبشهر أم بغير ذلك ، وقد مضى عليها من السنين ما لو كانت من ذوات الحيض لحاضت؟

الجواب: اعلم – وفقك الله – أن كل مَرَة من حرة أو مملوكة لم تحض قط ، فهي ممن قال الله سبحانه: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ [الطلاق:٤]. فلم يذكر إلا عدم الحيض ، ولم يجد وقتا بعينه ، فكل مرة لم تحض قط ولم تعرف الحيض ، لا تستبرأ إلا بالشهور ، الحرة بثلاثة أشهر ، والمملوكة بشهر واحد ، فإذا استبرأ المملوكة بشهر ، فقد جاز له بيعها ، ولا ينظر إلى ما مضى لها من السنين.

و[سألت] عن رجل حلف بعتق رقبة جارية له قد كان وطئها واحتبس عنها الحيض حتى رأى أنها قد حملت ، ثم ذهب ما كان يعتد أنه ولد ، ولم يدر كيف كان ، هل يجزيه في عتق الرقبة إن أعتقها أم لا؟

الجواب: اعلم يا أخي – أسعدك الله – أن كل امرأة احتبس عنها الحيض لا تكون باحتباسه ذات ولد ، لأن الحيض قد يعتاقه علل كثيرة ، فإذا احتبس الحيض للولد ، فلا بد للمرأة أن تلقي ذلك الولد إما تاماً وإما ناقصا لم يتم ، فإن الجارية ألقت ولدا من مضغة فصاعدا ، فقد عتقت وليس يجوز عتقها في

حنث ولا غيره ، وإن لم تكن ألقت ما ذكرت فعتقها يجوز في الحنث وغيره ، ولا تنظر إلى ما كان من احتباس حيضها ، فهذا الجواب وفقك الله للصواب.

و[سألت] عن مرة رجل ولد على قرابتها عبد لها وهو صغير ، فأعجته بثديها وهي مرة لم تحمل قط ، ولكن قد درت عليه ، هل يجوز لها الخروج إليه عند كبره والسفر معه ، ويحل ذلك لها؟

الجواب: اعلم - وفقك الله - أن هذه قد صارت أمه من الرضاعة ، لأن الله سبحانه ذكر الرضاعة مطلقة ، و لم يذكر حملا ولا غيره ، وقد رأينا من البهائم ما يدر و لم يحمل ولدا قط ، وذكر لي ذلك بعض النساء ، فإذا ثبت الرضاع جاز لها الخروج إليه عند كبره والسفر معه ، و لم يضق عليها ذلك منه.

و[سألت] عن رجل مسلم وله أبوان فاسقان ، وهو قليل ذات اليد ، وهما غنيان ، هل يجوز له أن يأخذ شيئا من مالهما بغير إذنهما ، وليس لهما ولد غيره أم لا ، وهو يمكنه أن يأخذ بلا علمهما؟

الجواب: اعلم - وفقك الله - أن الواجب له عليهما النفقة ، ولو لم يكونا كما ذكرت ، وكان من الإيمان بغير ما وصفت ، فأما فوق الكسوة والنفقة فلا يجوز له أخذ ذلك ، ولو كان في زمان إمام لجبرهما على نفقه ولدهما المعسر ، إذا كانا مؤسرين ، فإن منعاه فلا بأس أن يأخذ ما يجوز له سرا منهما ، ولا يباينهما من الأمور بما يغضبهما ، إلا بما لا يسعه غيره من المناداة في دين الله ، فاعلم ذلك ، وقيت جميع الأسواء والمهالك.

تمت مسائل زيد بن إبراهيم.

وسألنا أخونا محمد بن عبد الجبار البوساني الهمداني أحسن الله توفيقه ، عن رجل طلق مرته واحتبست عنها الحيضة الثالثة ، ثم جاءت بولد لأكثر من أربع سنين من بعد احتباس الحيض عنها؟

الجواب: اعلم أن هذه المسلة تحمل على وجوه ثلاثة:

أحدها: يستحيل ويجري مع ذلك مجرى الشبهة.

والوجهان الآخران يصح أحدهما من طريق الجواز. والآخر من طريق المشاهدة.

فأما الوجه الذي يصح من طريق المشاهدة ، فذلك أن تكون هذه المرأة حين احتبست عنها الحيضة كان احتباسها لولد ترى شواهده النساء ، ويوقنه بما يوجب اليقين ، من ظهور بطن المرأة ، والحركة من الولد في بعض الأوقات ، وربو الثديين ، وما لا يخفى عليهن من الحالات ، التي جرَّبن من العلامات ، فإذا كان ذلك فقد صح ولد هذه المرأة ، قصرت المدة بعد الستة الأشهر ، أو طالت إلى الأربع سنوات ، ولا تسمى حينئذ الحيضتان المتقدمتان حيضا ، وأيقن أنهما كانتا استحاضة ، لأنه يستحيل أن يجتمع حيض وولد معا ، لأن الله سبحانه فرق بينهما.

وأما الوجه الذي يصح من طريق الجواز ، فأن يكون هذا الرجل راجع زوجته بعد مضي الحيضتين ، فأقام يغدو عليها ويروح ، فهذا يلزمه ولد هذه ، ولا يسأل عن سبيله كيف كان ، لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « الولد للفراش » ، فإن ناكرها الزوج لزمه اللعان.

وأما الوجه الذي يستحيل ويجري مع ذلك مجرى الشبهة ، فـــذلك أن تكون هذه المرأة أقامت أكثر هذه السنوات لم تر من نفســـها شـــيئا مـــن العلامات ، و لم ير ذلك منها أحد من العدلات ، حتى بان الولـــد في آخـــر الأوقات ، فهذا يستحيل في المعقولات ، ويسمج في مثله المقالات ، والشبهة في ذلك ما يذكر من الأربع سنوات ، ولذلك تدرأ الحدود والعقوبات ، ويلزم الأولاد من فرط في الاستقصاء قبل وقوع الهفوات ، إذا لم يفتقدوا ما لهم من الزوجات.

و[سألت] عن رجل باع جارية صبية ليست من ذوات الحيض ، و لم يعتزلها ، ثم قال للمشتري: بعتك هذه الجارية و لم أعتزلها ، فقال المشتري: ليس كما تقول ، هل يكون البيع منتقضا أم لا؟

الجواب: اعلم يا أخي أن البائع لهذه الجارية مدعٍ بعد بيعه على المشتري ، فإن أبان صحت دعواه ، وإن لم يبن بطلت دعواه ، ويلـــزم المشـــتري أن يوقف الجارية من يرضيان شهرا ، فإن بان بها ولد ردها إلى البائع ، ولزم الولد بإقراره أنه باع قبل الاستبرأ ، وإن لم يصح بها في الشهر ولد وحاضت حيضة قبل انقضاء الشهر ، فقد حلت للمشتري وبطل قـــول البـــائع ، وإن ادعـــا المشتري مثل دعوى البائع ، وقال: قد وطيت هذه الجارية ساعة قبضتها منك و لم أستبرها ، لزم كلاًّ الأدب على تعديه في ترك الإستبرأ ، لأنـــه واجـــب عليهما إلا أن يدعيا جهلا ، فيدرأ الحد عنهما بالشبهة ، وتوقـــف الجاريـــة للاثنين حتى تستبرأ من مائهما الذي قد أقرا بجمعه معها في طهر منها ، فـــإن مضى لها شهر وحاضت حيضة فقد بريت من مائهمـــا ، وصـــح الشـــراء

للمشتري ، وإن وقعت لبسة وجاءت بولد فهو لهما جميعا ، يرثهما ويرثانه ميراث أب واحد ، ويرد المشتري على البائع نصف ثمن الجارية ، ويحرم عليهما حينئذ وطيها ، ويحرم عليهما بيعها من أحدهما أو من سواهما ، لأنها أم ولد ، وأمهات الأولاد لا يبعن في مذهب المحقين.

فإن اعتقاها لم يضق على أحدهما زواجها ، فإن اعتق أحدهما نصيبه عن مشاورة من شريكه و لم ينكر ذلك ، عتقت ولا شيء على المعتق لشريكه ، ولا شيء على الجارية من الخدمة التي يجب على أمهات الأولاد ، وإن أعتق بلا إذن شريكه فقد طرح عن الجارية ما يجب له عليها من الخدمة ، و لم يسقط عنها خدمة شريكه ، لأنها في الأصل حرة بالولد ، وهي مع ذلك واجب عليها الخدمة لمولاها ، وليس عليها أن تخدم الاثنين في حال واحد ، ولكن تخدمهما مياومة أو مشاهرة أو مساناة ، على قدر ما يتفقان عليه خدمة لا تزري بها في منازلهما.

فإذا اعتق أحدهما سقط عنها مقدار ما يجب له من تلك الخدمة في تلك المدة ، فإن كان المعتق لنصيبه واحدا ، وطالبه شريكه بقيمة حقه ، فليس ذلك له ، لأن هذا شراء ، وقد ذكرنا في أول المسألة أن أمهات الأولاد لا يبعن ولا يشترين ، فإن أراد المعتق زواجها فليس يضيق عليه ذلك ، إذا لم يحل بين شريكه وبين الجارية أن يؤدي ما يجب له عليها من الخدمة ، وإن أراد الذي له فيها حق لم يعتقه أن يتزوجها ويجعل عتقها صداقها ، لم يضق ذلك عليه ، وإن أعتق حقه كما فعل شريكه ، وأراد بعد ذلك زواجها ، لم يضق عليه إذا

أدى الصداق ، وإن أرادا جميعا زواجها بعد وجوب العتق لها ، فذلك إليها تختار أيهما أحبت ، وترد من كرهت.

فإن قال السائل: فعلى من خطر الجارية في حال ما أوقفت؟

فإني أقول: إن الخطر على المشتري حين أوقفها لاستبرائها ، ويستصح دعوى البائع لها ، فإن بان بها حمل عاد الخطر على البائع دون المشتري ، ووجب أن يرد الثمن إلى المشتري ، ويرد الجارية إلى البائع ، وكذلك الإيقافة الآخرة ، وهي التي ادعا فيها المشتري ، فالخطر فيها أيضا على المشتري ، لأنها في يده وحوزه ، وإنها لم يصح بها ولد فهي في ملكه ، فإذا صح بها ولد فقد عاد الخطر عليهما ، لحال اللبسة التي وقعت بينهما.

و[سألت] عن رجل استعدت عليه مرته عند الحاكم في أمر النفقة ، فلما أحضره الحاكم قال: ليس هذه لي بمرأة وقد حرمت علي ، فلما كان بعد ذلك قال: هي مرتي ، وإنما قلت ذلك لئلا يحكم لها بالنفقة علي ، وأنا أتوب إلى الله من ذلك ، وهذه المرأة مرتي ، وأنا أدفع إليها كل ما كان لها علي.

الجواب: اعلم أن هذا الرجل يسأل عن نيته؟ فإن ذكر أنه اعتقد في كلامه طلاقا ، فقد طلقت زوجته ، وإن قال مثل قوله لم أرد طلاقا ، وإنما أردت بكلامي أن لا يحكم علي الحاكم لم تطلق زوجته ، وكان قوله ليس هذه زوجتي وقد حرمت علي كذبة قد كذبها ، ووجب عليه أن يتوب إلى الله من العودة لمثلها ، وإنما هذا الرجل جاحد لزواج هذه المرأة ، فلو ناكرته في الحجة ، وأقامت عليه البينة أنها زوجته ، أو أوجب الحاكم عليه يمينا فنكل ،

لألزمه الاعتراف لها بالزوجية ، و لم يبطل إنكاره الزواج ، وكان لازما له حتى يخرج من بفراق.

و[سألت] عن رجل كبير لا يقدر على الحج ، فأخرج حجة هل تكون حجته مقبولة أم لا؟

الجواب: اعلم أن هذا الرجل لا يخلو أن يكون ترك الحج ضرورة أو اختيارا ، فإن كان ذلك لضرورة فلا تبعة عليه ، ولو لم يخرج حجة ، إذا لم يكن له مال ، وإن كان ترك الحج اختيارا ، ثم تاب وأخرج الحجة فهو الذي يلزمه ، ولا شيء عليه بعد ذلك ، إن كان أخلص التوبة ، وأظهر الندامة ، وكان لا يقدر على الحج بنفسه في وقت دفع ما حج به عنه.

و[سألت] عن رجل حلف بسبيل ماله ، وحنث وأقام وقتا من دهره لم يخرجه ، وأحب أن يخرج بعد ما اكتسب مالا هل يخرج ثلث الجميع ، أم ثلث ما حلف عيه يوم حنث؟

الجواب: اعلم - أكرمك الله - أن الحنث لزمه ساعة حلف في ثلث ماله ، فليس يلزمه غير ما حنث عليه أيْسَرَ أم أعدَم ، كما أنه لو أفلس حتى لا يبقى معه إلا هذا الثلث الذي قد لزمه إخراجه ، لأوجبنا عليه تسليمه ، و لم ننظر إلى إعدامه بعد ، وأكثر ما يجب على كل غلول أداء ما غل ، والتوبة إلى الله من فعله ، وإنما مثله في حبس ما حنث فيه عن مستحقه ، مثل رجل كان له على رجل دين محله يوم بعينه ، فلما أتى وقت الأجل دفع غريمة ، وهو واجد لأداء حقه ذلك ، ثم تصرف فيه فربح في ذلك ، ثم أحب أن يدفع إلى غريمه ، فذلك لا يجب لغريمه نصيب ، لأنه ضامن لحق غريمه ، فلا يكون ربح

وضمان ، وأكثر ما عليه في ذلك التوبة إلى الله سبحانه في حبس ذلك عن مستحقه.

و[سألت] عن رجل غَارَسَ رجلا في قضب على نصف العِرق إلى غير وقت معلوم ، ثم طلب صاحب الضيعة ضيعته ، ما يجب للغارس في أصل قضبه؟

الجواب: اعلم أن صاحب الضيعة إذا لم يحد وقتا بعينه فله ضيعته يطلبها متى شاء ، وليس ترك الشروط من أخلاق الصالحين ، إذ فيها الفصل بين المختلفين ، وكذلك فليس تذهب بترك الشروط حقوق المسلمين ، فلذلك يجب للغارس على صاحب الضيعة قيمة نصف العرق ، يؤديها إلى الغارس بما أوجب له على نفسه ، وغره فيما أنفق من ماله ، فإذا وَدَّى قيمة حق هذا الغارس ، فيفعل ما بدا له في ضيعته إن شاء قلع وإن شاء اشتغل.

و[سألت] عن رجل دفع إلى رجل غنما يرعى ثلاث سنين بثلثها؟

الجواب: اعلم أن هذا الراعي لا يضيق عليه إجارة نفسه ثلاث سنين ، أو أقل أو أكثر ، وإنما يضيق عليه أن لا يحد هذا الثلث ، لأنه إذا لم يحده لم يكن له شيء بعينه ، لأن الغنم ربما ساقت حتى لا يبقى منها إلى انقضاء المرة إلا ما يسوى عمل الأجير شهرا واحدا ، وربما ثرت حتى يعود ثلثها فوق ما يستحق الأجير ، فكل ذلك يوجب الخلف ، ولا يعمل عليه ، وإنما تصح الإجازة بالثلث إذا وقفت الغنم وميز بنيها ، ونظر الأجير الثلث مميزا من الثلثين ، وعرفه ورضي به وقبضه ، وتكاتبا على ذلك وأشهدا ، وذكرا في كتابهما بعض الغنم أن ليس على الأجير رعية أولاد الغنم ، إذ ذلك غرر أيضا ، فإذا

كتبا كتابهما ، وأثبتا شروطهما ، وأشهدا شهودهما ، فقد صحت معاملتهما ، وكذلك يجعلان لثلث الغنم قيمة معروفة من ذهب أوفضه ، فإن مات الأجير قبل تمام الأجل وخلف مالاً يكون الغنم أو غيرها ، نظر كم مضى لـــه مـــن الشهور فحسب له ، وما بقي عليه ودّاه ورثته عَرَضا أو نقدا بعد المحاسـبة ، كذلك إن مات المستأجر فورثته بالخيار في مالهم ، إن شاءوا أجازوا الإجارة ، وإن شاءوا نقضوها ، فإن قبضوا مالهم ودّى الأجير قيمة ما بقي عليـــه مـــن الزمان نقدا أو عرضا ، و لم يلزم الورثة ما عقد أبوهم على نفســـه ، فـــاعلم ذلك.

و[سألت] عن رجل له ضيعة أتت في نصف السنة بثلاثة أوسق ، وفي رأس الحول بوسقين ، هل يضم بعض ذلك إلى بعض حتى تجب فيه الزكاة أم لا ، أو يكون عرقا قد انقلع ورد عليه؟

الجواب: اعلم - حاطك الله - أن مثل هذه المسألة قد تقدم منا جوابها في مسائل كويل بن الحسن ، وذلك يغنينا عن إعادته ، وأنت تقف عليـــه إن شاء الله تعالى ، وهو جواب مقنع لمن سأل عن هذه المسألة. وأما العرق فليس يضم محدث منه إلى متصرم ، وإنما يضم غلات العرق بعضها إلى بعـــض في طول السنة ، إذا لم يف الزكاة فيما دون ذلك.

[تفسير سورة الفيل]

و[سألت] عن سورة ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ ... ﴾ إلى آخرها؟

الجواب: بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله جل اسمه: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝ ﴾. معنى ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ هو: ألم تعلم. ومعنى ﴿ فَعَلَ ﴾ هو: صنع. ومعنى ﴿ أَصْحَٰبِ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝ ﴾ هم: السائرون مع الفيل. وقال: ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ ﴾. معنى ﴿ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ ﴾ هو: نصرف مرادهم في هلاك وتخيل. وقال جل اسمه: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ ﴾. معنى ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ ﴾ فهو: سلط عليهم. ومعنى ﴿ أَبَابِيلَ ۝ ﴾ فهو: الكثير غير القليل. وقال جل اسمه: ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ ﴾. ومعنى ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ ﴾ هو: ظاهر لا يحتاج إلى تأويل. ومعنى ﴿ سِجِّيلٍ ۝ ﴾ فهو: الطين المستحجر الصلب الذي ليس فيه لين، فهو لشدته لا يقع على شيء إلا هشمه وحطمه. وقال جل اسمه: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝ ﴾. ومعنى ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝ ﴾ فهو: إخبار من الله أنه فعل بهم من العذاب ما عادوا بعده يشبهون بالعصف المأكول، وهو القصب المقطوع الذي قد أخذت أعاليه وبقيت أسافله في الأرض قياما على أصولها. ومعنى ﴿ مَّأْكُولٍ ۝ ﴾ هو: بال مدخول.

وأما خبر هذه السورة وما ذكر أنها نزلت من أجله، فإنه يروى أن العرب خربت كنيسة كانت يومئذ للحبشة، وكان يومئذ فيهم رجل من العرب من أهل اليمن يقال له: إبراهيم بن الصباح وكان يدين دينهم، فهو الذي بعثهم فأرسل الله عليهم الطير، وهي فيما يروى هذه الطير الخفاف التي

تسمى الخطاطيف ، ويروى أن الحجارة التي رموا بها كانت من الصغر على غاية ، فكان الحجر منها تقع على رأس الإنسان فلا يبرح ينحدر ، أو تقع في جوفه فتحرقه حتى لا تبقي في جوفه شيئا من أمعائه ولا غيرها ، فهذا ما روي من حديث هذه السورة ، والله اعلم بحقيقة ذلك.

[تفسير سورة المنافقون]

و[سألت] عن سورة المنافقين إلى آخرها.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله جل اسمه مخبرا لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم تسليما: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ۝﴾. معنى ذلك ﴿جَآءَكَ﴾ فهو: أتاك. ومعنى المنافقين فهو: اسم سمى الله به الذين يقولون ما لا يفعلون ، ويظهرون غير ما يسرون. ومعنى ﴿نَشْهَدُ﴾ فهو: نقر ونوقن. ومعنى ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ فهو: والله يعلم أن المنافقين لكاذبون. ومعنى الكاذبين فهم: المبطلون.

فأخبر الله من مكرهم بما كانوا يكتمون ، ثم قال سبحانه: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝﴾. معنى ﴿أَيْمَـٰنَهُمْ﴾ فهو: حلفهم وإقسامهم. ومعنى ﴿جُنَّةً﴾ فهو: وقاية يدرأون بها عن أنفسهم. ومعنى ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فهو: أعرضوا عن سبيل الله. ومعنى ﴿سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝﴾ فهو: قبح ما كانوا يفعلون.

ثم قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾. معنى ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ فهو: لأنهم. ومعنى ﴿ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ فهو: إخبار من الله سبحانه بإقرارهم ثم جحدهم. ومعنى ﴿طُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فهو: ختم على قلوبهم ، وذلك عقوبة من الله بعد كفرهم. ومعنى ﴿لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ فهو: أنهم بعد الطبع لا يفقهون ولا يعون إلا ما يوجب عليهم حجة رب العالمين.

ثم قال سبحانه: ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾. ومعنى ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ فهو: وإذا أبصرتهم. ومعنى ﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ فهو: تستحسن أبدانهم. ومعنى ﴿وَإِن يَقُولُوا۟﴾ فهو: وإن ينطقوا تسمع لما نطقوا به ، فيعجبك كما أعجبتك أبدانهم ، وتستحسنه منهم. ومعنى ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ فهو: صفة وصفهم الله بها ، وشبههم بالجماد الذي لا معقول فيه ، وهو من الهيئة والجلد على ما هو عليه. ومعنى ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ فهو: يظنون. ومعنى ﴿صَيْحَةٍ﴾ فهو: حركات العساكر ، والالحاح من الأصوات بالبواتر. ومعنى ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ فهو: إخبار من الله لنبيه بما أسروا من عداوته ،

وكتموه من بغضه ، فحذره ما يطلبون من غرته. ومعنى ﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ ﴾ فهو: لعنهم الله وأهلكهم كيف يعرضون.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝ ﴾. معنى ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ فهو: متى قيل لهم. ومعنى ﴿ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ﴾ فهو: أقبلوا وهلموا يطلب لكم رسول الله العفو عنكم. ومعنى ﴿ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ ﴾ فهو: إخبار من الله بفعلهم إذا دعوا ليستغفر لهم. ومعنى ﴿ رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝ ﴾ فهو: سواء عليه استغفرت لهم أم تركتهم ، فأخبر الله نبيه أنه لن يغفر لهم ، لما علم من تماديهم في الضلالة ، وقلة رغبتهم في الهداية ، وعرفهم بعد ذلك أنه لا يهدي من فسق. ومعنى الفسق فهو: المخالفة لرب العالمين.

ثم قال سبحانه: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝ ﴾. معنى ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ فهو: الذين يتوامرون. ومعنى ﴿ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ فهو: لا تخرجوا شيئا من زكوات أموالكم ، ولا تطهروا شيئا مما تنتفعون به من تجارتكم. ومعنى ﴿ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ فهو: من مع رسول الله. ومعنى ﴿ يَنفَضُّواْۗ ﴾ فهو: يفتروا ويتشتتوا. ومعنى ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فهو: إخبار من الله لنبيه وللمؤمنين أن بيده ملك

السموات والأرض ، وأن عنده من الرزق ما يعم جميع العالمين ، وأنه لا يضيع عباده الصالحين ، بل يرزقهم من حيث لا يحتسبون ، ويسبب ذلك من حيث لا يرجون. ومعنى ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝ ﴾ فهو: لا يعلمون ، ولا يوقنون أن لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم رزقا سوى ما ينالهم مما في أيديهم ، من واجب ما جعل الله عليهم. فأما سوى ذلك من المواساة فلم يكن ذلك من أخلاق المنافقين ، وإنما المواساة من أخلاق الأنصار المتقين.

ثم قال سبحانه: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾. معنى ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ فهو: متى عدنا إلى المدينة. ومعنى ﴿ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ ﴾ فهو: لينفذن الأعز منها الأذل ، وقدروا أنهم الأعز وأن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الأذلاء ، فأكذب الله قولهم ، وما قدروا بجهلهم ، فقال عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾. وقال: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾. معناه: لا يوقنون.

ثم قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ ﴾. معنى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فهو: يا هؤلاء. ومعنى ﴿ لَا تُلْهِكُمْ ﴾ فهو: لا يشغلكم ويسهكم. ومعنى و ﴿ أَمْوَٰلُكُمْ ﴾ فهو: أملاككم من أنواع ما خلق

الله لكم من رزقه الذي رزقكم. ومعنى ﴿ أَوۡلَٰدُكُمۡ ﴾ فهو: نسلكم. ومعنى ﴿ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ فهو: عن طاعة الله التي من أداها لم يخل من ذكر الله فيها ، ومن ذكر الله فلم ينسه ، ومن لم ينسه لم يخالفه و لم يعصه. ومعنى ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝ ﴾ ، معنى ﴿ يَفۡعَلۡ ﴾ هو: يعمل. ومعنى ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ فهو: هذا الذي نهى الله المؤمنين عنه. ومعنى ﴿ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝ ﴾فهم: الخائبون الذين لم ينالوا ما كانوا يأملون.

وقال سبحانه: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ ﴾. معنى ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم ﴾ فهو: اعطوا مما وهبناكم. ومعنى ﴿ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ فهو: يأتي كل واحد منكم الموت ، فطرح الكاف واللام وهو يريدهما ، فجاء الخطاب كأنه لواحد دون الجميع. ومعنى ﴿ فَيَقُولَ رَبِّ ﴾ فهو: عطف على النسق الأول ، لأن جنس الخطاب الآخر ، من جنس الخطاب الأول. ومعنى ﴿ لَوۡلَآ ﴾ فهو: لو بلا ألف ولام ، ولها نظائر في الكلام. ومعنى ﴿ أَخَّرۡتَنِيٓ ﴾ فهو: تمهلتني وتركتني و لم تمتني. ومعنى ﴿ أَجَلٖ قَرِيبٖ ﴾ فهو: وقت قريب. ومعنى ﴿ فَأَصَّدَّقَ ﴾ فهو: فأخرج وأنفق. ومعنى ﴿ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ ﴾ فهو: وأعود إلى المسلمين ، ومن وإلى يعتقبان ، يقول: وأعمل من الطاعة مثل ما يعملون.

وقـــال ســـبحانه: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾. معنى ﴿ يُؤَخِّرَ ﴾ فهو: ليس يخلف. ومعنى ﴿ إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾ فهو: إذا أتى وقتها. ومعنى ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ هو: تعريف مـــن الله لعباده أنه عارف بما يصنعون.

وأما خبر السورة وفيمن نزلت ، فإنه يروى أنها نزلت على رســـول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة عسفان ، وفيما كان من كلام الفاســـق الكافر المنافق عبد الله بن أبي سلول وأصحابه من المنافقين ، عليهم غضـــب رب العالمين ، وذلك أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وســـلم لمـــا كثروا في الطريق وقلت عليهم المياه ، كانوا يقدمون أخدامهم فيستقون لهـــم قبل وصول العسكر إلى الماء ، وكذلك خدام المنافقين ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعلوا من التقدم مثل ما كانوا يفعلون ، فلما وردوا الماء ازدحم عليه خدم المهاجرين والأنصار ، وخدم الفاسق عبد الله بـــن أبي سلول وخدم أصحابه المنافقين ، حتى تضاربوا فكانت الغلبة لخدم المـــؤمنين ، فطردوا إذ ذاك خدم المنافقين وأبعدوهم عن الماء ، فلما نزل العسكر وجـــد عبد الله بن أبي سلول خدمه لم يستقوا ، فسألهم عن حالهم؟! فأخبروه بما كان من خدم المؤمنين ، فقال اللعين عند ذلك: آويناهم وأقويناهم حتى قووا علينا ، والله لأن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، ثم قال لأصحابه: لا تبايعوا أصحاب محمد ولا تشاروهم ، ولا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا ، فلمـــا بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا الخبر همَّ بقتله ، فأتاه ابن لعبـــد الله بن أبي سلول ، وكان الابن مؤمنا مخلصا ، فقال: يا رســـول إن كنـــت

عزمت على قتله فمرني أنا فآتيك برأسه ، فوالذي بعثك بالحق ما قولي هــذا لشك فيك ، ولا معارضة لك في شيء تراه ، غير أني أخاف أن تأمر به غيري فيقتله ، فيقع في قلبي خشونة على قاتله فينقص ذلك إيماني ، ويفسد علي شيئا من إسلامي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما كــان مــن كلامه: « بل نهبه لك ، بل نهبه » فكرر القول ووهبه له.

وروي أنه لما وصل العسكر المدينة أخذ ابن عبد الله السيف ، ونهض به إلى أبيه مسلولا ، ثم قال: والذي بعث محمدا بالحق نبيا لتقولن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأعز وأنت الأذل ، أو لأضربن عنقك بالسـيف ، فلما رآه أبوه مجمعا على قتله إن لم يقل ما أمره به ، قاله صـاغرا ، مكرهـا مجبورا ، فلما علم عبد الله بن أبي سلول أن رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم قد بلغه علمه ، أتى إليه في جماعة من المنافقين ، فحلف بالله جاهدا إن كنت قلت ما بلغك عني ، ولا تكلمت بهذا الكلام ، وحلف إخوانه المنافقون ما قاله ولا تكلم به ، ولقد كنا حاضرين لجميع أمره. فلذلك أنزل الله سبحانه ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً ﴾ [المجادلة:١٦ ، المنافقون:٢]. ثم ذكر الله سبحانه المؤمنين في آخر السورة ، فكان ذكره لهم موعظة ودلالة على الفضل الذي يوجـب الثواب ، فهذا ما كان من الخبر ، وربنا محمود لا شريك له.

و[سألت] عن قول الله سبحانه: ﴿ يسٓ ۝ ﴾ [يس:١]. ما معنى ﴿ يسٓ ۝ ﴾ ؟

الجواب: اعلم أن الله سبحانه أقسم بأشياء كثيرة من خلقه ، وإنما أقسم بما أقسم من خلقه ، دلالة على تفضل الخالق بما أبان في المصنوع من عجائب

تدبير الحكمة ، وآثار النعمة ، فكان مما أقسم به حروف المعجم الـــتي تعلـــم الأشياء بها وتفهم ، ومن ذلك ﴿ يسٓ ۝ ﴾ [يس:١] التي سألت عنها - وفقك الله لطاعته - وقد ذكر عن القاسم عليه السلام أنه قال: « وقد يجوز أن تكون أسماء لأشياء لم يطلع الله العباد على معرفتها ، و لم يعلمهم ما أخفى منـــها ، وليس على العباد معرفة ما لم يندبهم الله إلى معرفته ، وإنما عليهم الإقرار بمـــا أمرهم بالإقرار به من رسله ، فيعلمون أن ذلك من عند الله تـــولى فعلـــه ، ورضي عمل مَن قَبِلَه والسلام.

و[سألت] عن رجل قال له رجلان من إخوانه: إن مرتك قد زنـــت ، فَفَارَقَها فيما بينه وبينها ، هل يطلقها أم لا؟

الجواب: اعلم أن هذا الرجل قد طلق زوجته بأيقن اليقين ، فليس يجب له مداناتها ، إلا من بعد الإقرار بطلاقها ومراجعتها عند شاهدين ، فأما فيما بينه وبينها ، فلا يجوز له ذلك ، والطلاق لا يتم له حتى يخرج مما ذكـــرت. فاعلم ذلك.

و[سألت] عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « على المـــرأة إصلاح ما في الدار ، وعلى الرجل إصلاح ما خارج الدار »؟

الجواب: اعلم - وفقك الله - أن للرجل أعمالا خارجا لا تستحق المرأة منها شيئا ، وللامرأة أعمالا داخلا لا يستحق الرجل منها شيئا أيضا ، فالذي لا يستحقه أيهما على صاحبه فهو ما فوق القوت والكسوة ، ومـــا يقـــوم

بالمصلحة ، وذلك لا يعنف عليه (١) الرجل في تركه لـو تركـه ، وذلـك الإكتساب فوق ما لها عليه ، فلو أن رجلا كسب مالا جليلا بإصلاحه ، لما استحقت المرأة منه أكثر مما جعل الله على الزوج لها ، وكذلك فلو أن المـرأة كسبت في بيتها بحسن النظر منها فيما تملكه وتعمله مالا ، لما كان للزوج منه شيء أيضا ، وإنما معنى قول رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله وسلم: « على الرجل إصلاح ما خارج » ، وهو اكتساب ما يعيشان به من الـرزق ، الذي جعل الله الرجل قائما به دون المرأة ، وفرضه عليه فرضـا ، فعليـه أن يطلب بجهده ما يحتاجان إليه من قوتهما ، فإن أتى بحب طحنته وصنعته ، وإن أتى بلحم طبخته وأصلحته ، وإن استودعها شيئا من رحله حرصـت عليـه وحفظته ، وإن استخدمها في منزلها خَدَمَتْهُ ، وأدت مـا يأمرهـا بتأديتـه ، وأنفذت ما يأمرها بإنفاذه ، فهذا ومثله الواجب عليها. فأما أن يلزمها غـزلا أو حوكا أو عملا مما يعلمه النساء في بيوقمن ، ويصلحن من شـأهن ، لأن تأخذ في ذلك أجرة أو ثمنا ، فليس يجب له ذلك عليها ، إلا أن تسمح بشيء منه ، فيكون ذلك تفضلا منها عليه.

و[سألت] عن رجل دفع إلى رجل مائة دينار ، وقال له: استدن عليها ما أحببت ، والربح لي ولك ، هل يكون الربح لأحدهما أو لهما جميعا؟

الجواب: اعلم يا أخي - وفقك الله - أن الربح لا يصح إلا لمن ضـمن الدين ، لأن رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله وسلم « نهى عن ربح ما لم

(١) في المخطوط: لا يعنف علي. الكلمة الأولى مهملة.

يضمن » ، فإن كان المضارب ادَّان الدين باسمه ، وكتب الكتاب على نفسه ، وأشهد الشهود على قرره ، وضمن الدرك لمعامله ، فالربح له دون شريكه ، ولشريكه حقه فيما جاء في مائته ، وإن كان المُدين دَيَّن ذلك صاحب المائة التي مع المضارب ، و لم يلحق المضارب من المدين تبعة ، فذلك الدين بضاعة لصاحب المائة مع مائته ، يتصرف المضارب في الجميع ، فما أدرى الله في ذلك من ربح فهو بينهما يقتسمانه.

و[سألت] عن رجل رمى زوجته بما يوجب الحد في غير وقت إمام هل تحرم عليه أم لا؟

الجواب: اعلم يا أخي إن من فعل مثل هذا الفعل فقد فسق في دنيه ، وتعرض لغضب ربه ، في الدنيا والآخرة ، فإن هو تاب ، ورجع عن قبيح فعله وأناب ، رجوت أن لا تحرم عليه ، لأن التحرمة إنما تكون في زمان الأئمة ، وبعد الاستقصاء والحكومة. فأما في الفترة فالتوبة تجزي من أخلص لله سبحانه النية ، و لم يدغل في التوبة ، فيصر على الخطيئة.

و[سألت] عن الأوقاص التي عفا عنها رسول الله صلوات الله وعلىالله وسلم ما الأوقاص؟

الجواب: اعلم يا أخي أن أوقاص الأشياء أبعاضها حين تميز منها ، وذلك في الأنعام خاصة دون النقود والغلات ، من الزروع المعلومات ، فعفا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أوقاص الإبل ، وهي ما بين الفريضتين ، وعن أوقاص البقر وهي ما بين الفريضتين ، وعن أوقاص الغنم ، وهي البعض الذي بين الفريضتين ، وذلك في الإبل إذا كثرت ، فعاد في كل خمسين حقة

ما زاد على الخمسين فهو وقص ، لا زكاة فيه ، وفي الغنم إذا كثرت فعاد في كل مائة شاة ما زاد على المائة فهو وقص لا زكاة فيه ، وفي البقر ما بين الأربعين والثلاثين ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن رجل زوج رجلا بشهادة رجلين فاسقين ، هل يكون التزويج ثابتا فيما بنيه وبين الله؟

الجواب: اعلم يا أخي أن ليس لأحد أن يستشهد فاسقا في شيء من أمره ، كان زواجا أو غيره ، لأن الله سبحانه أمر بذوي العدالة ، ولم يأمر بذوي الفسق والجهالة.

وأما الزوجية فتثبت من وجوه شتى:

أما أولها: فإن الله أمر بالزواج أمرا ، ووعد عليه يسرا ، فقال عز وجل: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ... ﴾ [النور:٣٢] الآية. فهذا أمر من قول الله سبحانه ليس يفسده شيء ، إذا كان المنكح الولي. وأما الشاهد فإنما هو فرع لأصل ثبتت عدالته مرة ، ومرة يغل عدالته ، ووجدنا الأمهات من الأصول ثابتة لا تبطل ، وكذلك وجدنا الزوجية ثابتة بعد موت العدلين وعدمهما ، فلما لم يبطل بموقمما لم يبطل بفسقهما ، لأن من احتاج إلى الشاهد إذا كان شاهده ميتا ، لم يغن عنه ، وكذلك هو إذا كان فاسقا لم يغن عنه ، لأن عدالته مطّرحة ، وأكثر ما يجب على من أشهد فاسقا في نكاح أو بيع أو شراء ، أن يتفق هو وخصمه على رد الشهادة إلى عدلين مقبولين ، لأن الله إنما أمر بالعدول لقطع الكلام بين المخلوقين ، وليس الفاسقان في هذا المكان كهما في الذبائح ، لأنا قد

أوجدناك أن أصل النكاح صحيح ، وأن العدول عنه في بعض الحالات يصرفون ويبدلون ، وأصل الذبائح فإنما هو وضع الشفرة وقتل البهيمة ، فإذا قتلها غير من يذكر اسم الله على حقيقة الذكر بطلت الذبيحة وحرمت ، و لم ترجع قائمة كما كانت ، لأن للآية لم يؤت بها فيها كما أنزلت.

واعلم أن من ذكر الله فليسوا في ذكره سواء ، لأن خالص الإيمان ، وذكر الرحمان ، من طريق الذكر وحده ، لأنا نعلم أن الله لم يُرد الذكر إلا من مطيعه ، و لم يُرده ممن يعصيه ، لأن أمير المؤمنين عليه السلام قال: « الإيمان: قول مقول ، وعمل معمول ، وعرفان في العقول » ، وقد مدح الله المؤمنين فقال عز ذكره: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ... ﴾ [الأحزاب:٣٥] الآية. وعرف ما هم عليه من الطاعة ، وما لهم عنده من الثواب ، و لم يمدح أحدا من العاصين مع ذكرهم له ، ونحن نعلم أن كلهم له ذاكرن ، والخطب في هذا ومثله يتسع ، فلذلك قطعت فيه الشرح ، ورجعت إلى أصل المسألة ، ومن ذلك أن يكون الزوج والولي جهلا فسق الشاهدين ، فاستشهدوهما على جملة الإسلام ، فهذا لا يفسد النكاح بين المسلمين ، كما لم يفسد نكاح من كان قبلهم ، ومن ذلك أن الأمة كلها إلا اليسير منها على غير استقامة ، وبعضها يشهد بعضا في جميع ما هم فيه من بيع أو شراء أو نكاح ، حتى لو أن الله سبحانه أظهر وليّ حق لما أبطل شهادات شهودهم ، فيما كان قبله ، فأما من حين يظهر فيرد حكمهم وشهاداتهم إلى أهل الإيمان والعدالة ، ويبطل ذلك ببطلان حكم أهل الفسق وشهاداتهم ، ولو أن الأمة نقضت أحكامها لأدى ذلك إلى فساد عظيم.

و[سألت] عن رجل زوج جارية له على من يكون زكاة المهر؟

الجواب: اعلم أن مولى الجارية إذا قبض صداقها فهو مال من ماله ، يزكيه كما يزكي ماله ، وقد يجب عليه أن يعزل للجارية منه عشرة دراهم ، أو ثوبا قيمته هذا المقدار.

و[سألت] عن رجل عليه صلاة حضر ، ثم سافر هل يقضيها في سفره ، أو يؤخرها حتى يقضيها في أهله؟

الجواب: اعلم أن هذا الرجل لا يضيق به أي الحالين فعل ، وليس يدخل عليه من قضاء صلاته في السفر دخل ، كما أنه لو خلا صلاة سفره لقضاها في الحضر ناقصة ، وكذلك ما يقضي في السفر من الصلوات ، يكون تاما إذا كان ما ترك من ذلك من صلوات الحضر ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن رجل فرض عليه الحاكم لمرته فرضا نفقة وكسوة ، ثم خرجت من منزله هل يلزمه لها النفقة أم لا؟

الجواب: اعلم – وقيت – أن خطأ النساء كثير ، وإن طرحت حقوقهن بما يبدو من خلافهن ، لم يستوجبن شيئا مما فرض الله لهن ، وليس لهن غير الرفق والموعظة والهجرة ، وما يطمع الرجل أن يردها به إلى محبوبه. فأما قطع القوت واللباس ، فليس ذلك من آداب الناس ، فأما إذا لجت المرأة في العصيان ، وهي مع زوجها في الإحسان ، وعصت أمره في كل شان ، وطلبت بذلك فراقه ، ولم تخل في شيء من الأشياء شقاقه ، فعند ذلك يجب عليه أن يعرفها أن من فعل فعلها من النساء لا تستحق على زوجها شيئا من الأشياء ، التي تستحقها من كان ذا استقامة من النساء ، فإن رجعت وخلت ما كانت فيه ،

فحقها واجب عليه ، وإن لجت واختارت الفراق على هذا الشرط فهو غير مأثوم فيما أخذ ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن رجل وهب لابن له صغير لم يبلغ جارية ، ثم إن الرجل استرجع الجارية من هذا الصبي الصغير الذي في حجره وباعها ، هل يكون له ذلك أم لا؟

الجواب: اعلم أن هبات الأولاد ليست كهبات سواهم ، والأحوط لهذا الرجل أن يمضي الهبة ، إلا أن يكون له ولد غير هذا الولد ، فلا يسعه غير ارتجاعها ، أو تلزمه حاجة لا مدفع لها إلا ببيع الجارية ، فيقع ذلك له معذرة ، ويعتقد تعويضعه عند الجدة ، وقد يجب للوالد على الولد البر ، ويجب على الوالد القيام بالولد في حال حاجته إليه ، والإحسان من أخلاق الصالحين ، التي تقرب من رب العالمين.

[مسائل كويل بن الحسن]

يتلو ذلك مسائل كويل بن الحسن.

سألت يا أخي - أرشدك الله - عن معنى قول الله سبحانه: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٣]. وقلت: هو يقول لمحمد عليه السلام يضرب رؤوسهم حتى يؤمنوا ، ما معنى ذلك؟

الجواب: اعلم أنه قد روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أُحصر بالحديبية ومنعته قريش من وصول مكة ، وكتبوا بينه وبينهم كتاب الهدنة ، وأثبتوا ما بينهم من الشروط فيه ، كان من الشرط عليهم للنبي صلوات الله عليه وعلىالله وسلم تسليما أنه إن خرج من أصحابه الذين في المدينة إليهم

خارج ردوه ، وإن خرج من أصحابهم الذين بمكة إليه خارج رده ، فأوفى كلٌ عهده إلى انقضاء المدة ، فلما بلغوا الأجل أنزل الله تبارك وتعالى على نبيه عليه السلام: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [البقرة:٢٥٦] ، فمنع عليه السلام قريشا بعد نزول هذه الآية إكراه أحد ممن اختار الإيمان منهم ، فهذا ما روي في هذه الآية ، لا ما توهمت وفقك الله.

وقد يكون من معنى هذه الآية وتأويلها: أن يكون الله تبارك وتعالى عرَّف العباد أنه غير مُكرِه لهم على طاعته إكراه جبر ، والذي يدل على ذلك قوله: ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [البقرة:٢٥٦] ، وليس الإكراه من الله سبحانه كالإكراه من نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، لأن الإكراه من النبي عليه السلام يقتضي قرر اللسان ، وفي الضمير من الاعتقاد غير ذلك ، والإكراه من الله تبارك وتعالى يقتضي الإقرار باللسان ، وإخلاص النية في الضمير ، فجاء معنى هذا القول من الله سبحانه بمعنى قوله: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ [الكهف:٢٩] ، فجاء ظاهر هذا الخطاب كالإباحة ، وإنما هو تخيير من الله سبحانه لعباده ، بعد أن عرَّفهم ما في الحالين من العقاب والثواب ، كذلك عرَّف عباده أنه غير مكره لأحد منهم على طاعة ولا معصية ، بعد أن بيَّن لهم الرشد من الغي ، فهذا أيضا وجه حسن التأويل ، فأي المعنيين تأولت فقد أصبت ، إن شاء الله تعالى.

و[سألت] عن معنى قول الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ

لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ [يونس:٩٤]. ما أراد بهذا القول؟

الجواب: اعلم أن معنى هذه الآية وتأويلها يخرج على أحد وجهين:

فمن ذلك أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أول ما أنزل عليه الوحي خاف أن يكون ذلك عارضا داخل عقله ، فلم يتحقق يقينه ، ولم يكن في اليقين أصح من إقرار الضد لضده ، والخصم لخصمه ، فلما علم الله جل اسمه أن ذلك قاطع لما شك فيه نبيه ، أمره بسؤال أهل الكتاب المكذبين ، والشك منه صلوات الله عليه وعلى الله وسلم فلم يكن في الله سبحانه ، ولا فيما نزل عليه من فرقانه ، وإنما كان شكه في نفسه إتهاما منه أن يكون عرض لها ، وقد يروى أنه كان يغمى عليه في وقت نزول الوحي إليه ، فهذا وجه قد روي وتأوله أكثر الناس والله أعلم بصحته.

وأما الوجه الثاني فهو الذي أعتقده ، ولا أعدل بالمعنى عنه ، وهو أني أقول: إن المخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والمراد بالخطاب سواه ، لأنه صلوات الله عليه وعلى الله وسلم ، بعيد من الشك في الله ، وفيما نزل من عنده ، وإنما المعنى: ومن شك فيما نزل عليه ، فخاطبه الله سبحانه بهذا الخطاب تنبيها لمن شك ، ودلالة لهم على سؤال أعدائه عن حقيقة ما أتى به ، وذلك أن إخوانهم من أهل الكتاب لم يكونوا يكتمونهم شيئا مما في صحفهم ، ثقة بهم ألا يظهروا ذلك لمحمد وأصحابه ، فأراد الله تبارك وتعالى إثبات الحجة عليهم بذلك ، وجعل الخطاب والأمر بالسؤال لسواهم ، لأن يخف عليهم ذلك ، فيسألون عنه من يثقون به ، ولم يخصهم الله سبحانه

بالسؤال ، فيسد عند الأمر خلتهم ، ويثقل عليهم ما كلفهم ، فلا يسألوا من يركنون إلى قوله من إخوانهم الكتابيين. فخاطب الله سبحانه رسوله بهذا الخطاب ، والمراد بالخطاب سواه ممن شك فيما نزل عليه عليه السلام ، والدليل على ذلك أنه قد يخاطب من لا يراد بالخطاب ، قول الله سبحانه لنبيه عليه السلام في الوالدين: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ...﴾ [الإسراء:٢٣] الآية ، والمعلوم الذي لا يختلف فيه خاص ولا عام ، أن القرآن نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وليس من والديه حي أصلا ، فهذه دلالة لا تدفع.

و[سألت] عن معنى قول الله سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ... إلى قوله: وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام:١٤٦] (١). هل ذبائح اليهود عليهم حرام في نفوسهم أم تحل لهم؟

الجواب: اعلم يا أخي أنا وجدنا كتاب الله سبحانه يخبر بما حرم على اليهود ، فلم نجد في ذلك تحريم ذبائحهم عليهم ، وإنما وجدناه يحرم عليهم كل ذي ظفر ، ومن البقر والغنم حرم عليهم ما ذكر.

فإن قال قائل: فلعل ذلك كان عليهم قبل ظهور النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان جائزا ، وحرم عليهم بعد ذلك؟!

---

(١) كمال الآية: ﴿... وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِبَغْيِهِمْ ...﴾.

فإنا نقول: إن ذلك يستحيل ، لأن الله سبحانه قال: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ... ﴾ [الأنعام:١٤٦] الآية. فلو كانت الذبائح مما عاقبهم به ، لذكر ذلك في كتابه.

فأما غيرهم فمحرم عليهم ذبائحهم ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن معنى قول الله سبحانه: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأعراف:٣٢] ؟

الجواب: اعلم أن الله سبحانه أمر نبيه عليه السلام أن يسأل من أنكر عليهم ، ما كانوا ينالون من الزينة وطيبات الرزق ، مَن حرَّم ذلك؟! فلم يجدوا لمَا سأل عنه جوابا ، فأخبر الله سبحانه بالجواب في ذلك ، فقال عز من قائل: ﴿ قُلْ - يا محمد - هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾. فدل بذلك أن الرزق في الدنيا مشترك ، وأنه في الآخرة للمؤمنين خالصا ، والخالص هو الصافي لأحد الجزئين بعد الاشتراك ، ولو كان للمؤمنين خالصا في الدنيا والآخرة ، لكان قول الله: قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا ، لكنه سبحانه لما قال: ﴿ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ ، علمنا أنه مشترك في الدنيا ، فهذا معنى ما سألت عنه وجوابه.

و[سألت] عن الرواية التي ذكرت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تسليما أنه قال: « حرام على كل حطاب ومسافر وغيره أن يدخل مكة إلا بإحرام » ، هل هذا الخبر عنه صحيح؟

الجواب: اعلم - رشدت - أن هذا الخبر مستحيل عن الحطابين ، ومَن شاكلهم من المرتفقين ، وواجب ذلك على الحآجين والمعتمرين ، لما جاء في كتاب رب العالمين ، ودل عليه خاتم النبيين ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن معرفة الخالق هل العقل مجبور عليها ، وهل معرفة الله بالعقل من العباد أم لا؟

الجواب: اعلم أن الله سبحانه يُعرف من وجهين:

أحدهما: معرفة إلهام واضطرار.

والوجه الآخر: معرفة نظر وأفكار.

فأما الإلهام الضروري فلا تخلو الأنفس منه ، ولا تمتنع الأسماع عنه.

وأما النظر والأفكار ، فأمر به الواحد الجبار ، وذلك أمر تخيير لا اضطرار ، والدليل على ذلك قول الله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾ [الأعراف:١٨٤ ، الروم:٨] ، ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ﴾ [الأعراف:١٨٥] ، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ [النحل:٤٨] في آي كثير من كتاب الله يطول شرحها ، ولا غنى بها على السائل ألهمه الله طاعته.

و[سألت] عن رجل سبح في الركعة الثالثة من المغرب أربعا أو خمسا ، هل تفسد صلاته إذا عدا الثلاث أم لا؟

الجواب: اعلم أنه لا تفسد ذلك عليه صلاته ، وإنما المتسحب ثلاث ، فمن زاد فليس يضيق عليه ذلك ، وكذلك فلو سبح واحدة أو اثنتين لما أفسد عليه شيئا ، فاعلم.

و[سألت] عن رجل سها في صلاته فلم يركع إحدى ركعاته حتى نجحت صلاته ، هل يعيد أو يسجد سجدتي السهو؟

الجواب: اعلم أن من ترك ركعة يعيد ، لأنه خلا بعض صلاته ، ولم يأت بها كما أمره الله سبحانه ، لأنه قال عز من قائل: ﴿ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾ [الحج:٧٧]. فمن سجد ولم يركع ، أو ركع ولم يسجد ، فلم يؤد ما أمر به ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن رجل زرع في ضيعة زرعا صنفا واحدا من الطعام ، فصَرَّبَه في ستة أشهر من الحول ، فجاء بوسقين ونصف ، ثم زرع في آخر الحول فجاء بوسقين ونصف ، من هذا الصنف الأول ، فكانت الخمسة الأوسق في الحول كله ، هل يجب عليه فيه زكاة؟

الجواب: اعلم أن هذا الزرع الآخر إن كان نبت وخرج من الأرض والزرع الأول قائم على أصوله لم يحصد بعد ، وتلاحقا في الأرض جميعا ، ضم أحدهما إلى الآخر ، ولم ينظر في تفاوقهما ، وزُكّيا إذا بلغ كيلهما خمسة أوسق ، وإنما أوجبنا ذلك فيهما ، لأنا وجدناهما معا ، ولم يعدم أحدهما ،فلما وجدناهما معا لم نر طرح الزكاة عنهما ، والثمار فقد يجب فيها الزكاة إذا كانت حاضرة ، ولا ينظر إلى تأخر بعضها عن بعض ، وإن كان الزرع الأول صرم قبل نبات الزرع الآخر ، ولم يتلاحقا في الأرض فلا زكاة عليها ، إلا أن

يأتي كل واحد منهما خمسة ، فيزكى الأول والآخر جميعا ، أو يكون أحدهما خمسة والآخر دون ذلك ، فيزكي الخمسة ، ولا زكاة فيما دون ذلك ، فاعلم.

و[سألت] عن رجل هلك وخلف أولادا وضيعة ، فأصاب منها هؤلاء الورثة في حولهم خمسة أوسق من صنف واحد ، والورثة خمسة ولم عاد يقسموا الضيعة هل يلزمهم زكاة أم لا؟

الجواب: اعلم أن الرجل المتوفى إن كان توفي والزرع صغار لا يلزم مثله الزكاة ، فلا شيء فيه ، لأنه قد انتقل إلى جماعة تقع لكل واحد منهم منه دون ما يجب في مثله الزكاة ، عند وجوبها في الغلات.

والدليل على صحة ذلك أن هذا الرجل لو كان رب مال ناضٍ ، ثم حضرته الوفاة في آخر وقت كان يدفع الزكاة في أوله ، لأوجبنا عليه الزكاة ، وكانت معزولة من جملة المال قبل قسمة الورثة ، وكذلك لو أنه توفي قبل محل زكاته لكان لورثته أن يقتسموا تراثه ، ولا يزكي واحد منهم ما في يده ، إلا أن يبلغ ما يجب في مثله الزكاة ، فيزكيه إذا حال عليه الحول وهو في يده ، فاعلم ذلك.

[مسألة الجمع بين الصلاتين]

وعن الجمع الذي ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحضر والسفر وهل يجب للإنسان أن يخلف الظهر إلى العصر ، والمغرب إلى العشاء ، على الدوام من غير علة ، وهل الجمع في سائر الأسفار كالجمع في مزدلفة أم لا؟

الجواب: اعلم - رشدت وسلمت - أن الجمع الذي ذكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السفر والحضر صحيح عنه لا إختلاف فيه.

فأما جمعه في الحضر فدلالة منه صلى الله عليه على الفسحة للمتصرفين في المصالح ، وتوسعة أباها الله سبحانه في فعل نبيه صلوات الله عليه وعلى آله ، وكذلك تخليف الظهر إلى العصر ، والمغرب إلى العشاء ، فهو تفضل أيضا من الله سبحانه على المشتغلين في طاعته ، وفيما لا غنى لهم عنه من طلب فضله ، وكذلك المسافرون فذلك رفق بهم من رب العالمين.

فأما المتفكهون في مجالسهم ، المتحدثون في الحديث بما لا يرضى خالقهم ، المتشاغلون من الأشغال بمعاصي مولاهم الذي يملكهم ، فأولئك ومن كان مثلهم في ضيق من أمورهم ، يعاقبهم الله على ما كان من فعلهم ، ولا يعذرهم فيما كان من شغلهم ، إذ ليس في ذلك رضى لخالقهم.

وأما الجمع في سائر الأوقات التي تجمع فيها الصلوات ، فيكون سبيل الجمع فيها كسبيل الجمع بمزدلفة ، ولا رخصة لأحد في تأخير الأوقات ولا في الجمع للصلوات ، إلا عند عوارض المحن والعلات.

واحذر أيها الأخ الدخول تحت الرخص ، فقد عَرَّفتك من رُخِّص له ، ولا تَعلَّقْ بما تَعلَّقَ به كثير من العترة والشيعة ، من كتاب صلاة يوم وليلة عن القاسم عليه السلام ، فإن ذلك الكتاب لا يوجب رخصة لمن تفهَّمه ، وعرف مراد صاحبه ، وقد كان أعلم الناس بمقال القاسم بن إبراهيم ابنه محمد عليهما السلام ، فلم يُرخص في ذلك بل شدد فيه ، وفيه خطب واسع في كتابه

المعروف بكتاب الشرح والتبيين ، وأنت تقف على ذلك إذا نظرته ، وليس تعدمه إذا طلبته عند بعض إخوانك.

و[سألت] عن رجل من أهل البيت يدعي الإمامة ، ثم استحلف رجلا فقال في يمينه: وإلا فعليه أيمان البيعة بحلالها وحرامها ، وليس في معتقد هذا الرجل الذي حلف بهذه اليمين طلاق ولا سبيل ولا عتاق ، هل يلزمه حنث إذا لم يعتقد أن حلالها وحرامها فيه من هذه الفنون شيء إن حنث أم لا؟

الجواب: اعلم - وفقك الله - أن الأمر إن كان كما ذكرت ، فهذا إمام لا يحسن أن يستحلف ، أو يكون حسن الظن عمن يحلف ، وهذا الحالف لا يحسن أن يحلف ، أو يكون اعتقد أن يحلف ، لأن الإمام الذي يحسن أن يستحلف يقيد على المستحلف فيقول له عند آخر يمينه: اليمين منك والنية نيتي ، ويقول الحالف عند آخر يمينه ، وعند قول الإمام والنية نيتي ، فيقول: والنية نيتك إلا ألا تفي لله وللمسلمين بما يجب عليك ،فأنا في ذلك ما أطعتَ الله ، فإذا عصيتَه فلا طاعة لأحد في معصية الله ، ويكون الحالف مع ذلك عالما حق العلم بما يبطل إمامة الإمام ، وإلا فتعلق على إمامه بما لا تبطل الإمامة ، فهلك حينئذ ، فنعوذ بالله من الهلاك بمعصيته.

ويجب على الإمام أن يستثني على من يبايعه أن لا يعارضوه في غامض الأحكام والسيرة التي تقصر عقولهم عن إدراكها ، ولا تحيط ألبابهم بها.

فأما هذا الرجل الذي سألت عنه ، وذكرت أنه استثنى في يمينه ، فلا حنث عليه ، ولكنه قد أدخل في يمنيه ، وخان من قبل أن يتبين له منه مكروه ، وليس من أخلاق الصالحين الخيانة ، بل الواجب الوفاء وأداء الأمانة ، لأن

الله يقول عــز مـــن قائـــل: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ [المؤمنون:٨ ، المعارج:٣٢]. فهذا جواب ما سألت عنه.

و[سألت] عن رجل صلى الظهر فأسمع أذنه قراءته ، ولم يتعد ذلك هل يجوز ذلك؟

الجواب: اعلم أنه ليس يجب عليه في صلاة النهار فوق ما ذكرت.

فأما صلاة الليل والفجر فلا بد في ذلك من الجهر.

و[سألت] عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: « ليس في معصية يمين » ، ما معنى ذلك وتفسيره؟

الجواب: اعلم أن معنى ما سألت عنه وتفسيره: أن المعاصي التي يجب في مثلها الحدود لا أيمان فيها ، فمن قامت عليه بينة حُدَّ ، ومن لم تقم عليه بينة لم يحد ولم يستحلف ، فاعلم.

و[سألت] عن الصبي أمعه تركيب العقل منذ خلق ، أو يكون بلا عقل حتى يكبر؟

الجواب: اعلم - وفقك الله - أن العقل كالقوة ، وهما عرضان من الأعراض المقرونة بالأجسام ، وهما يزيدان زيادة الجسم ، وكذلك الصوت ، فإذا كمل الجسم كَمُلَنَ ، وإذا دخل عليه النقص نقص ، وكمال الجسم حال البلوغ وتناهي الصحة في سائر الأوقات ، فاعلم ذلك علمك الله رشدا.

و[سألت] عن رجل زرع أرضا لا يعرف لها مالكا ، ولا يعرفها ملكا لأحد ، وقد كانت ملكت في الإسلام ، وصلبت على عمل الإسلام ، فما يلزم هذا الرجل الذي زرعها؟

الجواب: اعلم - وفقك الله - أن هذه الأرض إن كانت في زمان إمام ، فلا يسع أحدا الانتفاع بها إلا بأمر الإمام ، لأنه الناظر في مثل ذلك ، وإن لم يكن إمام ، وأخذ هذه الأرض رجل على سبيل الحوز والاحتجاز لها بالكلية ، فلا يسعه أيضا ذلك ، ولا يحل له الارتفاق بها ، وإن كان أثارها لرفق يرتفق به في الوقت ، وليس يريد الاحتجاز لها بالكلية ، فليس يضيق عليه ذلك ، إذا ارتفق وخلاها من يده لمرتفق سواه ، وقد حدثني من أثق به أن جماعة من فضلاء ولد القاسم عليه السلام كانوا بالمدينة في زمان جدي عبد الله بن محمد رحمة الله عليه ، وكان أعلم أهل ذلك الزمان ، فكانوا في زمانه يرتفقون بالزرع فيما ثَمَّ من البيار التي لا يعرف لها أرباب ، فكان الرجل منهم يزرع البير في هذه السنة ، فإذا كان من السنة الثانية زرع في بير أخرى ، وزرع غيره البير التي كان زرعها في العام الماضي ، و لم تزل هذه البيار بهذه الصورة يرتفق فيها ولا تحتجز ، حتى كان في هذا الزمان الفاسد ، ثم اتخذت محاجز ، وجرى فيها البيع والشراء.

فأما الذي أختاره ولا أعدل به ، فأن يؤدي هذا المرتفق كرى هذه الأرض لفقراء المسلمين ، كما يؤدي عشر ما يخرج الله له منها ، فإذا فعل ذلك و لم يعتقد احتجازا ، فقد نجا إن شاء الله ، أعاننا الله برحمته.

و[سألت] عن رجل يصلي وحده ثم لحن في قراءته هل تفسد صلاته؟

الجواب: اعلم - أحسن الله توفيقك - أن اللحن خطأ ، وسبيل الخطأ في اللحن سبيل الخطأ في القراءة ، وليس من أخطأ في قراءته بمفسد في صلاته

، إذا لم يتعمد ذلك ، وليس يجب لأحد أن يغفل تصحيح قراءته من الخطأ واللحن ، بل يجب عليه افتقاد ذلك ، وغيره مما افترض الله عليه.

و[سألت] عن قوم قاتلوا إمام حق مقرين بالإسلام ، وبمحمد عليه السلام ، ويتوجهون قبلة الإسلام ، ويصومون رمضان ، ويحجون البيت الحرام ، و لم يدخلوا في طاعة الإمام ، ودخل منهم قوم بعضهم إخوة لبعض ، ثم قتل مع الإمام منهم قوم هل بينهم موارثة؟

الجواب: اعلم أن أهل الإسلام يتوارثون ، إلا أن يرتد منهم مرتد فيُورث ولا يرث ، والقتل يحل على من بغى ، ولا يحل من ماله إلا ما أجلب به على أئمة الحق ، وحضر به مع الظلمة ، وما غاب عن هذا المقام ، فهو تراث بين القرابة على ما فرض الله سبحانه ، وسن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

و[سألت] عن قول الله سبحانه: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأحزاب:٢٤].

الجواب: اعلم أن هذا القول إخبار من الله جل اسمه أنه يعذب المنافقين على ما كان من نفاقهم. وأما قوله سبحانه: ﴿ إِن شَآءَ ﴾. فليس ذلك يخرج على سبيل الاستثناء ، فيكون إن شاء عذبهم ، وإن شاء تاب عليهم بغير أفعالهم ، بل مشيئته جل وعلا عذاب من نافق وأساء ، وكذلك فقد يشاء التوبة على من اهتدى ، وإنما يخرج قول الله إن شاء على سبيل القدرة على الأشياء ، فافهم ذلك ، فليس ينكره إلا من كذب الوعد والوعيد ، وتعلق بمتشابه الكتاب ، والله يبطل قولهم ، ويُكَذِّب دعواهم.

و[سألت] عن قول الله سبحانه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٧ ، ١٠٨] ؟

الجواب: اعلم - وفقك الله - أن معنى قول الله سبحانه: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ كمعنى قوله: ﴿يُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾ [الأحزاب:٢٤]. والتأويل فيهما سواء ، وقد ذكر بعض من تَمَعْنَى الكلام: أن معنى ﴿إِلَّا﴾ وكـ ﴿مَا﴾ واحد ، واحتجوا بقول الشاعر:

إلا سليمان إذ قال المليك له قم في البرية فاحددها على

والمعنى: كما سليمان إذ قال المليك له.

فإن صح ذلك من التفسير فمعنى قول الله سبحانه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٧ ، ١٠٨] فهو: كما شاء ربك ، والله سبحانه فلا شك أنه يشاء عذاب من كفر به ويريده ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عمن قرأ في الركعتين الآخرتين الحمد؟

الجواب: إن هذا المصلي لم تفسد عليه صلاته ، وقد خالف أئمته فيما روته ، وعن نبيها حفظته ، وليس لمن تعلق بهذا المذهب أن يعدل إلى شيء من رأي العامة ، وللأئمة من الاحتجاج في إيجاب التسبيح ما كفى ، من كان بحبلهم متمسكا.

و[سألت] عمن لبس قميصا إلى عضلته ، وعقد عليه ثوبا واتزر ، هل يجزيه ذلك في صلاته؟

الجواب: اعلم – وفقك الله – أن قميصا لا يبلغ العضلتين لا تجوز الصلاة فيه ، إلا لفقير لا يجد غيره ، ولا يجد ثوبا يستعيره ، فإذا كان الأمر كذلك صلى فيه قائما إن لم تنكشف عورته ، فإن انكشفت عورته صلى فيه جالسا ، أو على حسب ما يتهيأ من ذلك. فأما إذا اتزر على القميص مئزرا يبلغ قصبتي الساقين فقد اكتفى ، وإن عقد عليه من فوق ذلك ثوبا ، فليس يضيق ذلك عليه ، ولا تفسد من صلاته ما دخل فيه.

و[سألت] عن الأطفال ما لهم من الزكاة ، وعن إخراج الزكاة من بلد إلى بلد وهل هو محظور إذا كان من فيه يحتاج ، وهل ذلك واجب أو استحسان ، وكم يأخذ الفقير العزب ، وكم يأخذ ذو العيال؟

الجواب: اعلم – رشدت وسلمت – أن الأطفال أولى الناس بالزكاة ، وأحقهم بها ، لأنهم على فطرة الإسلام ، كما قال النبي عليه السلام ، ولفقرهم ولقلة حيلتهم وضعفهم ، فلهذا ومثله هم أحق بها من غيرهم.

وأما إخراج الزكاة من بلد إلى بلد فلا يجوز ذلك إلا لما يلم بالإسلام ، ويرى الأئمة أنه أصلح للأنام ، وإذا عدم الإمام من يقوم به؟ فأهل الزكاة يصرفونها ببلدهم إلى من يستحق ذلك من إخوانهم الموافقين لدينهم ، والبلد فليس بقريتك التي أنت فيها ، بل ما جمع البلد من القرى التي تلي قريتك ، وذلك مثل اليمن يسمى بلدا ، والحجاز يسمى بلدا ، وكل كورة من كور الأرض تسمى بلدا ، والبلد فقد يجمع قرى كثيرة ، وفلوات يكون فيها المبتدون واسعة ، فذلك الواقع عليه اسم البلد ، لأن القرية الواحدة تكون في المكان.

وأما ما يأخذ الفقير العزب وذو العيال ، فإن الفقير العزب يأخذ خمسين درهما ، وذو العيال مائتي درهم ، بعد قضاء ما عليهم من الدين ، وللأئمة في ذلك ومثله النظر والرأي ، وإنما يكون الرأي منهم في مثل ذلك عند حصول الزكوات ، فيكون خرجهم وتصريفهم في ذلك على قدر ما يواجهون ، أسعدهم الله وجميع المسلمين بطاعته.

و[سألت] عمن تعزَّب ليشتغل بطاعة الله ، وهو يشتهي النساء وهو فقير؟

الجواب: اعلم أن من تعزب وهو يشتهي النساء من فقر ، أو صبَّر نفسه فهو مثاب إن شاء الله ، لطاعته لله سبحانه ، ومن تعزَّب تعبدا وهو يرى أنه مثاب على ذلك ، فليس الأمر كما رجا بل هو مأثوم عند الله سبحانه ، مخالف لحكم الله ، ولسنة نبيه صلوات الله عليه وعلى الله وسلم ، لأن الله سبحانه أمر بالنكاح أمرا ، ونهى النبي عن التعزُّب فقال عليه السلام: « شراركم عزابكم ، وأراذل موتاكم عزابهم » ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « لا حصار بعد يحيى ، ولا سياحة بعد عيسى ».

و[سألت] عن وقول الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام: « إذا اشتبه الرجلان من آل محمد ، فالإمامة لأعلمهما » ، هل أراد فريضة أو نافلة ، وهل للإمام أن يأمر غيره إذا خاف على نفسه تلفا؟

الجواب: اعلم أن قول الإمام: « الإمامة لأعلمهما » يريد: بالفرائض والنوافل ، إذ الواجب على الإمام ذلك ، وللإمام أن يأمر غيره إذا خاف على نفسه من القيام ، ولم يجد عليه أعوانا ، وقد كان أمير المؤمنين صلوات الله

عليه إذا رأى عدولا عن الحق أمرهم ، إذا كانوا يطيعون في بعض الأمر ، ويفزعون إليه فيما يشتبه عليهم من الذكر ، وليس يضيق على إمام خاف على نفسه من القيام أن يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، وهو بذلك من غيره أبصر على قدر الإمكان.

و[سألت] عن رجل هل يجوز له أن يتجاوز ميقات بلده ، ولا يحرم حتى يخرج المدينة ثم يحرم منها بحجة ، وهل لأحد أن يخرج ماشيا ولو أتعب نفسه ، وهل له أن يأخذ حجة من غيره لتبلغه إلى الحج ، ويقضي منها دينا عليه ، أم يستوهب من إخوانه ما يوصله الحج ، أم يستوهب إخوانه ما يقضي دينه ، ولا يأخذ حجة؟

الجواب: اعلم - وفقك الله - أنه لا بد لمن قصد بيت الله الحرام لحج أو عمرة أن يدخل محرما ، ولا يحرم من المدينة بحجة إلا أن يكون دخل مكة بعمرة المتمتعين ، فإن دخل مكة بغير إحرام وجاز ميقات بلده ، فعليه دم لجواز الميقات ، ويحرم من حيث أمكنه الإحرام بعد ذلك ، وكذلك فلا يجوز لأحد الحج ماشيا لأن الله سبحانه لم يكلفه ذلك ، و لم يفرضه عليه ما كان في حال الفقر ، وقلة ذات اليد ، كذلك لا يلزمه أن يحج بهبة يستوهبها إخوانه ، لأن الله سبحانه قد طرح الحج عنه ما كان في حال الفقر ، و لم يكلفه أن يستوهب من أخ ولا غيره.

فأما الدين فلا بأس أن يستوهب فيه ، ويستعين من مال الله عليه ، وقد قسم الله له ولمن كان مثله ، فجعل لهم سهم الغارمين ، وكذلك الحجة فله أن

يأخذها ويقضي منها دينه ، ويتبلغ بها ، لأنها أجره على تكلف الحجة والسفر لها إلى مكة ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن الزهد أهو في الحلال أم في الحرام؟

الجواب: اعلم - رحمك الله - أن الزهد لا يكون فيما رغّب الله فيه ، وتفضل به على مطيعيه ، إلا أن يكون ذلك أثرة على النفس ، ورغبة فيما وعد الله المؤثرين على أنفسهم ، وذلك المؤثر به هو: المحبوب لا المزهود فيه ، لأن الله سبحانه قال: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران:٩٢] ، وأما الحرام فواجب الزهد فيه والبغض له ، لأن الله سبحانه زهَّد فيه ونهى عنه ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عمن تزوج أمة وهو يقدر على تزويج حرة ، هل ذلك باطل ينفسخ؟

الجواب: اعلم أن الله سبحانه لم يُطلِق زواج الإماء إلا لمن لم يستطع طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات ، فمن فعل مثل ذلك فزواجه مفسوخ ، وعليه الأدب إذا أتى ذلك ، وهو عارف بتحريم الله له ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن صاحب الزرع متى يكون ضامنا للموكل به ، إن حدث به حدث من جراد أو بَرَد أو غيره؟

الجواب: اعلم أن صاحب الزرع لا يوكله بزرعه إلا إمام ، فيوكله بحق الله بعد خرصه ، فإذا كان ذلك وعرض للزرع شيء مما ذكرت فلا ضمان عليه لمثل ذلك ، وإنما يضمن ما فرَّط فيه ، وإن كان بقي في هذا الزرع بقية بعد أن علم ما معه بخرص عادل ، فالنقيصة على الجميع ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن معنى قول الإمام محمد عليه السلام: « حليم من صفات الأفعال ، وضد الحلم الجهل »؟

الجواب: اعلم أن قوله: « حليم من صفات الأفعال » ، غير مستنكر من المقال ، لأن الأفعال هم العباد ، وهم فعل من أفعال الله سبحانه ، وقد يُوصف مَن حَلُم منهم بالحلم ، فيقال: حليم ، وكذلك فقد يوصف مَن جَهِلَ منهم بالجهل ، فيقال: جاهل ، وليس تخلو الأجسام من التضاد في ذاتها ، ومن تضاد أعراضها وصفاتها ، والله تبارك اسمه فليس بمشبه لشيء من خلقه في جميع أحوالهم ، ولا في شيء من هيئآتهم ، ولكل قول الله مما وصف به نفسه معنىً يخرج على غير ما تخرج عليه صفات خلقه وهيئآتهم ، فتبارك الله المتقدس عن ذلك ، لا إله إلا هو ، وحده لا شريك له ، الذي خلق المتضادات ، لِيُعلِم أن لا ضد له ، فله الحمد على مننه وإحسانه.

و[سألت] عن معنى قول الله سبحانه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ [البقرة:٢١٩] ؟

الجواب: إن هذا أمرٌ من الله سبحانه لرسوله عليه السلام ، لمنسأله عما ينفق بالعفو ، لما علم سبحانه فيه من الفضيلة على النفقة ، وأنه يصلح من الأحوال ما لا يصلحه بالأموال ، والدليل على ذلك قول الله سبحانه: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى:٢٣]. والأجر فهو: النفقات والعطاء والمودة ، والمودة فهي: المحبة ، فعرَّفنا سبحانه هاهنا أن المودة

أعود صلاحا من العطية ، والعفو فقد يوجب المودة للعافي ، التي لا يجلب مثلها بالنفقة ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن صبي لم يبلغ أخذ للناس شيئا من ثمارهم هل عليه غرامة في حال كبره؟

الجواب: اعلم أن هذا لا غرامة عليه ، لأنه جنى جناية في حال لا تلزمه فيه من الجنايات ، وما لم يلزمه في صغره لم يؤده عند كبره (١) ، وإنما اللازم من ذلك على عاقلته ، ولو لزمه حال واحد في صغره ، للزمه جميع الأحوال ، فاقتص منه عند كبره ، القتل وما شاكله ، وقامت عليه أيضا الحدود في القذف ، وما شاكله ، فلذلك لم يلتزم عند كبره غرما ولا غيره ، إلا أن يعترف لأحد عند كبره بحال مما نال في صغره ، فلا يلزم العاقلة ، ويلزمه هو ما اعترف به ، و لم يبن أنه في حال صغره ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن رجل دبَّر أمة له ، هل له أن يطأها ، وتخرج لخدمته (٢) إذا احتاج خدمتها؟

الجواب: اعلم - وفقك الله - أن تدبير الأمة لا يمنعه من وطئها ، وإنما يمنعه من بيعها ، وهي في ملكه إلى أجلها ، و لم يُحرم الله سبحانه عليه ما كان في ملك أن يوطأ ، وكذلك الخدمة فلم يحرمها ، ولكن الأحوط في الدين ،

---

(١) قال في هامش المخطوط: ينظر فيها ، والأولى أنه يلزم الصغير ضمان ما أتلف من مال غيره. والله أعلم.

(٢) في المخطوط: لخدمة. ولعل الصواب ما أثبت.

والأشبه بأخلاق الصالحين ، إن يحجبها ويستخدمها فيما كان له من الخدمة في مترله ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن غسالة الفاسق لثياب الصلاة هل يجوز؟

الجواب: اعلم أن غسالة الفاسق المعروف بالفسق للثياب ، يجب أن تغسل بعد غسله ، وتطهر من مسه.

وأما من جهل فلم يعرف فسقه فلا بأس به ، والأحوط في الدين ، والذي يستحب المتطهرون ، ألا يطهر ثياهم إلا من يعرفون.

و[سألت] عن قول القاسم عليه السلام في كتاب الشهادة: « ولمشابهة أهل كبائر العصيان ، لأهل الشرك في الكفر نفسه ، أوجبنا على كل مسلم ومسلمة ألا يتخذوهم إلى شيء من صلواقم أئمة ، ولا سترا ولا قبلة »؟

الجواب: اعلم أن القاسم عليه السلام أراد بذلك الدلالة على أهل المعاصي ، أفم كأهل الشرك في الكفر وعصيافم لله تعالى ، فلما كان ذلك كذلك ، وجب أن يتقى منهم مثل ما يتقى من أولئك ، فاعلم.

و[سألت] عن قول رسول الله صلوات الله عليه وعلىالله وسلم: « صلوا وراء كل بر وفاجر »؟

الجواب: اعلم أن هذا الخبر غير صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه خبر لم تجمع عليه الأمة ، ولم ينطق به كتاب الحكمة ، وليس تصحه العقول ، فَذَرْهُ ولا تعمل به ولا تحسنه ، والسلام. وقد أوَّل ذلك بعض علماء العترة: أنه أراد به المصطفين خلف الإمام إذا اختلطوا.

و[سألت] عن المسجد يعمله ويطينه أهل الكفر ، هل يجوز الصلاة فيه؟

الجواب: اعلم - وفقك الله - أن أهل الكفر المسمين بهذا الاسم لا يبنون المساجد ، ولا يرغبون فيها ، وإنما يبني المساجد أهل الإسلام ، فإن كنت أردت الفساق من أهل الملة ، فاحمل الأمر في ذلك على أجمل الأمور ، إذ ليس يرى لهم في ذلك أثر ، لأنه لو حرمت الصلاة في المساجد التي بنوا ، لحرمت في الأرض التي سكنوا ، وفي المساجد التي دخلوا ، وهم يدخلون أشرف المساجد ، من المسجد الحرام ، ومسجد النبي عليه السلام ، فَاجْرِ ذلك ومثله مجرى الضرورات ، - وفقك الله - برحمته.

و[سألت] عن ذبيحة فاسق لا يوجد غيرها؟

الجواب: اعلم أن ذبيحة الفاسق كالميتة ، فإذا اضطر العبد إليها فلم يجد غيرها ، حلت له ما كان في ضرورته وفاقته. فأما بعد الغنى عنها ، فلا تجب له ولا تحل ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن الرطوبات يمسها فساق أهل القبلة مما يؤكل ، هل هي طيبة أم لا ، أم هل تجوز عند الضرورة أم لا؟

الجواب: اعلم أن فساق أهل القبلة ينجسون كل ما ألموا به ، وإنما يستحل ما ألموا به ضرورة ، ولا بد من الاتصال بهم في هذا الزمان ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن اليابس هل ينجس؟

الجواب: اعلم أن مثل بذلك قد سُهِّل فيه ، والتبعد من الأنجاس يابسها ورطبها أشبه بأخلاق الصالحين ، جعلنا الله وإياك من المهتدين برحمته.

و[سألت] عن الصلاة هل تجب على من خلّفها في حال فسقه ثم تاب ، وهل يعيد الفجر والظهر والعصر قضاء لتلك الصلوات المختلفة ، وهل يكفى من اعتقد فقال: أنا أقضي بطهوري هذا ما تيسر ، هل ذلك جائز أم لا؟

الجواب: اعلم أن من خلا صلاته متعمدا (١) فقد فسق ، وواجب عليه في حال توبته القضاء ، ويقضي كل صلاة في وقتها ، فيقضي الظهر مع الظهر ، والعصر مع العصر ، والمغرب مع المغرب ، والعشاء مع العشاء ، والفجر مع الفجر ، إن شاء قبل الصلاة الواجبة في ذلك الوقت ، وإن شاء بعدها في الوقت ، لأنه قد يمكنه أن يصلي في وقت كل صلاة تلك الصلاة مرارا مكررة كثيرة ، والطهور إذا اعتقد أن يصلي به غير صلاته أجزاه ، وإن تطهر لكل صلاة فذلك أفضل.

وأما الأوقات المحرم فيها الصلوات ، فلا يجوز فيها قضاء صلاة ، ولا نافلة متطوعة ، وذلك عند طلوع الشمس حتى تظهر وترتفع صفرتها ، وعند اعتدال الشمس في كبد السماء حتى تزول ويتبين زوالها ، وعند غروب الشمس حتى يتم غروبها ، ويرى بعض الكواكب التي يستدل بها على ذهابها. فهذا جواب مسائلك أعانك الله على أمورك برحمته.

وسأل بعض إخواننا و لم يظهر لنا اسمه فنسميه ، عن الأمة كيف تعرف الإمام وأين تجده؟

---

(١) في المخطوط: معتمدا. ولعل الصواب كما أثبت.

الجواب: اعلم - هديت ورشدت - أن الأرض لم تخل من إمام حق ، وواجب على الأمة أن يعرفوه ، وكذلك عليهم أن يطلبوه حتى يجدوه ، لأن ذلك عليهم من طلبه ، أيسر منه عليه لو طلبهم ، وقد جعل الله جل اسمه لهم من الاستطاعة لذلك ما لم يجعل له ، فالواجب عليهم أن يطلبوه ، وليس بواجب عليه أن يطلبهم ، والدليل على ذلك ما أضرب لك من المثل فتفهمه بفهم واع فُطن ، فإنك تجد الأمر كما ذكرت ، وحينئذ تنتبه من نومك ، وتبعد من فكرك.

أرأيت - وفقك الله لما يرضيه - لو أن رجلا دفع إليك حمل لؤلؤ مثقب كله غير منظوم ، ومنه عشر حبات غير مثقبات مختلطات بسائر اللؤلؤ ، وكل ذلك اللؤلؤ صغار ، وقال لك: أخرج العشر من جملة هذا الحمل ، أكان أيسر عليك ، أو رجل دفع إليك مُدًّ لولو بمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه درة من أظهر الدر وأتمه ، فقال: أخرج أكبر لؤلؤة في هذا اللؤلؤ الصغار ، أليس بحق يعرف ذلك الأطفال فضلا عن الرجال؟! إخراج الدرة من المد أيسر من إخراج العشر الصغار من حمل اللؤلؤ الصغار المثقب؟! فإذا كان هذا في القياس والمثل بيِّن المعنى عند من وعى وعقل ، فكذلك الإمام في أهل بيت محمد ، كمثل الدرة في المد اللؤلؤ ، ومثلهم في هذه الأمة كمثل المد مع الحمل ، وكذلك شيعة الإمام في هذه الأمة كمثل العشر الحبات من اللؤلؤ المصمت في الحمل اللؤلؤ المخرق ، والحمل مثل هذه الأمة القليلة البركات.

وأنت أيها الأخ - أرشدك الله وهداك - إذا طلبت آل محمد وجدتهم ، وأحطت بهم إذ هم قليل في هذه الأمة ، فإذا وجدتهم وبحثتهم وجدت حجة

الله منهم ، وبان لك فيهم ، حتى يكون كالقياس الذي ضربت لك مـــثلا ، والحجة إذا طلبك وإخوانك في هذه الأمة عسر عليه متى يجـــدكم في كثـــرة العامة ، كما ضربت لك مثلا أيضا ، وهذا دليل من الأدلة فاحفظه أراك الله رشدك ، ثم للإمام بعد ذلك عوائق أخرى تمنعه أن يظهر نفسه في أوان قلتـــه وقلة ناصره له ، ويعرف ذلك كل من وهب الله له عقلا. وإنما الإمام يظهـــر بعد كون أعوانه وثقته بهم وحصولهم له ، وحينئذ لا بد من الظهـــور لكـــل خاص وعام ، ومن دعا جميع الأنام ، فهذا جواب مسائلك جعلك الله للحق واعيا وإليه داعيا.

و[سألت] عن مرة هل يجب عليها عند مصير مهرها إليها زكاة؟

الجواب: اعلم - وفقك الله - أنه لا زكاة عليها حتى يحول على مـــا في يدها الحول ، وما سبيلها إلا سبيل من كان له دين من المتعاملين ، فَربُّ الدين إذا اقتضاه زكاه فيما يستقبل من الزمان ، ولا يزكيه وهو في يد غيره ، وعلى الذي هو في يده المُدَّان له أن يزكيه ، لأنه مال من ماله ، يجوز له فيه كل ما يجوز لذي المال في ماله ، من الهبة والنكاح والإقراض ، لا يضيق عليـــه مـــن ذلك شيء. وإنما أراد الله سبحانه في كل سنة بزكاة ، وفسَّرَ ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، فإذا زكى أحد المتعاملين ، رب المال المدين ، والمقترض المال المدان ، لزم المال زكاتان تخرجان ، فكان ذلك خلافا لما أمـــر به الرسول عليه السلام.

ومن الدليل على ذلك أن هذا المال لا يخلو من وجهين لا ثالث لهما:

فمن ذلك أن يكون المال لأحدهما ، أو لهما جميعا. فإما أن يكون لهما جميعا ، فهذا باب يستحيل ، لأن المال لمن هو في يده ، وعليه خطره ، فهذا وجه.

وإما كونه لأحدهما فهو الذي يصح ويعلم ، ولذلك وجبت عليه فيه الزكاة ، وكذلك لو أن الذي في يده المال أفلس ، فلم يبق معه شيء لما وجبت عليه زكاة فيما لا يملك وإنما تؤخذ الزكاة من الموجود ، ولا تؤخذ عن المعدوم ، فهذا المال لا بد أن يكون أحد المتعاملين فيزكى ، أو لا يكون مع واحد منهما ، فإذا لم يكن موجودا مع أحدهما ، فلا زكاة على معدوم ، فاعلم ذلك. وقد سمعت ما روي في ذلك عن الأئمة والله أعلم بصح ذلك ، ولو قام لي به برهان ما عدلت عنه ، وكل ما لم يقم به برهان ، فأنا لا أنسبه إليهم عليهم السلام ، إلا أن يكون الدين على مَلِيٍّ قد حل أجله ، ويكون المدين له ترك قبضه ، وغفل عن أخذه ، بعد أن دعاه المدان إلى أخذه ، فحينئذ تكون زكاته واجبة عليه.

و[سألت] عن قول الله سبحانه: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس:٣٨] ؟

الجواب: - أحسن الله عونك - أن المعنى فيه: والشمس تجري لا مستقر لها ، فطرح الألف وهو يريدها ، وهذا مالا ينكر عند أهل اللغة واللسان العربي ، لأن العرب تطرح الألف من موضعها ، وتثبتها في غير موضعها ، استخفافا للكلام ، وميلا إلى الاختصار ، وهذا من أحسن ما يمر في اللغة وأبلغه ، قال الله جل اسمه: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾

[الصافات:١٤٧]. فأتت كأنها ألف شك ، والله تبارك وتعالى لا يوصف بهذه الصفة ، إذ هو المحصي لكل عدد العالم بكل أحد ، سبحانه وعظم شأنه ، وإنما معنى ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ فهو: ويزيدون ، فأثبت الألف في هذا المكان لمعنى ما ذكرت لك ، وطرحها عند ذكر الشمس فقال: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ ، وإنما المعنى: لا مستقر لها ، وهذا أمر من الله سبحانه في الشمس وما يعاين منها ، فَبَيِّن والحمد لله ، لأنها في الجري دآئبة لا تقر وقتا ولا تقف ، وإنما هي كما وصفها الله جل اسمه ، لا مستقر لها حتى يصرم الله سبحانه أمور الدنيا ، ثم له فيها وفي غيرها من خلقه من الأمر ما شاء ، فتبارك الله أحسن الخالقين.

و[سألت] عن معنى قول الله سبحانه: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء:٣٣ ، يس:٤٠] ؟

الجواب: اعلم أن الله تبارك وتعالى لما ذكر الشمس والقمر فقال:﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ [يس:٤٠]. كل ذلك تعريف من الله لعباده ، أن الكل من هذين النجمين النيرين ، وهذين الليل والنهار الدآئبين في فلك يسبحون ، والفلك فهو: ما جعل الله من الأهواء الجارية بقدرته في أجواء السماء ، وما أحل فيها بلطفه من النجوم التي تعاين وترى ، والسبح فهو: الحركة والزوال بالسنين والانتقال ، كما جعل الله ذو الجلال ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن قول الله سبحانه: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس:٣٩] ؟

الجواب: اعلم أن الله تبارك اسمه ، خلق هذا القمر مما شاء كما شاء ، وقدره كما أخبر منازل ، عدها ثمانية وعشرون مترلة ، فمنها أربع عشرة يزيد فيها ، حتى يبلغ أربع عشرة ليلة ، وينتهي ويتم ، ومنها أربع عشرة ينقص في كل ليلة منها ، مما كان يزيد سواء حتى يكون ليلة تسع وعشرين ليلة ، ويرجع في النجم الذي بدأ به ، وينتهي في النقص ، وعند ذلك يكون كالعرجون القديم ، كما شبهه به الله سبحانه ، والعرجون فهو: من عراجين النخل المعروفة ، فما قدم منها وتناها في القدم ، كان أشد انحناء مما لم يقدم ، ومعنى التقدير من الله جل اسمه للأشياء ، فهو: التصوير لها والإنشاء ، فاعلم ذلك وُقِيتَ الأسواء.

و[سألت] عن السماوات العلى هل هن مطبقات بالأرض أم لا؟

الجواب: اعلم أن الله تبارك اسمه لم يكلفنا معرفة ما سألت عنه ، و لم يفرضه علينا ، وليس عندنا من الله جل اسمه في ذلك علم عرفنا به ، إلا ما يروى ويؤثر عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، فإنه يروى عنه: « أن كلتاهما منفصلة من الأخرى ، وأن بينهما من البعد مالا يعلم علمه إلا خالقهما ، وأن جميع هذه الأفلاك الدائرة ، فإنما دورانها بالأرض ، فمرة تأتي عليها ، ومرة تأتي من تحتها ، والأرض فمحيط فيها الأهوية ، ولا يعلم ما وراء الأهوية إلا رب الأرض والسماء ، قصرت عن ذلك علوم العلماء ، وانحسرت من دونه أفهام الفهماء ، فلا يعلم غيب السموات والأرض إلا الله كما ذكر سبحانه ، والغيب فهو: كل ما لم يعاينه المخلوقون ، و لم يعرِّفهم به الخالق على ألسن المرسلين ، عليهم صلوات رب العالمين ».

و[**سألت**] عن النساء المؤمنات ذوات البعول وغيرهن ما حالهن في الجنة أيرددن إلى أزواجهن ، أم يزوجن غيرهم؟

الجواب: اعلم أن الله تبارك وتعالى لم يفصل لنا ذلك ، وإنما وعد الله المتقين الجنة ، ووعده الحق ، إلا أني أقول: إن الخيار في ذلك إلى الرجال والنساء ، بعد كونهم في دار الخلد ، فكل من أحب منهم شيئا أوصله الله إليه ، وتفضل به عليه ، كما وعد ، إذ يقول عز وجل: ولهم ﴿فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ [الزخرف:٧١]. وهذا الدليل لا معدل عنه ولا خلف ، جعلنا الله ممن يحله محل أوليائه ، ويبعده من محل أعدائه.

و[**سألت**] عن إبليس وامتناعه من السجود ، وما ذكر الله سبحانه فقال: وإذ ﴿قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف:١١] ؟

الجواب: اعلم - أحسن الله عونك - أن الله ندب ملائكته وإبليس اللعين إلى السجود لآدم ، والمعنى: لسبب خلق آدم ، شكرا لخالقه ، ولما أراهم في آدم من بديع صنعته ، إذ خلقه ترابا ، ثم رده بشرا حيا ، واعيا حسنا بهيا ، فسجد الملائكة شكرا لخالقهم ، ولما أمرهم به ، وعصى الشيطان خالقه ، حسدا لآدم وبغضا له ، فألزمه الحسدُ عصيان خالقه ، وهو عارف بذلك من نفسه ، وسأل ربه النظرة بالعذاب الذي علم أنه قد استحقه ، فأنظره الله جل اسمه إلى يوم البعث كما وعده ، و لم يكن استنظار اللعين من موت لأن الجن

خلق معمرون ، خلقهم الله جميعا ، ويميتهم إذا شاء جميعا ، فهذا معنى ما سألت عنه.

و[سألت] عن الجنة والنار أين هما وهل خلقتا؟

الجواب: اعلم أن الله تبارك وتعالى وعد الجنة وتواعد بالنار ، فالواجب علينا التصديق لوعده ووعيده ، والإقرار به ، ولم يذكر لنا جل اسمه أنه خلقهما بعد ، أو لم يخلقهما ، فمن قال: إنهما خلقتا ، لزمه أن يقول: الله جل اسمه يهلكهما ويفنيهما ، لقوله سبحانه: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص:٨٨]. وقد يكون من تأويل هذه الآية: أن لا يكونا من الأشياء الواقع عليها اسم الفناء ، لأنهما خلقا للبقاء ، وعرفنا بذلك منهما.

والدليل على أنهما قد تخرجان من الأشياء ، ما ذكر الله سبحانه عن ملكة سبأ ﴿ أُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل:٢٣] ، ولم تؤت من كل الأشياء ، وإنما أوتيت من كل شيء يقوم لها بمصلحة ، فهذه الآية مما خوطب به الأشياء ، والمراد فيه: بعضها ، وقد تُكلّم في ذلك وأُكثر فيه ، وأصح ما تكلم به التصديق بهما ، وبما وعده الله منهما وفيهما ، فاعلم ذلك إن شاء الله.

و[سألت] عن مؤمني الجن هل يكونون في الآخرة يأكلون ويشربون ويتنعمون؟

الجواب: اعلم أن الله تبارك وتعالى لم يجعل الأكل والشرب إلا لبني آدم ، وما خلق الله تبارك وتعالى معهم في الأرض من البهائم.

فأما الملائكة والجن فلم يجعل الله لهم الأكل ، وجعل لهم من الملاذ ما يتنعمون به ويسرون ، فإذا كان في دار الآخرة أعطى الله كل عبد من النعيم

ما أعطاه في دار الدنيا ، ولما في الآخرة الفضل ، لأنه خُلق للبقاء ، وكل ما خلق في الدنيا فإنما خلق للفناء ، والجن يومئذ يوصل الله إليهم ما لهم فيه لذة ونعيم ، مما قد جعل الله لهم فيه مقنعا وسرورا ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن بعث الله لجميع عباده أفي أكفافهم أم عراة؟

الجواب: اعلم أن الله تبارك اسمه يبعث من يبعث من عباده في أكفافهم ، وما يوارون عن الملائكة والصديقين عوراتهم ، والدليل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « عورة المؤمن على المؤمن حرام » ، مع الأمر لغاسل الميت أن يجعل على عورته ما يواريها ، مع ما يروى عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه: « أنه لما أخذ في غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأراد فسخ القميص ، نودي من جانب البيت: لا تفسخوا القميص » ، فكل هذا يدل على أن الله تبارك وتعالى بلطفه لا يحشر عباده إلا في أكفافهم ، وما يستر عوراتهم ، فالآخرة أولى لعظيم خطرها ، ولما يجمع الله فيها من الخلق في ذلك اليوم ، إذ يقول فيه عز من قائل: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود:١٠٣]. فما كان الله جل اسمه ليحضر شهود ذلك اليوم الذي فيه الثواب والعقاب ، ما كان محرما في الدنيا ، هذا ما لا ينسبه إلى الله جل اسمه إلا أعمى ، وهذه الأمة المخالفة للحق قد تنكر قولنا في ذلك ، وترى مُحرَّم الله منه كائنا ، والله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون.

و[سألت] عن معنى قول الله سبحانه: ﴿جَنَّةٍ﴾ [الحاقة:٢٢] ، و ﴿جَنَّتَانِ﴾ [سبأ:١٥] ، و ﴿جَنَّٰتٍ﴾ [البقرة:٢٥] ؟

الجواب: اعلم أن الله جل اسمه لما قال: ﴿فِي جَنَّةٍ﴾ [الحاقة:٢٢ ، الغاشية:١٠] كانت اسما جامعا لما افترق حين جمع ، ثم قال: ﴿جَنَّتَانِ﴾ ، فدل بذلك أن الجنة حين التنصيف جنتان ، ثم قال سبحانه: ﴿جَنَّٰتٍ﴾ ، فدل بذلك على أنها حين التفرقة والتقسيم جنات ، فهذا معنى ما سألت عنه.

و[سألت] عن جميع ما مات من الحيوان هل يبعثه الله سبحانه؟

الجواب: اعلم أن الله سبحانه يبعث جميع ما أمات ، وذلك قول أئمتنا عليهم السلام ، وغيرهم ينكر ذلك ، ولله الأمر في خلقه.

و[سألت] عن تبديل السموات والأرض وكيف تبديلهما؟

الجواب: اعلم أن تبديلهما هو: تغييرهما ، وإحداث الله لما يشاء فيهما ، وليس بأن يذهب بهذه الأرض ويأتي بأرض أخرى ، ولا أن يذهب بالسماء ويأتي بسماء غيرها ، ومن ذلك ما تقول العرب لما رأته من الأرض قد غُيِّر عن هيئته ، وأُحدث فيه غير ما كان يعرف به: تبدلت الأرض ، وليس يريدون أن الأرض ذهبت وأبدلت بغيرها ، وكذلك لما صنع من الفضة إناء ثم رد حليا: بدلت الفضة ، والفضة فلم تزل فضة كما هي ، وإنما بتصريفها من حال إلى حال ، قيل: بُدلت ، فافهم ذلك.

و[سألت] عن قول الله سبحانه: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء:٣١]. وما معنى الكبائر؟

الجواب: اعلم أن كل ما نهى الله عنه كبيرة ، فمن أتاها عمدا استحق عذاب الله جل اسمه ، وليس من معاصي الله سبحانه صغيرة. فأما ما وعد الله سبحانه من تكفير السيئات ، فليس من البشر إلا من قد أساء سواية ، أدناها الغفلة وافتقاد النفس من الزلة ، فإذا اجتنب العبد الكبائر ، غفر الله له وكفر عنه سيئاته المتقدمة ، فهذا جواب هذه المسألة.

و[سألت] عن معنى قول الله سبحانه: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران:٣٥] ؟

الجواب: اعلم أن هذا خبر من الله جل اسمه عن امرأة عمران ، وما نذرت لله مما في بطنها ، وكان مثل ذلك في ذلك الزمان يفعله الصالحون ، فكان ربما نذر أحدهما أن الله إن رزقه ولدا ذكرا ، لم يشغله بشغل من شغل الدنيا ، ولم يستعنه فيما يستعان الأولاد فيه ، ولم يصرف ذلك الولد في شيء من الأشياء ، إلا في عبادة الله ، وتعليم ما يدعو إلى طاعة الله ، فلما ولدت امرأة عمران بنتا ، قالت: ما حكى الله عنها: ﴿رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران:٣٦ - ٣٧] ، وقبل جل اسمه ابنتها كما كان يقبل البنين ، وجعل فيها من البركة ما جعل في البنين ، وجعل ابنها نبيا من المرسلين ، صلوات الله عليهم من أهل بيت أجمعين.

و[سألت] عن المرأة هل يعلم لها حال لا يجوز لزوجها الإتيان فيه إليها ، سوى الحيض والنفاس؟

الجواب: اعلم أنه قد يعلم أنه لا يجوز للرجل أن يغشى زوجته محرمة للحج ، ولا وهي صائمة شهر رمضان ، ولا وهي معتكفة ، ولا وهي مطلقة في عدة لا يجوز له فيها مراجعتها ، ولا إن مات ولدها من غيره ، وله إخوة ولا ولد له ولا والد ، ولا أن يكون قد تزوجها في غيبة منه مُوِّتَ فيها زوج غيره ، ثم ظهر بعد ذلك فاستحقها ، فلا يجوز له مداناها ، حتى تخرج من عدة ذلك الزوج ، وتصح من مائه ، أو تضع ما في بطنها من حمل إن كان بها منه أيضا ، ولا وهو مظاهر منها حتى يكفر ، ولا هو مُولٍ حتى يفي ويرجع ، فذلك كله مثل الحيض والنفاس ، لا فرق بين ذلك في التحريم ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝﴾ [الكهف:٦٠] ؟

الجواب: اعلم أن الله تبارك وتعالى أخبر عن موسى بما كان من قوله لفتاه ، وفتاه فهو: عبده ، ومجمع البحرين فهو: مراده ، والحقب فهي: الأزمنة من الدهور ، فقال عليه السلام: ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝﴾ ، فقال: ﴿أَوْ﴾ وإنما المعنى: وأمضي ، فجاء بالألف في هذا الموضع ، ولا معنى لها ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن معنى قول الله سبحانه: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ۝﴾ [القمر:٤٣] ؟

الجواب: اعلم أن الله تبارك اسمه قص على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ما كان من تكذيب الأمم قبله لأنبيائها صلوات الله عليهم ، فلما كان نبينا صلوات الله عليه وعلى الله وسلم تسليما المقصوص عليه خبر من كان قبله من كفار الأمم ، قال:﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰئِكُمْ﴾ [القمر:٤٣]. وأدغم الميم ، والعرب تستعمل ذلك في كلامها كثيرا.

[مسائل علي بن خراش]

يتلوه مسائل علي بن خراش.

سألت - تولى الله كفايتك - عن العلم متصرف في الخلق، أم الخلق متصرفون في العلم؟

الجواب: اعلم أن الله تبارك وتعالى خلق الخلق لا يعلمون شيئا، فيكون العلم فيهم متصرفا، أو يكونوا فيه متصرفين، والله يقول عز من قائل: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل:٧٣]. وإنما العباد مندوبون إلى معرفة العلم، والعمل بما يعلمون منه، وليس بشيء قائم بذاته، فيتصرف في الأشياء كما يتصرف الحيوان المدرك لما ألهم من العرفان، ولو كان كذلك لسقط عمن لم يتصرف الحجة، لأن العلم لم يتصرف فيه، أو يكون متصرفا في الكل، فلو كان كذلك لما كان منهم جاهل.

وأما تصرف الخلق في العلم فلا أعرفه، إلا اكتسابهم له، وتعلمهم إياه، وليس كلهم يرغب في ذلك، بل اليسير منهم أهل الرغبة في الخير، وهذا ما لا يعرف لهذه المسألة جواب غيره، إلا ما كان معناه معنى ذلك وشكله.

و[سألت] عن معنى حليم وكريم أمن صفات الذات، أم من صفات الأفعال؟

الجواب: اعلم أن الله تبارك وتعالى وصف نفسه بالحلم والكرم، فربنا الحليم الكريم، وحليم وكريم من صفات الأفعال، والأفعال فهم العباد، فمن حَلُمَ منهم وُصِفَ بحلم، فقيل: حليم، ومن تكرم وصف بكرم، فقيل: كريم، فهذا معنى ما سألت عنه، وفقنا الله وإياك.

و[سألت] عن رجل طلق مرته تطليقة له عليها الرجعة ، ثم ظاهر بعد الطلاق ، هل يكون الظهار له لازما؟

الجواب: اعلم أنه ظاهر منها وهي من نسائه ترثه ويرثها ، وتلزمه النفقة عليها.

فأما إن ظاهرها بعد ما تخرج من العدة فلا يقع الظهار بها ، إذ ذلك لأنها ليست من نسائه ، ولا واقع عليها هذا الاسم منه ، ولا تعدل به إن شاء الله.

و[سألت] عن رجل حلف بطلاق مرته لا عملت له عملا من الأعمال ، التي يجب عليها عمله ، ثم زاد حلف بطلاقها لا عملت له شيئا آخر غير الذي حلف فيه أولا ، ثم حنث في الأول ، ثم استرجعها ، ثم فعلت الشيء الثاني ، هل يحنث فيه أيضا أم لا؟

الجواب: اعلم أنه إن كان نوى نية تعدل عنه الحنث الآخر ، وإلا فهو حانث أيضا ، وليس طلاق المرأة التي راجعها بعد الحنث بمزيل عنه الحنث فيما حلف فيه ، فهذا الجواب بهذا الباب.

و[سألت] عن رجل لاعَنَ مرة ونفذ اللعان ، ثم أقر بولده بعد مدة ، هل يلحق بنسبه ، وهل له عليها رجعة بسبب يجوز؟

الجواب: اعلم أن أئمتنا عليهم السلام نهوا عن الجمع بينهما بعد اللعان ، ولم يسطروا لمثل هذه المسألة جوابا علمته ، ولست متقدما فيها بجواب ، خوفا أن يكون لهم فيها جواب يخالف جوابي ، والتثبت عند ما أشتبه أولى بالحكمة ، وليس الجواب في ذلك بعد أن أوقن أن لا جواب لهم يمتنع علي ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن رجل طلق مرته وخرجت من الحيضة الثالثة و لم تغتسل من علة من العلل ، هل له عليها رجعة في هذه المدة قبل اغتسالها؟

الجواب: اعلم أن لا رجعة له عليها إلا ما دامت في وقت خروجها من قرئها ، وأخذها في آخر طهرها ، فأما بعد ذلك بمدة فلا ، لأنها حين عرضت لها علة تمنعها من الطهر لم تكن تمنعها من التيمم ، وسبيلها حين تتيمم كسبيلها حين تغتسل بالماء ، لا فرق بين ذلك ، لأن الله سبحانه قد جعلهما للعباد طهرا ، وأمرهم بهما أمرا ، وحسبنا الله وكفى.

و[سألت] عن رجل اشترى جارية وابنتها فوطئ أمها ، ثم وطئ ابنتها ، فاستولدها هل تكون له أم ولد ، وهل يلحق الولد بنسبه وهو عالم بالنهي والتحريم وهو محصن؟

الجواب: اعلم أن وطيه للأولة منهما وهي الأم حلال جائز ، بما أحل الله جل اسمه. وأما وطئ بنت الجارية فكان حراما لم يحله الله له ، بل حرمه عليه ، وليس يلحق ولده بنسبه ، ولا تكون الجارية له أم ولد ، يحرم عليه بيعها ، وعليه فيما أتى من التحريم ما يراه إمام الحق واجبا ، هذا إن كان سبيل هذه الجارية سبيل بنات الحرائر من النساء الزوجات ، وفي هذه المسألة نظر لأئمة الحق ، فيما كان من الحدود اللازمات.

و[سألت] عن رجل وجد سارقا في بيته فقطع يده ما يجب عليه فيه؟

الجواب: اعلم أنه لو وجد العدول السارق في البيت قبل الخروج منه بالسرقة لما وجب عليه القطع. فأما صاحب البيت فلم يكن له قطع وحد السارق في بيته ، أو وجده غيره. وأما إن كان أخذ له شيئا غرَّمه إياه ،

وارتدّه منه ، فأما القطع فلا يكون لأحد إلا للأئمة ، فإنه إذا قمت عليهم البين وصحت ، قطعوا من يجب عليه القطع كما أمرهم الله وجعل لهم ، وعلى قاطع يد السارق الذي وجده في بيته الدية واجبة ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن معنى قول الهادي إلى الحق عليه السلام: « من ركع في موضع سجود ، أو سجد في موضع ركوع ، سجد سجدتي السهو » ، وهل يتم صلاة بغير ركوع؟

الجواب: اعلم أن من خلا ركعة من ركعاته ، أو سجدة من سجداته ، حتى يخرج من صلاتهن ، فالإعادة لازمة له ، وليس سجدتا السهو مما يغني عنه.

فأما قول الإمام عليه السلام: « ركع في موضع سجود ، أو سجد في موضع ركوع » ، فإني أقول: إن لذلك معنى ، وهو أن يكون هذا المصلي حين ركع في موضع سجود ، ذكر في ركوع أنه موضع سجود ، فخر ساجدا ، أو يكون سجد في موضع ركوع ، ثم ذكر وهو في سجوده أنه موضع ركوع ، فرجع إلى ركوعه ، ثم عاد فسجد على أثر الركوع ما عليه من سجوده ، فهذا الذي لم تفسد صلاته ، وعليه سجدتا السهو.

فإن عارض معارض قائل ، أو قال متعنت سائل: من أين أجزت له تمام الصلاة وأصححتها له ، وقد سجد ثلاث سجدات ، وركع ركعتين ، وقد أتى الأثر بغير ذلك ؟!

فإني أقول: إني أصححت ذلك من وجوه:

أحدها: أنه لم يتعمد ذلك ، والله سبحانه يقول: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [الأحزاب:٥]. وهذا فلم يتعمد.

ووجه آخر: أني وجدت المصلي يخطئ في قراءته وفي تسبيحه ، [تسبيحه] مكان قراءته ، وقراءته مكان تسبيحه ، فلا يُفسد ذلك شيئا من صلاته ، وكذلك من طاف بالبيت أو سعى ، فزاد طوافا ثامنا مع أطوافه ، على غير تعمد إن ذلك غير مفسد لحجة ، وكذلك لو صام شهر رمضان ، وصام يوم العيد غير متعمد لصيامه ، لما كان صيام ذلك اليوم مبطلا لصيامه ، لأنه لم يتعمد لذلك ، ومثل ذلك كثير ، إلا أني أجتزي بقليل ذلك عن كثيره ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن فضل السابق على المقتصد ، أبفريضة من الله أكرمها إياه ، أم هما في الفضل سواء؟

الجواب: اعلم أن الله تبارك اسمه لم يفرض على السابق فرضا لم يفرضه على المقتصد ، ولكنهما لما تفاضلا في الاكتساب للعمل الصالح ، حتى انتهى بالسابق إلى الغاية التي عجز المقتصد عن لحوقها ، اصطفى الله السابق بمقام الرسول صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ، وجعله خليفة في أمره ، فهذا المعنى بينهما ، وما من أجله تفاضلا.

و[سألت] عن رجل زنا وهو محصن في وقت عدم الأئمة عليهم السلام ، وإنفاذ الرجم عليه ، وما يكون حال مرته عند خروجها من الحيضة الثالثة؟

الجواب: اعلم أن هذا الرجل لا يقيم عليه الحد إلا إمام حق ، ولا يقيمه عليه إلا بقَرَرٍ منه ، أو بقيام بينة تثبت عليه بعد التثبت في ذلك ، فأما إن لم يقر ، ولم تقم عليه بينة ، وتاب فيما بينه وبين الله وأخلص توبته ، فهي مقبولة ، وليس تحرم عليه زوجته لحرام ارتكبه ، لأنه لا يحرم حرام حلالا ، كما لا يحلل حلال حراما ، وإن كانت زوجته مؤمنة واطلعت على الفسق منه وأيقنت ، وأيقنت أنه لا رغبة له في الرجعة إلى الخير ، فالواجب عليها أن تطلب الخلاص من يديه ، وتحتال في ذلك بكل حال تقدر عليه ، فإذا عيَّ بها فقد قامت معذرتها عند الله جل اسمه ، وسبيلها سبيل من امتحن من المؤمنات بزواج الفساق ، فهذا معنى المسألة.

و[سألت] عن رجل ارتد عن الإسلام هل يجوز له بيع شيء من ماله أو هبته من بعد ردته؟

الجواب: اعلم أنه إذا خرج مرتدا فدخل في دار الحرب أن ماله لورثته ، ولا يد له فيه ولا أمر ، ببيع ولا هبة ، حتى يصح لهم بعدُ موته ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن أهل دار الشرك وما في أيديهم من الأرزاق ، وجميع الأرفاق ، مما يأكلون ويشربون ، ويركبون ويلبسون ، وفي جميع الحالات يتلذذون ، هل ذلك لهم حلال من قبل الله ، إذا الأجسام لا تقوم إلا بالغذاء ، أم هو عليهم محظور حرام؟

الجواب: اعلم أن جواب هذه المسألة قد تقدم مني في كتابي الذي وصل إليكم ، وهي مسألة أبلغتُ فيها حتى ليس إن شاء الله بعدها لمتكلم مقال ، إلا

مقال تسليم وإقبال ، فَسَلْ عنها وانظرها ، فلولا الاجتزاء بها لأعدتها في كتابي هذا ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن قول الله سبحانه: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم:٦٤]. ما معنى ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾؟

الجواب: اعلم أن هذا الكلام كلام ملائكة الله عليهم السلام ، فأخبروا أنهم لا يتنزلون إلا بأمر بهم ، وأقروا أن له ما بين أيديهم وهو: ما يكون أمامهم وقدامهم ، وما خلفهم وهو: ما يكون وراءهم وأعقابهم ، ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ فهو: مكانهم وما كانوا فيه حيث هم زمانهم ، فكل ذلك لله تبارك وتعالى ، ونافذ فيه حكمه وأمره.

و[سألت] عن قول الله سبحانه: ﴿ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٤] الآية؟

الجواب: اعلم أن هذا خطاب من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، عاتبه فيه ، وأيقظه عن الغفلة عنه ، فقال عز وجل: ﴿ لَقَدْ كِدتَّ ﴾. ومعناه: أردت ، ﴿ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ ﴾ ومعناه: تميل ، ﴿ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ معناه: ميلا يسيرا ، فنهاه الله سبحانه عن الميل إلى أعدائه بقليل من الميل أو كثير ، وحذّره ذلك لما علم سبحانه فيه من المضرة التي ربما قصر المخلوقون عن علمها ، فهذا المعنى فيما سألت عنه.

و[سألت] عن رجل أَهَلَّ بعمرة في أشهر الحج فمنعه من السعي والطواف جبار من الجبابرة ، فرفض ما كان من عمرته ومضى في زيارته ، ثم رجع لحجته ، فسار إلى منى وعرفات ، ورمى الجمرات ، هل يكون متمتعا؟

الجواب: اعلم أنه متمتع وعليه ما على المتمتعين ، من الهدي بأيقن اليقين ، أو الصيام والقضاء ، لما كان من سعي عمرته وطوافها ، ولا دم عليه لما كان من رفضه ، لأنه مضطر إلى ذلك مجبور عليه.

و[سألت] عن صلاة الجنائز أفريضة أم سنة؟

الجواب: اعلم أنها فريضة من الله ، أمر الله بها نبيه عليه السلام في أوليائه ، فقال عز من قائل: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة:١٠٣]. ونهاه عن الصلاة على أعدائه ، فقال: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ... ﴾ [التوبة:٨٤] الآية. فلم تترك هذه الصلاة في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وجرت على الدوام ، كما جرى غيرها من الفرائض والسنن.

و[سألت] عن الركعتين من بعد الأربع في العشاء الآخرة ، أسنة لا يسع أحدا تركها أم نافلة؟

الجواب: اعلم أنها نافلة ، وليست سنة واجبة مشددا فيها ، وممنوعا من تركها ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن الأسباط ، أهم أولاد يعقوب ، وهل تجوز النبوة من بعد فعلهم ، إن كان القصص فيهم؟

الجواب: اعلم أن الله جل اسمه ، ذكر الأسباط فلم يخص أحدا منهم دون أحد ، والأسباط فهم: أولاد الأنبياء عليهم السلام ، وما ينكر من فعل الله جل اسمه أن يكون قَبِلَ توبة أولاد يعقوب ، وأنزلهم بعد ذلك منزلة مثلهم من الأسباط ، فالله جل اسمه يقول عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢٢]. فمن جعله الله حبيبا فلا يبعد أن يكون نبيا ، فهذا ما أرى في ذلك ، والله أولى بخلقه ، وما أعطاهم من فضله.

وسأل بعض من لم يتسم لنا في كتابه: عن الشيعة ، والعترة ، والخوارج ، والقدرية ، والمرجية. وقال كلٌّ من هؤلاء يدعي الإسلام والصواب ، ويكسر على من خالفه ، ويقول في مجالسه: قال الله ، قال رسول الله ، ولا ينكح إلا إلى شكله ، ولا يعطي زكاته إلا من آلفه ، ولا يرى عليه حقا لمن خالفه ، ويجر الإسلام إلى نفسه.

وقال السائل: وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية ... إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: صنفان من أمتي لا تنالهم شفاعتي ، قد لعنوا على لسان سبعين نبيا ، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: القدرية والمرجية ، القدرية مجوس هذه الأمة ، والمرجية يهود القبلة ».

وقال: إنهم على أحوال من الخلاف كثيرة ، ومِن ظلمِ العترة. وقال: مع ذلك هل يُخاف علينا؟

الجواب: اعلم - وفقك الله - أن هذه الفِرَق من أهل الملة اختلفوا بعد نبيهم صلوات الله عليه وعلىآله وسلم ، ثم كل فرقة منهم تدعي الصواب

كما ذكرت ، فمنهم من يدعي وإذا طُولب بالبينة لم يقمها ، ومنهم من يدعي ويقيم البينة ، والحق لذوي البينات ، لا لذوي الدعاوى ، وأهل الحق فبينتهم محكم كتاب الله ، الذي يجمع عليه المخالف والموافق ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المجمع عليها أيضا ، وحجة العقل ، وليس تحتاج إليها إلا إذا ورد خبران متضادان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحدهما فيه رخصة ، والآخر فهي غلظة ، فأبعدهما من الريب يشهد له العقل بالصحة.

وفي مثل ذلك ما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه: « وصل إليه رجل يقال له: وابصة ، ورسول الله عليه السلام في حشد من الناس ، فوقف الرجل بين يدي النبي عليه السلام ، ولم ير له مجلسا ، فأدناه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا وابصة أتخبرني عما أتيت له ، أو أخبرك؟! فقال: بل تخبرني يا رسول الله!! قال: يا وابصة أتيت تسأل عن الخير والشر. فالخير ما اطمأن إليه قلبك ، والشر ما كرهته نفسك ، وإن أفتاك المفتون ، وإن أفتاك المفتون » يكرر هذا القول ، مع ما يشهد الله به لذوي الألباب والعقول ، فكل أولئك يخاطبهم بما أعطاهم من ذلك ، وبهذه القرائح تمييز الخير من الشر ، والجيد من الرديء ، والمليح من القبيح ، والأجناس كلها بعضها من بعض ، وإنما أجريت لك ذلك ، لتعلم أن حجة العقل أضوأ بينة للمحقين ، وإن كان لا أرفع قدرا من كتاب الله رب العالمين ، إذ هو نجاة من آمن به ، وسُلّم من اتبع سبيل نهجه ، فاتبع أيها الأخ - أكرمك الله - من الفرق التي ذكرت ، من أقام البينة ، فأولئك أهل الحق ، ومن سواهم في

الباطل ، فإن احتجوا من كتاب لله احتجوا بالمتشابه ، وقد أخبر الله عنهم ، فقال عز وجل: ﴿ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران:٧].

فأخبرنا الله عز وجل أن من احتج بالمتشابه باغي فتنة ، وقد رأينا ذلك فيهم مشاهدة. وإن احتجوا من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، احتجوا من طريق الآحاد ، لا من طريق الإجماع ، وطرحوا حجة العقل والقياس ، وقالوا: الشيطان أول من قاس ، وهم مع ذلك قد قاسوا كما قاس ، وهلك بذلك من هلك من الناس ، ثم هم بعد ذلك كله مجمعون معك في أصول الدين ، ثم هم بعد ذلك كله ينكسون على رؤوسهم ، فيرجعون في متابعة أهوائهم ، وإلى ما لُبِّسَ به عليهم من رؤسائهم ، فبُعداً لهم ولمن صرخ بهم إلى النار ، فأجابوا دعوته ، وسمعوا واعيته ، ثم لتكن تعلم أن هؤلاء يسمون بالفسق ، إذ عليهم اسم الأمة واقع ، وإذ كلهم بالشهادتين عن نفسه وماله دافع ، ثم لتكن تعلم أنهم والمشركون في المعنى والعذاب مشتبهون ، وإن كلهم بعد الدعوة والتكذيب يقبلون ، وإن لكلا الفريقين بعد القتل حكماً غير حكم الآخر ، مذكور في مواضعه من السيرة في الحربيين ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن إبليس اللعين ، وما ذكر الله من قدرته على آدم وذريته ، وقال: من أين استوجب عدو الله هذه القدرة ، حتى عاد قريبا من أولياء الله؟! وقد قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ... إلى قوله: لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ

ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ [الحجر:٤٢ - ٣٩ - ٤٠] (١). فكيف كان سلطانه على آدم وزوجته ، وعلى أيوب إذ يقول: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص:٤١] ؟

الجواب: اعلم أن الله لم يجعل لذي ظلم قدرة على ظلمه ، ولم يأمر بظلم أحد من خلقه ، تعالى عن ذلك ربنا وتقدس ، ولكن اللعين إبليس أول من عصى الله جل اسمه ، فلما تبين له فعله ، علم أن الله يعاقبه عليه ، وكان عدو الله يعرف من قدرة الله عليه ما يجهله اليوم كثير من هذه الأمة ، ومن ولد آدم ، فقال اللعين خوفا من تعجيل عذابه ، على ما كان من عصيانه: ﴿أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأعراف:١٤]. فأنظره الله جل اسمه ، ولو كان ذلك تقديرا من الله لما عذبه الله بما قدر له ، ولا طلب النظرة بالعذاب إلى مدة ، ولكن اللعين فعل ما فعل اختيارا منه للمعصية ، وهو عارف بما يجب عليه ، وكل مطيع فهو يطيع اختيارا منه ، لما يعلم في الطاعة من الثواب له ، لأن الله سبحانه وتعالى لم يُعص مغلوبا ، ولم يطعه من أطاعه مكرها ، فليس لإبليس اللعين سلطان إلا على من اتبعه من الغاوين. فأما ما نال من آدم عليه السلام ، فإنما نال ذلك حين الغفلة والنسيان ، وكل ما ينال من حزبه ، فذلك عند العمد والعصيان ، وبذلك أخبر الله جل اسمه ، فقال: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ

---

(١) يوجد هنا التباس.

ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [طه:١١٥] ، يقول: على افتقاده لنفسه من الغفلة والسهو.

وأما قوله: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحجر:٤٠]. فهذا استثناء من اللعين ، ويأسا منه ألا يتبعه المطيعون ، ولعمري ما اتبعه آدم!! ولا يتوهم ذلك مؤمن ، بل نفى الله ذلك عنه ، وكذلك أيوب فقد ذكر عنه صو : أنه كان رجلا كريما كثير الضيفان ، وكانت زوجته تقوم بمن يضيف وتعتاهم ، فأتى اللعين على حين سهو من أيوب صو ، وغفلة ونسيان ، وكذب على زوجته ، وقال: إنها قد ضيعت القيام بضيفانه ، فشق على نبي الله عليه السلام ، لمكان كرمه ومروءته ، فخاصمها وحلف لها بالضرب ، فلما أنكرت ذلك وتبيَّن غير ما قيل له ، وبعد أن نصب وتَعذَّب بما ناله من الغيظ والحزن ، علم عند ذلك أن الذي كاده الشيطان ، وأنه أراد به الخروج من حد الإيمان ، فقال عند ذلك: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [ص:٤١]. لإبانه بحال يناله به من الله نصب وعذاب ، فاستجاب الله منه ، وبعَّده من المرض والحنث ، إذ قال: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ [ص:٤٤]. فالشيطان لا قدرة له على أولياء الله ، إلا عندما لا يخلو البشر منه من السهو والغفلة ، وقلَّ ذلك في أولياء الله جل اسمه.

وأما أعداء الله فهم حزبه وجنده ، وهو يدعوهم ليلا ونهارا ، وهم يجيبونه إسراعا وبدارا ، فبعدا له ولأتباعه ، ونعوذ بالله منه ومن أشياعه ، ونسأله العون على طاعته بغفرانه.

و[سألت] عمن أنكر خلق القرآن وقال هو كلام الله منه بدا وإليه يعود ، وقال: إنه يدرك بالأبصار ، ويقضي بالفساد ، هل يستوون هم واليهود في النجاسة والشرك أم لا؟

الجواب: اعلم أنه لا فرق بين من ذكرت أيضا إلا في الاسم ، فأما المعنى وما يستحقون من عذاب الله فواحد سواء ، لا فضل لبعضه على بعض ، كل أولئك حرب رسول الله في يوم القيامة.

وأما إسراج من أسرج منهم وألجم ، فإنما هو على رسول الله وكل ترة وترها أولياء الله ، فهي شاقة على رسل الله ، ومغضبة لكل من أقر بالله ، وأولياء الله منذ خلق آدم إلى يوم البعث ، فغضبهم واحد ، وسلمهم واحد ، ولا فرق بينهم في ذلك ، فاعلم أيها الأخ رشدت في الأنام ، وسلمت من الآثام.

و[سألت] عن السواد الأعظم وآدمانه الحج إلى بيت الله الحرام ، وزيارة قبر رسول الله عليه السلام ، يشهدون بالأمر والخلافة لصاحب الغار ، وينكرون قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « من كنت مولاه فعلي مولاه »؟!

الجواب: اعلم أيها الأخ - أكرمك الله - أن هؤلاء سامريه أمة محمد صلوات الله عليه وعلى آله ، لا فرق بينهم وبين سامرية أمة موسى صلوات الله عليه ، كما لا فرق بين موسى ومحمد عليهما السلام ، وكما لا فرق بين هارون وعلي عليه السلام إلا النبوة ، لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ». وهارون عليه السلام

فقد استخلفه موسى ، كما استخلف محمد عليا صلوات الله عليهما ، وقد رُفض علي كما رُفض هارون ، فلا فرق بين علي وهارون ، ولا فرق بين من رَفَضَ رسل الله واتبع هواه ، والله مجازي كل نفس بما كسبت من خير وشر ، فجعلنا الله من الكاسبين خيرا برحمته.

و[سألت] عمن خذل آل محمد فلم ينصرهم ، وعاداهم و لم يوالهم ، هل يحل له ما يحل لهم من المنكح والمطعم والملبس والمركب أم لا؟

الجواب: اعلم أنه لا يحل لهم من مال الله ما يحل لنا ، ولا ينال خير الدنيا والآخرة إلا بنا ، فإن عدل عن ذلك فليس منا ، وأمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلىالله الطاهرين وسلم يقول: « لهم علينا ثلاث ، ما كان لنا عليهم ثلاث ، لا نمنعهم من الصلاة في مساجدنا ، ما كانوا يشهدون بشهادة ديننا ، ولا نبدأهم بمحاربة حتى يبدأونا ، ولا نمنعهم من حقهم من الفيء ما كانت أيديهم مع أيدينا ». فهذا الجواب لما سألت عنه.

و[سألت] عن معاوية وما أوجف به في حرب علي ، من الخيل والركاب والسلاح والرماح والقوة بالأموال ، هل يستوي هو وفرعون في المترلة في الدنيا والآخرة أم لا؟

الجواب: اعلم أنهم مستوون لا فرق بينهم في الدنيا ولا الآخرة ، ما خلا الاسم ، كذلك روي عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنه قال في حرب صفين: « امتحنت بما لم يمتحن به أحد من الأوصياء قبلي » ، فكل نبي خالفته أمته قتلته وقتلت وصيه ، وكفرت به وبمن أرسله ، وأمة نبينا تشهد بما تشهد

به لله ولرسوله ، فقد لبسوا بذلك على من لا حقيقة لإيمانه ، ولعمري إنها لفتنة عظيمة. نجانا الله منها ومن جميع الفتن برحمته.

و[سألت] عن الأسباط أهم الذين ألقوا أخاهم في الجب ، وجاءوا على قميصه بدم كذب؟

الجواب: اعلم أن الأسباط ذرية الأنبياء ، لم يخص الله منهم أحدا فنخصه ، ولا نشك فيما أخبر الله به أن أولاد يعقوب تابوا ، وسألوا أباهم الاستغفار ، واستغفر لهم أخوهم ، ولم يكن عليه السلام يستغفر إلا لمن ظهر ندمه ، ورجع إلى الله من خطيئته ، والله أولى بخلقه ، وغير مخلف وعد من آمن به ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن قول الله سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ... ﴾ [فاطر:٣٢] الآية ، وهل يخص هذه الآية ولد الحسن والحسين عليهما وعليهم السلام ليس لأحد فيها حق؟

الجواب: اعلم أنا نقول: إنها مخصوص بها آل النبي عليه السلام ، من ولد الحسن والحسين دون غيرهم ، فلو كان سواهم نزلت فيه هذه الآية لكان تَعلّق بها منذ حين ، كما تعلّق ببعض كتاب الله ادعاء لذلك ، والكتاب فليس شيء من مدائحه إلا لأهل بيت محمد صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، ولصالحي أولياء الله وأوليائهم ، فاعلم ذلك.

و[سألت] عن المقتصد هل يلحق بالسابق فيكونان سواء في إقامة الحدود ، وإثبات الشريعة ، ويكون المقتصد خليفة السابق ، ويقيم من الحدود ما أقام

السابق ، ويشهر السيف على أعدائه ، أم لم يكلفه الله ذلك ، عَرِّفنا يأجرك الله؟

الجواب: اعلم أنه قد كان تقدم في كتابي إليكم مع أحمد بن محمد بن يعقوب جواب يكفي عن جواب هذه المسألة ، وهو جواب بالغت فيه ، واعلم أن المقتصد لا ينصب نفسه للإمامة ، لأنه ليس بين السابق والمقتصد منزلة له تحل ، إذ الظالم لنفسه مقدم قبل ذَينِ ، ولكن المقتصد مستفاد منه ، وهو أيضا لمكانه من الإيمان ، والمعرفة باللسان ، لا ينصب نفسه لذا المكان ، فاعلم ذلك.

فأما السابق فهو خليفة السابق ، لأن كل سابق من الأئمة مسبوق ، إلا أمير المؤمنين ، عليه صلوات رب العالمين ، فلم يسبقه إمام ، وإنما السابق له رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ، ثم الأئمة بعد علي سابق بعضهم لبعض ، إلى هذه الغاية ، وكل من علا منهم وارتفع ، ففضله على قدر ارتفاعه ، وقرب نسبه إلى من علا من أسلافه ، فالأقرب منهم إلى رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله وسلم وإلى أمير المؤمنين عليه السلام أرفع إلى هذه الغاية ، فلا بعَّدنا الله من خير ، ولا قرَّبنا من شر برحمته ، وجعلنا من أهل القدوة بأهل طاعته.

و[سألت] عن رجل من ولد الهادي عليه السلام قائم باليمن ، يدعو إلى الكتاب والسنة ، فكسر عليه الشيعة؟

الجواب: اعلم أني لا أتكلم في أمر لا أقف على حقيقته ، إلا أنه ربما لم يؤت الإنسان إلا من نفسه ، وقد ذكر منه غلظة على شيعته ، والله يقول لنبيه

صلى الله عليه وآلـه وسـلم: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]. ولست آمن أن يكون غلظ على شيعته لأمر منـهم غاظه ، وكَظمُ الغيظ محمود عند الله سبحانه.

فأما الشيعة فإن كانوا كسروا على رجل من أهل بيت نبيهم شرط لهـم من نفسه شرطا لم يتعده ، فلقد عظمت خطيئتهم ، ولقد وددت أن الله كان وفقه ووفقهم للاجتماع والثبات بجانب من الأرض ، لا يعتدون فيه إلا على من أتاهم عاديا ، ولا يقاتلون إلا من كان لهم مناديـا ، ويسـيرون بسـيرة الصالحين ، أو بحكم الله وهو خيرا لحاكمين. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

تم الكتاب بمن الله سبحانه

كتب ورسائل
القاسم العياني

كتب ورسائل الإمام القاسم العياني

[كتابه إلى ولد قحطان]

قال الحسين بن أحمد بن يعقوب[مؤلف السيرة] رحمة الله عليه: فلما بلغ الإمام عليه السلام التياث الأحول على ولاته باليمن وهو مقيم بترج[١] ، بعث عمار بن أحمد الجعدي وأحمد بن خالد بن صبيح في شهر شوال من سنة ثمان وثمانين وثلاث مائة سنة ، يؤديان إليه من أعشاره في اليمن طرفا ، ويستنهضان من الناس من يخرج إليه حتى ينهض فيهم اليمن ، وكتب معهما كتابا نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

علوانه [٢]: إلى كافة ولد قحطان ، كتبتُ كتابي يا إخواني الأعزاء ، أسأل الله حفظكم ، ودفع السوء عنكم ، هذا كتاب القاصر عن أداء حقكم ، مسلما ومتعهدا ، والحال بنا صالح ولربنا الحمد كثيرا ، خلا أن من نَصَبه المسلمون للقيام فيهم ، وقلدوه أمورهم وعليهم ، يجب أن يكون حاله غير حالي ، وقد أصبحت والله المستعان في حال مَن كَبُر اسمه ، وكثر عدوُّه ، وقَلَّ في الخير مساعده ، وإني لما صرت إلى أرضكم لم أر منكم حالا أكرهه ،

---

(١) واد يصب في وادي عريشة عند نخل الحيفة. سيرة الأميرين/ ١١٦.

(٢) علوان الكتاب: عنوانه.

أوجبتم أنتم وسائر عشائركم ، وأنفذتم الأمر في أنفسكم ، ولم تفعلوا إلا جيدا مما [١] أنتم أهله ، وقد نظرت في أحوالكم ، وفكرت في أموركم ، فإذا أنتم أهل محبة ومساعفة لصاحبكم ما كان مقامه في أوسط داركم ، وحيث يناله قويكم وضعيفكم ، وإن جاوز بلدكم لم تلتزموا منه بلزمه بدفع سيئة ولا جلب حسنة ، وقد دخلت معكم وأنا أحسب أني سوف أنال بكم ما ينال ولي حق ، مِن ملك البلاد ، وطاعة العباد ، فلما رأيت تقلبكم ، وتعسر فراق الأهل والأموال عليكم حال اليأس دون الرجاء ، وكنت كما قال القائل قد جعلت نقي الشحح نقيع [٢] ، والآن فإذا قد عسر عليكم إلا ما تصرفون فيه حيث أنتم ، فأنا أعذركم ولا أعذر نفسي في أن أسيرَ إليكم ، وآتي كل قوم عند منازلهم ، ولا أكلفهم عناء ولا نفقة مال في سبيل الله إلا من أحب ذلك ، فليس الله يُضيع أجر من أحسن عملا. ولقد أتحرج أن أحمل نفسي على الخطر كنت بالبعد منكم أو القرب.

واعلموا أنه إن فاتت إلي فائتة من بعض أعداء الله أن ذلك حال يؤثمني ويؤثمكم ، ولا بد من إحدى ثنتين: إما كنتم قوما متعلقين بي وطالبين أن أثوب إليكم ، وذلك حال لا يمكني أن أباشره بنفسي ، وأسير في مخلاف صعدة بضعة عشر يوما بالخفراء [٣] ، وليس كل الناس أمينا فأُسلّم إليه نفسي

---

(١) في السيرة: ما. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) كذا في السيرة.

(٣) الخفراء: المحافظون والحرس من الجند.

يسير بي من بلد إلى بلد ، وأنتم تعلمون أن كثيرا من الخلفاء قُتلوا في محالهم وفي وسط عساكرهم ، منهم علي بن أبي طالب عليه السلام ، وعمر بن الخطاب ، وسواء هذين من السلاطين ، فإن ترضوا لي هذه المترلة الدنيئة فإني لا أرضاها لنفسي ، وإلا ترضوها لي فذلك ظني بكم.

ولست بحامل عليكم ما لا تطيقون ، الذي أكلفه جميع أهل مخلافي كله ثلثمائة رجل يسيرون إليّ ، حتى أسير معهم ويكون رأيهم معي ، فمن كان منهم مستعينا يريد وجه الله سبحانه فهو مأجور ، ومن لم يكن معه شيء نظرتم في ذلك بما يوفقكم الله له ، وليس شيعتي هذا الزمان إلا من ليس له مال يعود إليه ، وليس بيدي مالٌ أنفقه ، ولا سلطاني ظالم فأقضي حاجتي وأقوم بمؤنة عسكري من أموال الناس ، وهذه الخطة من أقل ما يطلب مثلي من مثلكم ، فإن أمكنت هذه الخطة قمتم فيها ، وإن تعذر هذا الوجه فإني أكون ممن قد زال عنه فرض القيام ، وقرأت عليكم السلام كثيرا طيبا.

[كتابه إلى أهل نجران]

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب كتبه القاسم بن علي إلى كافة أهل نجران ومن بحالهم من الجيران: سلام عليكم ، فإنا نَحمد الله إليكم مَن يلزمنا حمده ، ويجلّ عليه الثناء كما هو أهله ، أما بعد: فإنه لا خطأ بعد تذكرة ، ولا ذمامة بعد معذرة ، وقد قبلت عُذر من اعتذر ، وتجاوزت عن خطيئة من قصَّر ، فتعوضوا من سيئاتكم إحسانا ، ومن زللكم استمكانا.

واعلموا أن من رجع من سيئته كأن لم يُسيئ ، ومن عاود من غيه بَخُس وغَوِي ، وقد عرَّفتكم جميعا أنه لا معذرة لمن عصى الله حتى يرجع عن معصيته ، ولا توبة لتائب حتى يندم على خطيئته ، وقد أظهرتم جميلا شُكرتم عليه ، فحوطوا قولكم بالتمام ، واحفظوا أموالكم وأنفسكم بالإسلام.

واعلموا أن للإسلام حرمة تُرعى ، وللديانة أوامر لا تعصى ، ومن قصر عن بعض ما أمره الله به ، كمن أضاع جميع أمره ونهيه ، والله يقول وقوله الحق: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام:٨٢] ، فاعملوا - رحمكم الله — عملا صالحا تنجون به من خالقكم ، وتزدادون به الآن في أرزاقكم ، وردوا عليكم فوت الأناة ، وغلول الزكاة ، بأداء ما غللتم منها ، فإن الله يقول وقوله الحق: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا

كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [آل عمران:١٦١] ، فرحم الله عبدا لم يُفوِّت حظه من الآخرة ، وأدى ما أوجب الله عليه من قبل أن لا تكون رُجعة ، ولا تقال عثرة [١] ، ولا يؤخذ من نفس فدية ، ولا تقبل منها معذرة ، ولا تنفعها شفاعة ، ولو يعلم من غل زكاته أنه عند الله من الهالكين ، ومسمى بفعله بأفعال المشركين ، لعسر ذلك عليه ، ولسمج ما استحسن لديه ، لكنه لم يعلم بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [فصلت:٦-٧].

أجل لو علم بذلك من يؤمن بالله واليوم الآخر لَمَا تعرض لهذا الإثم الهالك عند الله وعند البرية من تسمّى به ، وقد بعثت بكتابي هذا خادمي سعيد بن سراج ليقرأه على من بَقِيَ عنده لنا بقية تؤدَّى لإنفاذ الأمر في منشورنا هذا ، فليقم معه جميع السعاة الذين كانوا لنا في خدمة ، ولهم بواجبنا معرفة ، ومن أدى واجبه عرف وكتب اسمه ، ومن لم يود شيئا مما لنا عليه عرَّفنا به ، ولم يَلُمْ بعد ذلك إلا نفسه ، وقد أعذر من أنذر ، فأقسم بالله صادقا لئن فعل ذلك أحد من أهل طاعتي لأنفذن عليه حكم الله ، وحكم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وحكمي.

فرحم الله عبدا صان نفسه ، وصان قومه ، ولم يُبد لي وجهه ، والله يقول وقوله الحق: ﴿ أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ

---

(١) في السيرة: عثرة زكاته.

ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخْشَوْنَهُمْۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التوبة:١٣]. ولنا سيرة قد أمرنا أن يُسار بها ، تعلمون جميعا أني قد أثبت كلا الواليين على ولايته ، وهما إبراهيم بن محمد بن المختار ، وعبد الله بن يحيى ، فاستمعوا للشريفين ، وأطيعوهما ما أطاعا الله والرسول وأطاعاني ، وولاية بني الحارث كافة ويام والأحلاف كافة ، وولاية عبد الله بن يحيى على ساكن وادعة وثقيف ، والقاضي الذي وليته على سائر من في الولايتين جميعا سليمان بن النساخ ، وولايتي على قبض الخراج علي بن أحمد بن أبي حبيب ، وسليمان بن الربيع ، وسليمان بن علي من قرقر (١) ، يتصرف هؤلاء السعاة الأمناء فيما أقمتهم فيه ، فإذا قبضوا من إنسان واجب ما عليه عرَّفوا الوالي بذلك وأخذوا منه براءة بخطه لمن قبضوا منه واجبه ، وتكون البراءة على هذه النسخة بعينها:

بسم الله الرحمن الرحيم ، يقول فلان وفلان بأسمائهما (٢): إننا قد قبضنا من فلان ابن فلان واجبه ، وهو كذا وكذا مكيالا أو درهما أو دينارا ، ثم يمضون بالبراءة إلى الوالي فيقرأوها وينسخوها في ديوان الخراج ، ويوقع فيها صحَّ مع قبض السعاة لما في هذا الكتاب ، وأبرأهم من الدّرك في ذلك وممن قبضوا واجبه ، وكَتَب فلان ابن فلان بخطه يوم كذا من شهر كذا في سنة كذا.

---

(١) قرقر: بلد من بني الحارث، صفة جزيرة العرب: ٢٨٣.

(٢) في السيرة: ما بأسمائهما.

ويكون عند السعاة دفتر بمعرفة ما يقبضون ، ويكون مثل ذلك عند الولاة ، ويكون بالبراءة التي يكتبونها لصاحب الواجب في يده ، فإذا طالبته بها وجَدتُها عنده ، وإن لم أجدها عنده أخذته بأداء الزكاة التي أجدها في الدواوين مثبتة عليه ، فلينظر كل من عليه واجب لنفسه ولا يسلم واجبه الذي عليه حتى يعطيه السعاة خطوطهم ، وتوقيع الوالي مع ما يقبض مما على المخرج للواجب ، فإذا سلموا خطا بذلك سُلم إليهم الخراج ، فعلى هذا النعت فليسلم إليهم الواجب من وَجَب عليه أداؤه ، ومن أقمته في قبض الواجبات مقامي ، وخزنه في مخزاني فلينفذ أمر الواليين فيما يوردان به خطي ، ويأخذون بذلك منهما خطوطهما ، وكذلك ما ورد من خطوطي بتسليم فليأخذوا تلك الخطوط وقبض من يدفعون إليه بها ، ويستوثق كل إنسان من والٍ ومولى عليه لنفسه ، ولا يَعد من التفريط في مثل ما كان فيه من أمسه ، و لم أجعل على أيدي هذين الواليين رزقا ولا رسما ، فلا يطالبهما أحد بطلابه ، لم يأت بها أمري.

وليعلم جميع العشيرة أنني لا أعطي أحدا درهما إلا من خدمني ، وبانت نصيحته لي ، واتصلت بخدمته بين يدي ، فإذا كان ذلك فعطية مَن ذكرت من تحت يدي ، لا من خراج بلد بعينه ، ولا من واجب يجب عليه ، فليتقرر هذا القول عند جميع من يطلب مني شيئا بلا تَكَلُّف أعرفه به.

ومما أمرت به الولاة أن يأمروا به السعاة أن يفصلوا بين الأسماء اسم من عليه الخراج وبين أسماء من ليس عليه خراج ، فلا أجد في الديوان الذي يقبض فيه الخراج اسمين أحدهما ملتبس بالآخر ، ولكن يجعل لكل رجل مكتب باسمه ، ثم يضاف إلى اسمه واجبه من حيث كان مجتمعا أو مفترقا ، حتى يؤخذ ما

عليه معا مجتمعا في مكتب واحد مُفردا ، أو في دفتر مفصول ، وإذا قَبضَ خَزنَ خراج (بني الحارث) كافة في مدينة المهجر ، وخزن خراج (يام) كافة في حصن الأحلاف ، وخزن خراج أعلى الوادي في مخزان واحد أو اثنين بحسب ما يراه الخازن ، ويولي هؤلاء الأمناء في كل بشر [(١)] من يثقون به لقبض واجب ، أو إقامة حبسه بمعروف ، ومن تولى مجلس الزكاة فلا يأخذ الزكاة من طعام قد زُكي بعد البينة ، ولا يأخذ زكاة بضاعة قد زكيت بعد البينة ، ولا من بضاعة لا تجب الزكاة في مثلها إذا لم تُضف إلى بضاعة ، ولا من بَدوي ولا من حضري اشترى ميرة ليأكلها ، ولا يأخذ من الماشية التي ترد السوق كلها زكاة ممن يوردها من أهل الطاعة ، إلا ماشية تحتكر في بعض البضايع المعروفة للتجارة ، فيكون سبيل تلك الماشية سبيل التجارة ، ومن ولي مجلس الزكاة كتب دَخْلَ البلاد وخَرْجَه ، ويعرف ذلك ويُثبته من يكون معه دفترٌ أيضا حتى يكون نسخا لا واحدة ، وما طالب من ذلك الوالي سُلم إليه وأخذ خط منه ، ويوقفون المحتسب في كل يوم على ما يقبضون وما يفعلون ، ويستقصى في الواجبات كل الاستقصاء ، ومن أخذ من أحد ما لا يجب عليه ، أو فرط في واجب فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين ولعنة الناس أجمعين ، ومن اطلعت منه على خيانة فيما يلي فقد أباح من نفسه ما حرم الله منه ، فلينظر كل من وَلَّيته أمرا لنفسه ، فالسعيد من نظر لها ، وسعى في صيانتها ، وحسبنا الله وكفى ، وكتب بصعدة في شهر صفر من شهور سنة تسع وثمانين وثلاث مائة سنة.

---

(١) كذا في السيرة.

[كتابه إلى العبدين]

وبعد أن كتب الإمام صلوات الله عليه هذا المنشور كتب إلى العبدين أميري عثر [١] بكتاب وتذكرة فيها شروط ، نسخة الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي حُمد لنعمته ، واستنقذ من خلق لهدايته ، وأوضح السبيل لبريته ، نحمده لما أولى من إحسانه ، ونُجلّ عليه الثناء لامتنانه ، ونعوذ بكلماته التامة من عصيانه ، ونشهد أن لا إله إلا الله إقرارا بتوحيده ، واعترافا بتمجيده ، وتعرضا لمزيده ، الذي جَلّ وعلا ، وتنزه ونأى عن تكليف ما عنه نهى ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخيرته وأمينه ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، أو أرباب المبطلون [٢] ، فبلغ رسالات ربه ، ونصح لأمته وجاهد في سبيله حتى أتاه اليقين ، وكان بالمؤمنين رؤوفا رحيما ، فصلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الذين قفوا آثاره ، وعلوا منهاجه ، واتبعوا أمره.

وبعد: فإن أولى الناس بالصلاح [٣] ، وأحراهم بالفلاح ، وأقربهم إلى النجاح ، من انتفع بعقله ، وأحسن النظر لنفسه ، وصان ما أمره الله بصونه ،

---

(١) عثر: مدينة تهامية مقدسية على شاطئ البحر الأحمر بين حرض وحلي.

(٢) كذا في السيرة.

(٣) في السيرة: الصلاة. ولعل الصواب ما أثبت.

ونصح لله في سره وعلانه [١] ، ألا وقد أنصف [٢] نفسه من آثر الآخرة على الدنيا ، وقام في سبيل الله محتسبا ، وإلى طاعته راغبا ، وفي بلاده وعباده مصلحا ، والله يقول وقوله الحق: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت:٣٣].

وأنتما - تولى الله توفيقكما - ممن له من المعرفة حظ يؤديه إلى المصلحة ، ولا ينوء به عن اتباع النصيحة ، وقد أدعوكما - تولى الله رشدكما ، وأحسن فيما يرضيه توفيقكما - ومن تليان من هذه الأمة قبلكما إلى الصلاح ، وأنتما فيه سواء ، والله يقول وقوله الحق: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤] ، وقد دعوت البرية من دين الله إلى أمر لستما عنه بخارجين ، ولا في دين غيره بداخلين ، لكني قد أدعوكما إلى جمع الكلمة ، وأُلفة أهل الديانة ، والله يقول وقوله الحق: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ...﴾ [آل عمران:١٠٥] الآية ، والله يعيذنا وإياكم من خلفه نكون فيها كمن ذكر الله تعالى بالخلاف من غيرنا ، وقد أعدكما من نفسي إن أنتما دخلتما في طاعة الله وطاعة رسوله

---

(١) في السيرة: وعلانيته. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: أنف. وفي الهامش: أنصف. ولعله الصواب.

وطاعتي موعدا أَفِي لكما به ، وأجعل الله لكما عليَّ شهيدا بتمامه ، فأنصفا من أنفسكما من قد وعدكما بالنصفة مبتدئا من نفسه ، ثم لكما علي إن سمعتما واعيتي ، وأقبلتما إلى طاعتي ، ولم تخالفا شيئا من سيرتي ، واتبعتما أمر الله وأمر رسوله فيَّ ، وراعيتماني مراعاة من قد صفا لي وُدُّهُ ، واستحكم في طاعتي عِقدُه ، أن أذركما فيما قد تليان ، وأبعد منكما ما تكرهان ، وأن أظاهركما على من يبغي عليكما من قاصٍ ودانٍ ، ولي منكما مثل ذلك فيمن بغى عليَّ ، ودعوته إلى طاعة الله فلم يُقبل إليَّ ، وقد أظن بكما أن لا تتركا حظا يجمع لكما آخرة ودنيا ، ويزيدكما رفعة وعُلوا ، والله يوفقكما وإيانا جميعا لما يُحب ويرضى ، وقد ألقيت إلى موصل كتابي من الخطب ما يُلقيه إليكما إن رأى منكما قبولا لذلك ، والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته.

ونسخة التذكرة:

بسم الله الرحمن الرحيم

وعرِّفهما أني أطلب منهما الطاعة لي في خصال شتى ، أولها: أن لا يُبقيا في البلد فسادا ظاهرا إلا أقيم فيه الحد على مظهره.

الثانية: ألا يحكم في البلد إلا بحكم الله وحكم رسوله وذلك حكمنا ، وما لم يزل يأثره آباؤنا عن سلفنا.

والثالثة: أن يقيموا إليَّ الدعوة ، ويثبتوا اسمي في السكة ، وأن يقيموا الأذان ، أذان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن يصونوا مَن وحَّد الله

وعدَّله من الأذى [١] ، وأن لا يقدموا مؤخرا ولا يؤخروا مقدما ، وأن يرفعوا الجور عن الرعية ، ولا يأخذوا المكس من أحد من البرية ، ويكون أخذهم لما أوجب الله فيه من الزراعات ، وما يجب في الأموال من الزكوات ، وإذا دخل بلدهم مال قد قبضتُ من زكاته ، أو أحد من عمالي لم يأخذوا منه شيئا ، وكذلك ما قبضوا زكاته في عملهم لم نأخذ فيه زكاة في سائر عملنا ، ونوجب عليهم الصيانة لجميع من اتصل بنا ، بقرابة أو بديانة ، أو بصفاية أو بخدمة ، فقد أتاني خبر عن ابن كتيم الحسني أن قبح في أمره وشقق ظل محمله ، وحبس صاحبه ، إذ ذكر أنه متوجه نحوي ، والسلام على من ابتع الهدى ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

(١) في السيرة: الأداء. ولعل الصواب ما أثبت.

[كتابه إلى العساكر]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أحمده بجميل مواهبه ، وأتوكل عليه وأومن به ، وأسأله أن يصلي على سيدنا محمد وآله ، أما بعد: يا جماعة أوليائنا وإخواننا وشيعتنا ، فإنا لو عددنا مناقبكم فينا ، وكريم طاعتكم لأوّلنا وآخرنا ، لكثر بذلك خطبنا ، ولما أحاط به عددنا ، ثم قد جمعنا وإياكم ما قد جمع أولا منا ومنك ، وقد سرنا فيكم بسيرة لم تذموها ، وأوليتمونا من طاعتكم أيادي كريمة لا نزال نشكرها والله مجازيكم عنها ، وقد نال أخوكم بذلك ما مكنه في أمره ، وحظيتم بفخره ، ثم قد خرق فيما نال أخوكم بأيديكم خرقا إن لم يَرفِه بكم اتسع فتقُه ، وعم أهل الأرض محقه ، وقد أقبلتم لما استُنجدتم له غير خاذلين ولا متواكلين ، ولا وانين ولا عاجزين ، فأعظم الله على ذلك أجوركم ، وشكر سعيكم ، وأعلا في الأرض ذكركم ، وقد خضع لذكر إقبالكم المُسيء ، وابتهج الولي ، فلاذا جميعا بولد وليكم وشاكر أياديكم ، فعطفه كرم الطباع على المسيء ، وأوجب الحرمة على الولي ، فآنسهما منه بذمة ، لذمة آبائه وأوليائه ، وتلك ذمة تلزمنا جميعا ، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يدٌ على من سواهم » [1].

---

(١) رواه النسائي ٨/٢٤، والدار قطني ٣/١٣١.

وأنتم - أكرمكم الله وصانكم - فأولى من راعى ذمة وليٍّ ، وصان ما يصون ، ولستم بجاهلين لسير الأئمة ، وإن جهل منكم ذلك أحد فلن يجهل الأكثرون ، ولن ينكروه العالمون ، وهذه العامة فهي لي رعيةٌ يسألني الله عن أدبها ، ويسألني عن الجور عليها ، وقد كانت الخطبة منهم في خاص دون عام ، وذلك ممن تحت اليد تجري عليه أحكامنا ، ويقهره سلطاننا ، ومن كان كذلك لم يرفع عن طبقته ، و لم يحكم عليه بغير استحقاقه.

وقد بلغني أن القبائل ممن في عسكري يذكر أني أبحث من خضع للطاعة ، ونزل تحت الذلة ، وحاشا لله ومعاذ الله أن يكون ذلك من سيرتنا أو سيرة آبائنا ، بل سيرتنا أن نؤدب بالسيف من يضرب لحربنا ، و لم يحتج لكتاب ربنا ، ولا لسنة نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وسيرتنا فيمن ضمته طاعتنا ، وقهره سلطاننا ، وناله حكمنا ، الحبس والقيد والسوط ، فإن أسعدتمونا لوضع الأحكام في مواضعها ، و لم تعارضوا سيرتنا فيها ، ألفيتمونا لذلك غير جاهلين ، وكنا لإنفاذه بكم مستطيعين ، وإن لم تكونوا كذلك ، وعائذٌ بالله لنا ولكم من ذلك ، هدَّمتم بناء مكَّنتموه ، وأزلتم عزا رسمتموه ، وكنت إذ ذلك كآبائي الذين سايروا أعوانهم في حال استقامتهم ، ونزعوا أيديهم عنهم عند مخالفتهم.

فاتقوا الله ولا تُبطلوا أعمالكم ، ولا تخالفوا سيرة إمامكم ، ولا تعصوا أمره ، ولا تطلبوا منه طاعته ، واذكروا قول الله سبحانه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ

...﴾ [الحجرات:٧] الآية ، ونحن وإياكم متوجهون إلى بلد أكثر أهله رعية ومسكنة ، ولن يتعرضوا في إضعاف ذلك من المؤمنين والمؤمنات ، والله يقول جل وعلا: ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَـٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح:٢٥] ، وقد نعلم أن أهل الوفاء منكم والرحلة غير مخالفين ، ولا لما هممنا به غير معطلين.

ثم ليعلم من بلغه كلامي هذا أنه من تعدى ببسط يد فيما لم أبحه أني أجري عليه ما تعرض له ، وأُحل به ما أحل بنفسه ، فلا يغترن أحد من بعد كلامي هذا ، فأقسم بالله لئن تعدى أحدٌ أمري لأجرين عليه حكم الله بعقوبتي ، وقد أعذر من أنذر ، ومن غلبته نفسه على هواها ، فذلك ما عرضها لأذاها ، والسلام على من اتبع الهدى وتجنب عواقب الردى.

[كتابه إلى أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن يعقوب]

بسم الله الرحمن الرحيم

تمتثل يا أخي يا أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن يعقوب في القضاء بين الناس والنظر بين الخصوم ، أن تجعل تقوى الله نصب عينيك ، فإن تقوى الله من جعلها له جُنة ورعاها حق رعايتها ، دعاه ذلك على التيقظ من الغفلة ، والاحتراس من الذلة ، و لم يأمر عبدٌ نفسه عن التقوى والورع في الدنيا فزلّت به قدم إلا ثبته الله بقدم ، والناس يحبون من اتبع أهواءهم ، ويثقل عليهم من حملَهم على الحق وإن ساءهم ، فإياك أن تتبع في حكمك الهوىٰ ، أو تضاهي من أمورهم الدنيا ما لا يبقى ، فإن الله أدَّب نبيه داود صلى الله عليه ، فقال عز وجل: ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص:٢٦].

وإذا وقع بين يديك الحكومة واستمعت الخصوم ، لم تعجل بالحكم حتى يحل ذلك في فكرك ، ويستنصح نظرك ، والله يوفقك ويرشدك ، وكل حكم يتنازع فيه الخصوم ، فجملته الدعوى والشهادة والهبات والإصلاح ، وكل مدعٍ فعليه البينة وعلى الجاحد اليمين ، ولا يطالب حائز المتاع ببينة ، وإن كانت معه لم يحكم له بها ، والحوز أولى من البينة ، إلا حوز الوارث والشريك ، أو ما ينشى الخصمان فيه من الحوز ، فإن هؤلاء الثلاثة يطالبون بالبينة كلهم الحائز والمحوز عليه ، والشهادات فلا يصح منها إلا من قال له

المشهود عليه: اشهد علي بذا ، وداخلا شهادة من شهد بما يوجب حدا أو أدبا ، فإن الشهادة تثبت على المشهود عليه بلا أن يشهد على نفسه ، والصلح فلا يصلح في حال يعرفه فيه الغبنيّة على أحد المصطلحين ، لأن ذلك يحل ما حرم الله ، وصحة الصلح [1] لا يكون إلا فيما لم يبق لأي الخصمين فيه حق ، فإذا التبست الشبهة ولم يعرف الحق لمن هو حسن الصلح ، والهبات كلها مردودة إلا هبةً كوفي عنها ، أو هبةً جعلت لله ، مثل: سقي ماء ، أو إطعام طعام ، أو غيره غير معين عليه.

---

(١) في السيرة: ولا. ولعل الصواب ما أثبت.

[كتابه إلى العمال]

وعهد للعمال عهدا يسيرون به في عملهم ، وأمر كُتَّابه أن يعطوا كل عامل منفردا بالعمال أو اثنين أو جماعة يعملون عملا واحدا نسخة ، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى جميع العمال سلام عليكم ، فإنا نحمد الله إليكم حمدا كثيرا كما هو أهله ووليه ، ونسأله أن يصلي على محمد النبي وآله وسلم تسليما.

وبعد:

فإنا نوصيكم بما أوصاكم الله به ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ...﴾ [النساء:٥٨] الآية ، وقد وليناكم من زكوات المسلمين حملا ثقيلا على المؤمنين ، ويخف على العصاة المفرطين ، وقل من تورّع عن الدنيا فزلّت به قدمٌ إلا ثبته الله بقدم ، ومن عُرف بالأمانة كثر جميعا عند جميع الناس ، واتصل به من منافعهم ما يكسب الغنا ، ومن ثنائهم ما يعلي في الدنيا ، وأعظم من ذلك ثواب الله ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، والحليم معتبر بغيره.

وقد رأينا أمةً من الناس لزموا الخيانة فلزمهم الفقر والعار والخسة عند جميع الناس ، فرحم الله عبدا نزه نفسه عن المترلة الدنية في الدنيا والآخرة ، وقد بعثناكم لاستخراج ما أوجب الله على عباده ، وفرض في ذلك فرضا

على لسان رسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فجعل في كل ما يُكال من البر والشعير والتمر والذرة والزبيب الزكاة إذا بلغ كيل كل شيء من ذلك خمسة أوسق ، ذلك بمُدّ هذه البلد في هذا العصر خمسون مدا ، بمد الظاهر وريدة وقاعة وشبام ، وما أشبه ذلك العيار ، ومن كان من سائر المخلاف رجع بالعيار إلى هذه الأمداد ، بعد أن يُعبر جميعا حتى يكون على عيار واحد ، خلا مكيال صعدة ونواحيها فقد صحَّ أن العيار به في هذا العصر ستة وخمسون [1] مدا ونصف مد ، وأما سوى هذه الأصناف فقد ورد الخبر فيها بوجهين:

وجه القيمة بالنقود مائتي درهم قفلة.

ووجه آخر من القليل والكثير حتى من حزمة البقل.

وأما ما اختلف فيه القول فللأئمة فيه الرأي ، وقد أرى الأخذ فيما قل منه أو كثر من بعد ما ذكرنا ، وذلك لحاجة الإسلام وضعف أهله ، وما أتى دون ما سمينا من المكيل الذي لا اختلاف فيه ، فما ذكرنا لم يكن فيه شيء أصلا ، وإن بلغ هذا المقدار أو زاد عليه لزمته الزكاة ، وبحسب [2] ذلك فليعمل السعاة.

وأما سائر الحبوبات والفواكه والخضروات ، فيؤخذ العشر أو نصف العشر على قدر شرب أرضه مما قل منه أو كثر ، فذلك جائز بأحد الخبرين

---

(١) في السيرة: وخمسين. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: وبحسب. والصواب ما أثبت.

عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وفي ذلك ما جَبَر الإسلامَ وعاد عليه ، ولنا فيه رأي بعد صلاح الإسلام ، نرده إلى الزكاة فيما بلغت قيمته المئتي الدرهم ققلة أو كيلة الخمسة الأوسق ، ومن كان بيده ما يزكى من الأمتعة أخذنا مما بلغ عشرين مثقالا ، وذلك من الدنانير الهادية ثمانية وعشرون دينارا وثلث دينار ، ومن الدراهم مائتي درهم قفلة وهي ألف درهم ومئتي دوانيق أسداسا ، وإن قَصُر أحد الجنسين من النقد أضيف منه أحدهما إلى الآخر ، وأخذ منهما فيما يكمل أحدهما.

وأما الماشية فيجتزي بذلك ما في البلد منها عن ذكر كلها ، إذ ليس بالبلد إلا الغنم ، وليس فيما دون الأربعين شاة زكاة ، وتعد الكبار والصغار حتى ما يولد في ليلة العدد ، فإذا بلغت أربعين شاة ففيها شاة متوسطة ، فإذا بلغت مائة وإحدى وعشرين شاة ففيها شاتان ، ثم لا شيء فيها حتى تبلغ مائتي شاة ، فإذا زادت شاة واحدة ففيها ثلاث شياه ، فإذا كثرت ففي كل مئة شاة ، وما زاد على المائة فلا زكاة فيه.

والأمتعة التي للتجارة وما زكّي من الزرع وجعل للتجارة ، ففي كل جميع ذلك الزكاة خلا الزرع الذي لم يرد به صاحبه التجارة ، وكان ينفقه فيما يحتاج إليه.

والحلي سبيلها سبيل سائر النقود ، فما بلغ مبلغ ما يجب فيه الزكاة من النقود زُكي ، وما قصر عن ذلك فلا زكاة فيه.

والزرع وما تلاحق في سَنَته ، فبعضه يوفي عن بعض ، وفيه وجه آخر إذا استغنى الإسلام صرفناه إليه ، ويؤخذ الزكاة من الشريك شريك المزارع ، ولا

يؤخذ من شريك الملاك حتى يتم لكل واحد ما يجب فيه الزكاة ، ويؤخذ من مال الرجل وأولاده ، ولو ادعى أن لكل واحد منه طرفا ما دام يتصرف فيه تصرف المالك ، فإذا عزلهم أو واحدا منهم فلم يعد له إلى نصيب ذلك سبيل ، ولا فيه تصرف ، أخذ [1] من كل في ملكه على قدر ما يجب فيه.

وما ورد الأسواق من الأمتعة والدواب المتخذة للتجارة قُوِّمت وأخذ منها ما يجب فيه الأثمان والزكاة والنقود ربع عشر الجملة ، وكذلك جميع الوقوف والحبوس والوصايا تقبض الزكاة منها وتقبض غلاتها ، فتجعل على أيدي من يعدل بها حتى يكون الأمر فيها مصروفا إلينا ، وكذلك أمور الخراص والحماة مصروفا إلى الثقات والأمناء من العمال ، حتى يكون الكل منهم ناظرا في ذلك بقدر ما يرى ، وإن وقع حالٌ يوجب المشورة رفع الخبر فيه إلينا ، والسلام.

---

(١) في السيرة: أحد. ولعل الصواب ما أثبت.

[كتاب له أجاب به على يوسف بن يحيى بن الناصر]

قال الحسين بن أحمد [مؤلف السيرة]: فقرأه الإمام عليه السلام ، فلما فرغ دعا بقرطاس ودواة ، ورد إليه الجواب ، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

وكان في حضرته قاعدا في مجلسه الشريف إبراهيم بن محمد الرعيني ، وباسان والمدلهم السعديان والحسين بن أحمد بن يعقوب ، وقد كان بلغه كتاب كان في يده قبل وصول كتاب يوسف بن يحيى إلا أنه دونه ، فاشتد غضب الإمام عليه السلام من لومهم له جميعا بعضهم في بعض.

فقال هؤلاء الحضور للإمام عليه السلام: يا ابن رسول الله أهل بيتكم أولى من عطفت ببرك عليهم ، ما يجري من أحوالهم ، ولست تُعلّم بالفضل؟

فقال: عليهم ومن يلومني في أهل بيتي هؤلاء المدبرين ، جئت وهم خائفون فأمنتهم ، وشتات فجمعتهم ، متعادون فأصلحت بينهم ، ثم سلمت إليهم بلدهم بعد مصيرها في حوزتي ، فساروا فيها بالجور والعدوان والفساد ، ولم يأمروا فيها بمعروف ، ولم ينهوا عن منكر ، فتعلقت بي الرعية ، ونفرت إليّ منهم البرية ، فرجعت فوجدت ابن عمي هذا – يعني يوسف بن يحيى – يريد لي العطاء ، فلم يوفقه الله لمراده ، ولم يستطع ما نواه ، فأقمت في البلد

العدل والأحكام ، وعزلتهم مما كانوا فيه من معاصي الله ، ورزقتهم على ذلك ، وآثرتهم على نفسي ، ثم ترون [1] أفعالهم ، فأنا أرد جواب هذا النسخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل كتاب سيدي الإمام أطال الله بقاه ، وحاطه من الأسواء وتولاه ، لغير ما جرت به عوائده ، فغمني ذلك ، وإن كنت لم يسقط عني أنه غير راض بموقعي من هذا الأمر ، إلا أن الله يفعل ما يشاء ، وقد عتب في كتابه عتبا كثيرا لو كان في موضعه لما عنى ، وذكر مني إخلافا لما وعدته وادعا في ذلك ما لم يكن ، وهذا حال يقبح من مثله ، ويؤثمه عند ربه.

ولا بد أن أعرفه بما لا يجهل ، هو يعلم أدام الله توفيقه أني كتبت إليه مع أحمد بن خالد من الحجاز ، فأسمعه ورد كتابه لم يضع عليه يده ، فلم يعطفني ذلك عنه دون أن ثنيت إليه بكتاب فرده ، ثم بعثت ابن الدقيق بكتاب ثالث فرده ، ووجهت بدعوة فأمر بموصلها أيده الله وهو ابن شبيرة فحبس حتى حصله ترابي الشوك ، ثم أجارته قوم يريدون وجه الله ، فهَمَّ بالعدوة عليهم ، حتى لزمه عن ذلك من لزمه ، ثم وصلت من الحجاز فكتبت إليه بأجمل خطب ، ودعوته إلى ما دعاه الله إليه من صلاح ذات البين ، فدافع عن ذلك وراصد بجواري عليه القبيح ، فعذلني عن طريقي ، ومضيت وخلّيته ولم أدَع ملاطفته ومكاتبته بألين القول وأحسنه وأجمله ، وما يزيده ذلك إلا بُعدا من الصلاح ، حتى وصلت بعسكري فأقمت في ذلك أردد إليه وألطف به ، ولا يزداد إلا قسواً في البعد عليّ ، والكراهة لما عرضت عليه من حكم ربي ، حتى كان آخر أمره أن قال: يأكلني الأسد خير من أن يأكلني الثعلب ، وأرسل وجوه

(١) في السيرة: يرون. ولعل الصواب ما أثبت.

أصحابه إلى ابن عمه ، وإلى رجل بني سعد ، سألهم اللَّمَّة عليَّ وعلى رجال همدان ، تمنعا طريحه ما يطلب من التبل المتقدم عندهم ، فلم تساعده بنو سعد لحماها وبعد مداها إلى ما طلب ، والتزمت بيعتها ، وتمّ ما كنا نأمل بحمد الله ، ولم يتم له مراد لسيء نيته ، وعزَّ علي أن يكون كذلك ، ثم وصل إلي فاستعفى على هدم الدرب بغير يدٍ قدمها ، فأوجبت المسألة وصنت منه ما يصون المرء من قريبه ، فلم ألبث حتى إذا هو يعامل إبراهيم بن محمد المليح في أن يقوم على بني سعد ، ويقوم علي هو بالربيعة ، فمسحت بذلك جنبي ، وأتبعتُ آخر فعلي أوله ، فسلمت للجميع البلد ، فعملوا الكتاب الذي عملوا ، وخرجت فصرت في بلاد خثعم ، فلم يدع البغي أحدا يتم بما فعل.

فلما رأت العرب الفتنة قصدوني بحيث اعتزلت فتعلقوا بي ، فوصلت البلد ، فخرج الشريف أيده الله تعالى في الجيش للمكاسرة ولقاني المكروه ، فأعرضت عن ذلك وتلطفت حتى جرت الأمور على أحسنها ، وكان هو وأهل طاعته في العمل في أمري لا ينؤون عن ذلك ليلا ولا نهارا ، حتى أذن الله في الخروج فستر وكفى ، فلما فاتهم المراد وانقطع الطرق والفساد ، فكان ما كان ، فرددت الرسل وطمعْت بالعافية ، فساعدوا الباغي ، ودافعوا عنه بالباطل ، حتى استدعاني ذلك إلى ما فعلت بهم ، وكل ذلك بأسبابك يا سيدي ، ثم أنت في ذلك ما نقضت عن صوت واحد ، فالله على ذلك المستعان.

وأما القتلى وما ذكرت أنا تركنا منها ولم نطلب به ، فذكرت قتل ترج ووَلَدي سليمان بجبل شاكر قُتِل وصلب ، والقاتل ببلد بني ربيعة فقتلوا بقتيل فهم في حبسي ، والغريب الذي تذكر قتل بأماني فلا أعرفه ، بل الذي قتل بأماني أمرت أنت بقتله أعلى الله أمرك في طاعته ، فلم أستطع تعيين ما هدمت ، فإلى الله المشتكى يا ابن عمي ، ما هذه القطيعة التي لم أحبها منكم ، أتيت وأنتم في الدنيا بُددٌ ، فَجَمَعت ووليت وخدَّمت ، وأردت الصلاح فأبيتم إلا

الفساد ، فلا حيلة لي في القلوب الفاسدة ، ثم لم أتعزَّ مما نالني منكم أجمعين ، إلى الله المشتكى لا إلى أحد سواه ، إن كانت الدنيا لا تهنيكم إلا بأذائي فـ ﴿ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾ [يونس:٧١] ، ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود:٥٦].

وأما ما ذكر سيدي أطال الله عمره في طاعته من قطع أسماء سلفه فسلفه سلفي ، ولم يكن بيني وبينهم حال يوجب ذلك ، إنما قطعت ما يعاب من إكثار الأسماء ، وأجملت ذلك ، والله يقول عز وجل: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [هود:٧٣] ، ولا عتب أن نجمل ما أجمل الله ذكره ، فيجعل الشريف أيده الله تعالى التجني بغير هذا الوجه ، ولا يجعله بدعوى لم تكن.

وأما ما ذكرت من ضرب من ضرب من أصحابه ، فلا أعلم أن بالسوق أصحابا لأهل البيت ، السوقة لمن يملكها إذا أتانا منها الخطأ أُدِّبتْ وأهينت ، وإذا اختاروا أن يكونوا إلى رعاية الشريف فيتجهم ما يوجب فإنه يعذر في ذلك ، والسلام.

[كتابه إلى مخلاف من مخاليف دولته]

بسم الله الرحمن الرحيم

كتبت يا أهل طاعتنا - تول الله رشدكم - هذا الكتاب مسلما عليكم ، ومتعهدا لأحوالكم ، وعاتبا عليكم في عتبكم في غير موضع عتب أستوجبه منكم ، والخطب فيما تذكرون يزيد وينقص ، والآن فهلموا ﴿ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:٦٤] ، واجعلوا أن هذا الخطب أول خطب أُجريه ببيني وبينكم ، ولي حق يلزمكم ، ولكم حق يلزمني ، أما حقي عليكم فالطاعة التي لا تعارضها معصية ، والتصرف بين الأمر والنهي بترك كل لذة ، وأما الذي يلزمني لكم فالحكم فيكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ووضع معاونكم وزكواتكم في مواضعها ، ولا موضع لها في أحدٍ منكم إلا من أعان عليها ، ولا يشتغل عن خدمتها بشيء يصُدُّه عنها ، وقد جرت منكم أحوال بمثلها يسقط عني ما أنا فيه ، ويعذرني الله بذلك منكم ، وأنتم ترون في ذلك أني مسيء بكم وغير قائم بما يجب لكم ، وأنتم تعلمون جميعا إذا رجعتم إلى أنفسكم أنكم غير قائمين لي بواجب يلزمكم في أموالكم وأنفسكم ، أهل الديانات منكم منكرون لمقامي ،

وأهل الدنيا ممن تعلق بي يثقل [(١)] عن التصرف فيما يُقوِّم أَوَدَ الإسلام ، يرون أنهم إذا أخرجوا القليل مما أوجب الله عليهم أنهم قد قاموا بما يلزمهم ، وليسوا مع ذلك بمخرجيه إلا وهم طالبوه ، فهم كما قال الله عز وجل: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة:٥٨].

فهل هذا عندكم مما أوجب لله وسَنَّ رسوله؟ فمن أين تصح السلطنة لمن هو فيكم سلطان؟! وأنتم به كذلك ملتمون ، وعلى معاشكم مقبلون ، وعن دعوة من دعاكم لما يحييكم متثاقلون ، أبينوا لنا وجه العذر فيما أنتم فاعلون ، ولن تجدوا إلى ذلك سبيلا ، والحمد لله رب العالمين.

ولا يزال يبلغني ممن يظن بنفسه الظن السيء أنه يقول: لم يعطنا هذا الرجل ما يجب لنا ، وهو له مخزون في خزائنه ، أجل ما بقي عما أخذتم إلا القليل الخبيث فيما هو بين أظهركم ، لمهمة إن أهمتنا وأهمتكم ، أجل لو كان مرادنا كالذي تظنون بنا لكنا قد نلنا ذلك من غير الوجه الخسيس الذي أسندتم إلينا ، وكفى بالله بيننا وبينكم حكما ، وعلى الجميع منّا مُطّلعا ، والآن فإن كنتم أهل استقامة فأوفوني حق السلطنة وأوفكم حق الخدمة ، وأسير بكم في أرض الله ، واعلموا أنه لا يصلح لنا استقامة الأمر بالمعروف ، إلا بتجرد للكون معي منكم يا كافة أهل طاعتي ، مئتي فارس معدة من أفاضل كل قوم وأخايرهم ، وأهل البيوتات المقدمة فيكم ، تقيم بمقامي حيث أقر ، وتسير

(١) في السيرة: يثقل. وما أثبت اجتهاد.

بمسيري حيث أسير ، ومعها خمس مئة راجل ممن له عزم وهمة ، أجعل جراية كل من صار إليّ من ناحية من النواحي من بلده الذي يخرج إليّ منه ، وإذا أراد إنسان ممن ذكرت الانصراف عن حضرتي لبعض ما يعنيه وجه لبعض من يليه فأقامه مقامه ، وكانت جرايته للذي يخلفه التي كانت تُجرى له ، وتكون هذه الرابطة معي كافية مع من يحل بأرضه ، فإذا ألمت مُلمة في بعض المخاليف سدرت بمن يكون معي ، واستعنا بمن نترل عليه من أهل الطاعة على من يكون منه الخلاف ، ورجوت إذا كان الأمر كذلك أن تستقيم الأمور ، ولا يجري فيما نلي محذور.

وهذا فالوجه الذي لا يستقيم الأمر إلا به ، فإن كان ذلك فها أنا حاضرٌ بين أظهركم ، قريبا غير بعيد منكم ، إن أسعدتموني فيما قد رأيت فيه الصلاح ، وإن لم تسعدوني فيما ذكرت وكانت بينكم كالذي واجهت ونظرت ، فأنتم المقصرون لا أنا ، واللائمة عليكم من كافة الأمة لا عليَّ ، فانظروا في أموركم ثم أوردوا علي ما يكون من عذركم ، فإنكم إن أقمتم في سبيل الله ، ونصبتم لأعداء الله ، كنتم بذلك أحظى ، وكنا في ثواب الله وعز الدنيا معا ، وإن زهدتم في ذلك وملتم إلى الخفض والراحة وإصلاح أموالكم فإنا بذلك أدنى منكم ، فنحن بحمد الله مفضَّلون بمعرفة خير الدنيا والآخرة منكم ، وأخص في جميع الأمور بالهداية.

وقد نعلم أن الأمة لا تجتمع على ضلالة لا بد أن يكون من الناس من يستلزم بعهدي ، فمن كان بالعهد ملتزما فليبد وجهه ، ولا يبقى لغيره ، فإن الله يقول وقوله الحق المبين: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ

حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩] ، ومن الآن حَضَرَ الامتياز فاعلموا ذلك ، فقد ألقيت إلى حامل كتابي هذا ما لا يحتمله الكتاب ، والسلام عليكم أجمعين.

[كتابه إلى العلويين باليمن]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما انتسب ، ونحل [١] عليه الثناء كما وهب ، وصلى الله على سيدنا محمد المنتخب ، من خير بيوتات العرب.

أما بعد: يا أهل بيت النبوة ، وأولى الناس بنبي الرحمة ، فإن لكم منصبا ينوبكم بمن سواكم عن مبلغه ، ويعجز من رام مرتقى سلّمكم عن مطلعه ، فهل أنتم به لما أولاكم الله شاكرون؟! ولما وهب لكم من التفضيل على جميع البرية ذاكرون؟! أجل إني وإياكم لغير مؤدين شكر ما وهب لنا ، ولا بمجاوزين ذروة مجدنا ، بحماية نبدأ فيها بصلاح أنفسنا ، وقد أصبحت أعين البرية إلينا ناظرة ، وآذانهم لما يذكر عنا سامعة ، فأولياؤنا بما نحن عليه مغمومون ، ينظرون خَلَلا باديا ، ويسمعون لنا ذما مؤذيا ، يمنعهم ما يبدو منا عن نصرتنا ، ويكذبهم ما هو ظاهر منا أن يكذبوا بما يذكر عنا ، فإلى الله شكوانا لأنفسنا ، وإليه نجأر من سيء فعلنا ، وإياه نستغفر من موبق ذنوبنا.

وقد علمنا جميعا أيها الذرية ذرية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عداوة أكثر الأمة لنا ، وطعنهم على أولنا وآخرنا ، وللأعداء متعلق على من تعادون ، وافتراء عليهم فيما لا يفعلون ، فكيف بهم وقد جعلنا لهم إلى أنفسنا سبيلا لا يستقيم سالكه إلى محبوبه؟! وفعالا لا يكذب من يحدث به

---

(١) في السيرة: ويجل. وما أثبت اجتهاد.

، فهذه هي المصيبة لا مصيبة غيرها ، ونقول من أجلها ما أمر الله بقوله عند أسهل منها ، وأقل عيبا ومأثما ، ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة:١٥٦] ، على صرعة لا يرتفع منها ، وقبحٍ قالة لا نعذر فيها ، وإني اليوم لا كأحد ممن طعن عليه الأضداد من أئمتنا عليهم السلام ، إذ يقول قائل: أولئك أبياتا كذبوا فيها عليهم ، ولم يكذبوا فيها على فعل من شاركني في هذا الأمر من أهل بيتي ، ففي ذلك يقول:

إذا أتيـــــت باكيـــــا للطـــــالبيين فقـــــل
يـــــا زائــــدين في النـــــدا حـــــي علـــى خـــير العمـــل
وضـــــاربين أمهـــــم بالســـيف في يـــوم الجمـــل
مـــا كـــان مـــنكم قـــائم حـــتى تـــولى فعـــدل
إمــــامكم لــــيس يــــرى وشــــركم يــــأتي جُمــــل

يا أهل بيتي قيل ذلك في قوم لم يكن عندهم مقال ، وإنما المقال اليوم فيمن هو منا وَالٍ على هذه الأمة ، من الآن أمكن المقال ، وصدقه منا سيء الفعال.

وقد دخلتُ اليمن إذ ساقتني إليه ضرورة المدخل بعد طول الأناة عما دخلت فيه ، وعلمي أن المتعلق بالناس غير ناج من فتنتهم ، ولا سالم من معائبهم ، فألفيتُ من به من القرابة في أوسط لجح الفتنة ، والعرب في طرف من ذلك ، فتسببت في صلاحٍ تولى الله تمامه ، وأثبت نظامه ، ولم أجد بُدا من تقليد مقدمي أهل البيت أمور العرب ، فتم بذلك مرادي ، ولم أجد بُدا أن أجريت لكل والٍ من الزكاة ما يُقوِّم أوَدَه ، ويلزمه على من قلده أمره ،

فأنكر ذلك علينا الأولياء دون الأعداء ، وقالوا: أطعم هذا الرجل أهل بيته زكاة العامة وهي محرمة عليهم ، فلم أجبهم في هذا المقال لعلمي منه بمثل ما علموا [(١)] ، وعذرت نفسي في ذلك لحاجتهم وخدمتهم ، فأجريت المحتاج مجرى مَن عَدِمَ الميتة ، وأجريت الخادم مجرى من يجب له في كلفته الإجارة ، ورجوت أن يُقبل زمانهم ببعض ما نأمل ويأملون ، فيكون لهم من المأكل المذموم عوض مما يفيد الله من أرزاقه وأرفاقه ، ثم التزمنا من هذه الزكاة بملتزم يحل من هو عليه بتسليمه ، فالتمسنا استخراجه فعسر علينا إلا بالكشف عما خفي ، والأخذ مما ظهر في أيدي هذه العامة التي قَلّت بصفتها لنا ولأنفسها ، فآل بنا الحال إلى مثل ما آل بالظلمة إليه من قبح القالة ، فأخذنا القليل ممن يجب عليه الكثير ، فلم يقض ذلك للإسلام حاجة ، ولم ننج منه من معتبة ، وقصدنا صاحب المال لواجبنا عليه ، فلم نُصبه وأصبنا من الأواجب لنا عليه من ضعفة المسلمين ، ومن لم يجعل الله عليه واجبا نطلبه منه ولا غيرنا من العالمين.

ثم اعلموا يا أهل بيتي أني لا أجد منكم بدا وأعلم أنكم كذلك ، وكذلك أمة جدنا صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلن يجدوا منا بُدا ولن نجد منهم ، ولو لم يكن ذلك لكنت من بين الأمة كلها في موضع يترك من كان بمثله ، إذ كان ذلك رأس جبل لا يحسد عليه من كان به ، لا يَخشى من أذية من كان فيه ، فلم تذرني الأقارب والأباعد حتى أخرجوني منه فخرجت من

(١) في السيرة: عملوا. وفي الهامش قال: لعله: علموا. أقول: هو الصواب.

الكفاف والعفاف إلى الجفوة والخالف فعاد ، فكان ما حمد مني ذما ، وما رُجي من عدلي جورا ، فكنت بالأمس المفضَّل عليكم جميع [(١)] يا أهل بيتي بالثناء الجميل ، وأنا اليوم المفضل عليكم بالذم وقبح القال والقيل ، فأيكم اليوم الذي يرضى أن أخلع عليه ثوب الذمامة ، وأقلده معاتب الخاصة والعامة ، وأيكم الذي يُسعدني في إماطة ما به شهدت ، مما لم أكن به عرفت ، فمثلكم أسعد علي ما يوجب حسن القالة ، ويبعد عن العنت والضلالة ، فأما أنا فرجل شد من عزمي أحد رأيين لا معدل بي ولا بكم عن أحدهما:

إما رجل تركت هذا الأمر ، ونزعت نفسي منه ، واستغفرت الله فيما فرطت فيه من مدخلي فيما دخلت فيه ، بلا جزم وعزم أضع له الأشياء في مواضعها ، وأجريها على سننها ، وأنفرد برأيها ، وهو يعلم مني عز وجل أني لم آت ذلك اختيارا.

وإن لم يتركني العرب ، والتزمت مني لصلاح ذات بينها ، كنتم عما أنتم عليه اليوم بمعزل تكون أيدينا فيه واحدة في الشر إن أَلَمَّ بنا ، وفي الخير إن ساقه الله إلينا ، ونكون فيما يبقى عن جنودنا من سُحت هذه الزكوات المحرمة علينا بالسوية من دفعته الحاجة إلى ذلك منا ، اللهم إلا أن يرغبوا في خدمة الإسلام والقيام مع من يقوم فيه من الأنام ، فأجري [(٢)] لكل رجل كانت في يده ولاية بلد وأطعمه في بلد ما يكفيه وعولته ، ويترعون أيديهم من

---

(١) كذا في السيرة.

(٢) في السيرة: فأجرى. وما أثبت اجتهاد.

المخاصمة والمقاسمة والولاية إلا من الأمر احتجت إلى ذلك منه ، فتكون خدمته في ذلك بتولي صلاح ما يكلف ، يأخذ ما يرسم له ، ولا يدخل في شيء مما لم يؤمر به ، ولا يعتد رجل منكم فيما يعود بأكثر من أهله وولده وخادم منزله ، ومن يخدمه في نفسه ممن لا غنى له عنه.

وهذه المخاليف فقد تكفينا فيها من كل بلد صاحب شرطة يتولى آداب من تعدى ، ونحن وأشياعنا من العرب فروراً ، أولئك نكفيهم ما عجزوا عن كفايته ، ونتولى آداب من ضعفوا عن أدبه.

وإن لم يرغبوا في شيء مما ذكرت ، فاعلموا أني وإياكم نفترق ولا نجتمع ، إما باعتزال مني وترككم تدبرون من أمركم ما صلح لكم ، ولا أسألكم في ذلك عطاء ولا تكليفا ، وإما باعتزالي ومعونتي على ذلك لكم ، فمن أوجب لي منكم ما شرطت وسألت ، ووافقه المدخل معي من قريب أو بعيد ، فليكتب بخطه على ظهر كتابي اسمه ، وليبين لي نفسه ، ومن لم يحب المدخل معي ويقنع بما قد ذكرت في كتابي ، فليضم يده عني ، ولا يوقع له اسما في كتابي ، والله يختار ما كان لنا فيه الخيرة ، ويمد لنا بالمعونة ، ويجمع كلمتنا على ما يحب ويرضى ، وقرأت عليكم السلام كثيرا طيبا.

[ومن كتابه إلى الأمير عبد الله بن محمد بن المختار]

بسم الله الرحمن الرحيم

قرأته يا سيدي جعلني الله فداك ، وأنت تعلم أن انتقاصي حقي مما يقبض أخيِّر من انتقاصي عرضي ، وإذا تدنس عرضي أخرج ذلك مني الدنيا والآخرة ، فأما بنو عمي فوددت أن لهم خير الدنيا مقرونا بنعيم الآخرة ، وهؤلاء الحاج الأولون قبل هؤلاء قد ثوروا بما يسود وجهي وردوا بذلك كتبهم إلى المخاليف جميعا ، وكتاب الزيدي قد جعلته طي كتابي لتقف منه على المعنى ، وتوقف عليه بني عمي ، وتلزم الكتاب بيدك ، وهذا الكتاب الذي وجهت به إلى الجماعة بعد كتاب الزيدي بما أنت تقف عليه ، إن كان أهل بيتي أهل مناصرة في طاعة الله ، وآسيتهم بنفسي وآسيت أهلهم بأهلي وأولادهم بأولادي ، ولم يكن علي لهم غير ذلك ، وإن كانوا يريدون ما وهن سلطاني بقضاء حوائجهم لم أفعل ذلك الأمر [إلا] بعد ألا يعود لي في البلد أمر ولا نهي ، فإذا كان ذلك قامت معذرتي عند الله وعند الناس.

إن الواجب علينا لو كنا أهل إيمان إقامة عزنا ببذل أنفسنا وأموالنا ، والله يختار ما فيه الخيرة لنا بمنه وطوله ، وقد كتبت مع ابن أبي رمادة بإطلاق الناس فيُطلَقون ، إلا أن يكون أمري غير نافذ فتعرفني بذلك يا سيدي ، وهذا الحاج

فلا تجبي [١] منه درهما واحدا فما فوقه ، ولو كان ما يحملنَّ الدر والياقوت ، وفي الله الخلف من الدنيا بأسرها ، فما بال ما لا مقدار له منها ، والسلام.

(١) في السيرة: يجبي. ولعل الصواب ما أثبت.

[كتابه إلى أهل الطاعة]

ثم كتب كتابا أنشأه لأهل الطاعة عند هذا الحدث من عدو الله الدخامس ، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد:

يا أهل طاعتنا فإنا وإياكم قد جمعنا العهدُ الأكيد ، على طاعة الله الواحد المجيد ، والله يقول وقوله الحق: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء:٣٤] ، ويقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ ﴾ [المائدة:١] ، ويقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المؤمنون:٨ ، المعارج:٣٢] ، آي كثيرة لا نأتي لها على عدة في كتاب الله ، كل ذلك يحض البرية فيه على الوفاء بعهودهم ، ويمدح في كتابه من وفا بالعهد منهم.

ألا واعلموا جميعا يا أهل الطاعة أنه لم يأت أحد ممن بايعنا عذرا ظاهرا ، وينقض عهده نقضا متواترا ، إلا الدخامس الفاسق ، فلعنة الله عليه وعلى شركائه في غدره وسوء فعله ، تعلمون رعاكم الله جميعا أنه بلغني أن عُمالي بوادي نجران صاروا إليه في خمسين رجلا لخرص ما قبلَه من الواجب ، فقدمهم إلى مترله ، وأوطأهم لفراشه ، وأطعمهم من معاشه ، ثم دعا بأهل

بيته من بني خيثمة اللُّعناء السفهاء فقتلوا العامل إسماعيل بن رزين ورجلا وائليا ، وخرَّجوا أكثر الجماعة وقبضوا أسلحتهم ، وأن ذلك لما بلغ أكثر أهل الوادي من بني الحارث وهمدان استعظموا الأمر ، فالتقوا وجددوا العهود بينهم على الاستقامة في طاعتنا والثبات على بيعتنا ، ونهضوا حتى وصلوا إلى النجس الغوي ، فتحصَّن منهم في حصنه ، وبهذا أتاني كتاب إبراهيم بن محمد بن المختار.

ثم إن من الواجب علينا وعليكم ما فرض الله فيمن فعل فِعْلَ هذا الغادر ، قال الله سبحانه آمرا بذلك من أطاع أمره: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة:١٣] ، فرحم الله عبدا ورحم والديه اتبع أمر الله ، فلم يأمر عباده بالقتل والقتال لأولي الضلال إلا لمصالح يشملهم نفعها في عاجل الدنيا ، ويثابون بها في الآخرة التي لا تفنى ، قال عز وجل: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد:٧] ، والله صادق وعده ورسله ولا خلف لوعده.

وقد نعلم يا أهل طاعتنا أننا قد ندعوكم من القيام في سبيل الله على أمر يثقل عليكم ، وهو - يعلم الله - أشق فروضه عليكم ، وأحمده عاقبة لكم في العاجل والآجل. قال الله عز وجل: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ

وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة:٢١٦] ، صدق الله العظيم وبلغت رسله الكرام.

أجل لقد نجد في طلب الراحة من المضار ما لا نجده في العز والامتناع والصبر على محبة القتال ، فالله الله عباد الله قوموا في سبيل الله ، وانفروا إلى من أراد بكم الفتنة ، وبغى لكم الفرقة ، فما بعد ما جرى من معذرة في ترك فنترك ، ولا في حلم فنحلم ، ولا في صبر فنصبر ، والله يقول وقوله الحق: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الشورى:٣٩] ، وكونوا رحمكم الله من المنتصرين ، وادخلوا في مدحة رب العالمين ، تكونوا عنده بذلك من الفائزين ، فقد بغى لكم هذا الغوي الفاسق الفرقة ، وباع دينه وعهده وعرضه بأخبث المآكل الدنيئة ، وإن أراد بذلك صدكم عن المطلب الذي أنتم بالغوه من غزاة أخويه العبدين الفاجرين بحول الله وقوته ، فمن كان منكم راغبا فيما رغّب الله فيه البرية من بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله فليقم في هيئة سفره ، وليتزود لنصف شهر ، وليكن مصيره إلى ليلة الهلال هلال ذي الحجة ففيها تنصرون ، وعلى جميع أعدائكم تؤيدون ، وفي الغزاة في شهر ذي الحجة من الأجر [1] أفضل ما فيها من الحج والسبيل الأعظم ، فهو السبيل الذي ندبنا الله إليه ، وأمرنا فيه ببذل الأموال والأنفس ، فقال: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ

---

(١) في السيرة: الأجل. ولعل الصواب ما أثبت.

سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة:٢٦١] ، وقال وقوله الحق:﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ ﴾ [النساء:٩٥ - ٩٦].

فرحم الله عبدا اغتنم ما وعد الله من التفضيل ، فهنا الفضل والتفضيل ، لا ما يَفضُل به أهل الدنيا بعضهم بعضا ، وقد كنت ندبت من العسكر المنصور فيما بين صنعاء والجراف مائتي فارس معدة ، ليكونوا يحضرون على الدوام ، ويتناوب أهل الطاعة المقام ، وقضاء حوائجهم بالكفاية والرزق ، ورجوت أن يكون في ذلك عز الإسلام مهيبة وهيبة لمن لا تؤمن بوائقه من الأنام ، وخشيت أن يجري الذي جرى والبرية لا يتقون الله ولا من يرون معه ضعفا ، ولا يتقون إلا ما رهبوا ، قال الله عز وجل: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾ [الأنفال:٦٠] ، فلا تنقص البدنة الآخرة البدنة الأولة ، وعليكم يا جميع المسلمين بالعزم القوي على جهاد الناكثين ، والاستعداد والمرابطة للمارقين ، قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران:٢٠٠] ، والسلام عليكم جميعا ورحمة الله وبركاته.

[كتابه إلى أهل البيعة في أقطار اليمن]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده لاستحقاق محامده ، ونجل [1] عليه الثناء السني مجده ، وشكرا أياديه لترادف جوده ، ونشهد أن لا إله إلا الله اعترافا بربوبيته ، وتصديقا برسالته وإيمانا بأنبيائه وملائكته ، الذي جل وعلا عن درك البرية ، وعز وتفرد بالأسماء الزكية ، وتنزه ونأى عن الأفعال الدنية ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله خاتم النبيين ، وأمين رب العالمين ، وبشير المؤمنين ، أنزل الله ذكره قبل كونه على الأنبياء ، وتُنوسخ اسمه في الصحف الأولى ، وبقيت نذارته وبشارته لأهل الدنيا ، فصلوات الله عليه وعلى آله وسلم صلاة باقية إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين.

أما بعد يا أهل خلتنا ، ومن يقول في الله كقولنا ، ويرعى أمره ونهيه كرعايتنا ، فإن أولى ما سُمع فاتُبع كلام الله ، وما نزل من الحق على رسوله. قال الله المخبر عن كتابه: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ

(١) في السيرة: ونخل. والصواب ما أثبت.

رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء:١٠٥-١٠٩] ، فكونوا رحمكم الله بهذه الصفة ، تنالوا بذلك درجة أهل الدين والمعرفة.

ألا وقد جَمَعَنا وإياكم من طاعة الله ربنا ، والقيام في سبيل خالقنا ، ما جمع الصالحين من قبلنا ، فاقفوا بنا آثار أولئك نَنَلْ ما نالوا من ثواب ربنا ، ويبقى لنا من الذكر الجميل ما بقي لأولئك منا.

ولكل عصر قائم يظاهره عليه أخاير أهل عصره ، ويوالونه عليه من دون أهل دهره ، قال الله وقوله الحق: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [آل عمران:٦٨] ، وقال معرفا بما خص به نبيه من معرفة الحكم بين من بعث إليه من أهل عصره: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥] ، ألا وقد أصبحت وأمسيت القائم [١] فيكم ، والحاكم بحكم الله بينكم ، والمفقّه لكم في أديانكم ، والمتولي لصلاح ذات بينكم ، وقد اتبعتموني غير مُكرهين ، وآمنتم بمقامي غير مجبورين ، وتلقدتم [٢] ببيعتي غير مقصرين ، فقلَّ من التزم بما يجب عليه ، أو أحاط بما دخل فيه ، أو سارع فيما دعي إليه

---

(١) في السيرة: والقائم. والصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: وبلقدتم. والصواب ما أثبت.

، كأن لم تسمعوا لقول الله تعالى في أهل البيعة ، إذ يقول عز من قائل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الفتح:١٠].

ولقد نكث منك يا أهل بيعتي بشرٌ كثير ، فممن نكث وهم الأكثرون قوم أطاعوني الأمر ، وقوم أسرُّوا الغدر فأظهروا فعلهم الشر ، وقوم أجنوا بالجنايات ، وثقل عليهم أداء الزكوات ، فما معذرة قوم نكثوا أيمانهم فيما خبثوا عليه في وطء من طلق من زوجاتهم؟! وعتق من عتق من عبيدهم وإمائهم ، وسلب من أموالهم ، كي يعرف عذرهم [1] مِن قِبَل استباحة ما قد عاد لله من الأموال ، وصرف من عتق عن الرق والأعمال ، وإخراج النسوان ممن حرمن عليه بالحنث وسيء الفعال؟!

أجل لا معذرة لمن عصى الله في أمره ، واستحل المحارم بكفره ، وأظهر للبرية ما كان مكتوما من سره ، أجل لقد هلك وأهلك من أتى غير ما عاهد الله عليه جهرا ، وأصبح وأمسى خائنا قد أتى غدرا ، وبالله قسما أصدق فيه ، ولا يعلم الله مني حنثا عليه ، لولا أن الظن أن هذه البرية أتوا ما جهلوا ، و لم يعلموا ما فعلوا ، وأن من البرية من لا معذرة لنا في تركه ، من قبل إبلاء المعذرة في أمره ، لنزعت يدي من أيديهم ، ولكان لي في ذلك العذر في ترك ما يجب عليهم ، لكنه لا بد من تمام الحجة والإبلاغ فيما يجب عليَّ لله ،

(١) في السيرة: غدرهم. ولعل الصواب ما أثبت.

ولولا كثرة من عرفناه بما ذكرنا على الإخفاء لأسميناهم بأسمائهم ، ولولا ما لا تخلو البلدان منه من أوليائنا لأسميناهم ببلدانهم.

ألا وقد جعلت الله بيني وبينكم يا أهل بيعتي حَكَما وشهيدا يوم نصير (١) إليه ، وتجتمع البرية لديه ، يوم ﴿ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٨١] ، أي أهل البيعة إنه لولا أن تكون الحجة لكم علي ، والمعذرة إلى أهل الدنيا لي ، لفارقتكم من قبل أن تفارقوني ، ولتركتكم من قبل أن تتركوني ، وعلمت أن الله ينتصر لنفسه كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم:٤٧] ، وقال سبحانه: ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب:١٦] ، ولقد ابتلى الله البرية ليميز أهل الطاعة من أهل المعصية ، فلم توجد الطاعة من كل أهل عصر إلا في أقلّهم ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ الم ۝ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:١ - ٣] ، فالبلوى رحمكم الله تنقد أهل الدنيا جميعا وتميز بينهم وبين كل امرئ منهم ، حتى يعرف بذاته ويستدل عليه

(١) في السيرة: تصير. ولعل الصواب ما أثبت.

بفعله ، وقد نرجو أن يكون فيكم أمة تثبت الدين ، وتحجبكم عن عذاب رب العالمين ، وليس تلك البقية من المكذبين ولا من الخاذلين ، ولا من الأشحاء المكذبين الأرذلين.

ثم اعلموا يا أهل بيعتنا أنا ألفينا منكم أحوالا لا تمام للأمر معها ، شحة بأداء واجباتكم ، و لم يرض الله ذلك لكم ، بل سمى الله من غل زكاته بأخبث الأسماء ، ووصفه بأشر الصفات للبرايا ، فقال وقوله الحق: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت:٦ - ٧] ، والصيانة مما سوى الزكاة من أموالكم عن الإنفاق في سبيل الله ، ﴿ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ﴾ [البقرة:٢٦٢] ، والرغبة من بعض الولاة والسعاة في أكل ما يقع بأيديهم من هذه الزكوات ، ومطامع قد كثرت في جميع العشائر بالجرايات ، وظهور من الفساد والمنكرات ، وليس مع هذه الأحوال تمام لما دخل به بعضنا مع بعض.

أما الزكاة فإذا غلّها قوم وجب جهادهم ، وكانوا في ذلك كمسيلمة الكذاب على زكاته في ولاية أبي بكر فأشار عليه عليٌّ بجهاده ، وقال: إذا تركته منعت هوازن الزكاة وكانوا أعز منه ، وإذا تركها هؤلاء تركها سائر

من دخل في الإسلام ، ثم تركوا الصلاة وجميع [١] ما فرض عليهم ، ثم ارتدوا جميعا فهذا وجهٌ.

وأما الإنفاق في سبيل الله فإذا ظن به الناس ، و لم يخرجوا في سبيل الله إلا بالعطاء ، فارق أهل العطاء عند عدم العطاء من يقوم بهم ، فلم يبق بالحق قائم سواهم ، وأدى ذلك إلى عطلة الإسلام.

وأما خونة الولاة والسعاة فإذا نظر الناس خيانتهم لم يسمحوا بأموالهم ، و لم يحسنوا الظن بمن ولاهم.

وأما من يطمع بالجرايات من العشائر فذلك مال مما لا يدرك ، ولو أن الأرض بأسرها جُبيت لهم لآل أهل الدنيا أكثر من جباهم ، لا سيما والكل من الرعية غير مقتصر من ذلك على كفايته ، ولا مفردين به من يتخلى للخدمة.

وأما المنكر والفساد فظهر ، وظهوره لتخاذل الولاة ، وخذلان أهل العدل لهم ، فلو قد علم أهل الفساد أن واليا إذا استنجد واليا أنجده ، فإن الوالي إذا قام برعيته قامت معه ، لَمَا ظهر ما ظهر من المنكر والفساد ، ولَمَا أظهر أهل النكث ما أظهروا من العناد ، لكن قد علم الله قِلّة رغبة هذه الأمة الضالة في الخير فرفعه عنهم ، ومحبتهم للقبيح فلم يزله عنهم.

وبعد يا أهل بيعتنا فلم تكفروا كلكم ، و لم تنكثوا بأجمعكم ، ولا بد أن سيكون فيكم من يلتزم بعهدنا ، ويقوم بذمته كقيامنا ، وقد بايعتكم جميعا

---

(١) في السيرة: وجمع. والصواب ما أثبت.

على كتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وفيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاعتوان عليهما ، والله يقول آمرا بذلك: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة:٢] ، هذه الآية لي عليكم.

وفي كتابه يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) ﴾ [التوبة:٣٨ - ٣٩] ، هذه الآية لي عليكم في كتاب الله.

وقال في مثل ما أنتم تطلبون من هذه الزكوات: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [التوبة:٦٠] ، وهذه في كتاب الله لي عليكم ، فإن كنتم مؤلفة فسهمكم لا يقوم مما طلبتم مني ، وفي الخبر المشهور: أن الذي قسم رسول الله لهم وتألفهم سبعة عشر رجلا من قريش والعرب ، وكلهم كان يقود جيشا كبيرا [1].

---

(١) في السيرة: كثيرا. ولعل الصواب ما أثبت.

والعشائر اليوم كلهم تقول: إنهم مؤلفة ، وليس لكثير منهم تابع ، وإن كنتم تطلبون السهم الذي في سبيل الله ، فذلك لمن قام في سبيل الله لا لمن قعد ، وإن كنتم تطلبون ما قسم الله للفقراء والمساكين والغارمين وابن السبيل وفي الرقاب فليس ذلك لكم ، فمن أين تمت بيعة من يبايعني على كتاب الله وسنة نبيه؟! ثم طلبي غير ما في كتابه وسنة نبيه؟! أهذا عندكم وافٍ بعهده أو مضيع [1] له؟!

فاتقوا الله أيها العرب الكرام ، وارجعوا عما أنتم عليه واستغفروه من خلاف ما أوجبتم على أنفسكم ، ولا تماروا في العناء فتضلوا عن سبيل ربكم.

واعلموا أن الله لم يعذركم عن القيام في سبيله بأموالكم وأنفسكم ، وإنما عذر منكم من لا استطاعة له ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ...﴾ [التوبة:٩١-٩٣] الآية ، وهذا كتاب الله بيني وبينكم ، حكمه علينا

---

(١) في السيرة: ومضيع. ولعل الصواب ما أثبت.

فما أوجب لكم عليّ قمت به ، وإن لم أقم بما حكم عليّ فأخرجوني من هذا الأمر ، فأنا واحد لا أرتد إلى عشيرة تتبعني فيما تكرهون ، وإن لم تقوموا بما حكم الكتاب عليكم قاتلت من لم يتحكم بمن احتكم حتى يفيء إلى أمر الله ، إلا أن لا يتحكم الخلق أجمعون ، فيكون لنا بذلك المعذرة ، ولا يلزمنا إلا فرض العزلة.

وكتابي هذا إلى كافة أهل بيعتي من أقطار اليمن ، وقد أمرت من كان ملتزما بالأمر منهم أن يحفظوا [1] ولاتي ، وأن يأخذوا على أيدي سُعاتي ، وأن ينفذوا أمر من يتصرف بأمري ، فيما يجري على يدي ، فقد عزمت على صرف الواجبات كلها ما جعلها الله فيه مفرقة ، لا أرزق منها أحدا درهما إلا على تخليته للخدمة في سبيل الله ، فمن يصل لذلك وصار إليّ أجريت له في كل شهر من هذه الصدقة ما يقع به الإنفاق بيننا وبينه ، ومن أراد غير ذلك منا منعناه منه ما وجدنا إلى منعه سبيلا.

وقد صَرَفت وجهي لتحصيل أهل بيعتي ، ومن يتقرب إلى الله في القيام معي في سبيله ، وجعلت لأهل الطاعة فسحةً يستعدون فيها على النصف من شهر ذي الحجة ، فإذا حضر نصف الشهر فليَصِل إليّ من كان قائما بعهده ، وافيا بعقده ، طالبا لما عند خالقه ، من والٍ أو مولى عليه ، فإذا صار إليّ أولئك وعرفت الذي قام ليرتزق في قيامه ، أجريت عليه بعد حُصُوله عندي ونصوله في خدمتي ما يجب له حتى يفارقني ، ووصلت يد من قام بماله إذا

(١) في السيرة: يحنطوا. ولعل الصواب ما أثبت.

قصرت به نفقته وهو معي ، وليس أسير هذه السيرة لمن اكتتب رزقا معي ، ولا لمن يطمع أن يجريه ذلك المجرى ، فليعلم بذلك من بايعه على الكتاب والسنة ، ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ ﴾ [الفتح:١٠].

ومن يصل للقيام معي وسار بتلك النية لي ، فليعلم أني غير تاركه لرجعة حتى يصلح ما يريد الله صلاحه ، وينفتح لنا من البلدان ما نرجو افتتاحه ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، وقد كتبت كتابي هذا وأنا في أثر كتاب رسولي لاقتضاء الجواب ، وأرجو بالخيرة من رب العالمين ، ووجهته بيد الحسين بن أحمد بن يعقوب ، وأمرته باقتضاء جواب من قُرِيَ عليه بما يوجب من نفسه ، ومعرفة من كرهه وخالف حكم الله من أهل بيعتي. وكتب القاسم بن علي بخطه.

[كتابه إلى الناس يسألهم النفير للجهاد]

بسم الله الرحمن الرحيم

قد يا إخوتنا – أسأل الله حفظكم ، ودفع السوء عنكم – أكثرنا مكاتبتكم في الاستنهاض في سبيل ربكم ، وما نخير خير الدنيا والآخرة عليكم [1] ، ونراكم ثقالا عما نرجو فيه الصلاح لنا ولكم ، ثم قد أتانا هذا الفتق ولو كان من غير سلطان لسهّلنا في الأمر ، وإن كان التسهيل في هذه الحوادث لغُير صواب ، وقد قامت الفتنة وامتاز الناس ، وهذه حال فيه قوام جاءه من

---

(١) في السيرة: عليك. ولعل الصواب ما أثبت.

خرق هذا الخرق وانتظار مثله ، فلم يعمل مع هؤلاء إلا وقد عمل مع غيرهم كالذي عمل معهم ، وقد رأيت مبادرة هذا الأمر قبل تولده ، وتشعُّب الفتنة فيه ، وداروا [1] ما لم تكلفوه من المشورة بالأناة حتى لا أناة ، وأسعدوا من قد قلدتموه أموركم فليس بغي فيما يصلحكم ، واذكروا قول ربكم إذ يقول عز من قائل: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ ﴾ [الحجرات:٧] ، وهذه لما بعدها والخاتمة لأمثالها.

فمن كان منكم لي طاعة في طاعة الله ، فيكون مخرجه في يوم خامس في شهر ذي الحجة وهو يوم الخميس ، وليأخذ من زاده ما طف ، ويترك التضرع لما هو حاصل في يده ، وذروا مظاهات العيد ، فعيدكم في بلدان أعداء الله أفضل من عيدكم في منازلكم ، العجل العجل ، فقد استعجلنا مَن قد قام نحو بيعتنا ، وأنشب الحرب من غدر بِنَا ، وفي بيعتكم ألا تعصوا لي أمرا ، ولا تثقلوا عني في دعوة ، فالله الله في أنفسكم أن تهلكوها ، فبالله لئن تأخرتم عن هذه الندبة ، وتلافي هذه المحنة ، لأرجعن إلى الله منكم ، ولأجعلنه الحاكم لي عليكم ، والشاهد بيني وبينكم ، اللهم مَن عَوَّق مجيبي دعوتي وخذلني ، وخذل أهل طاعتي ، فاخذله وعوِّق عنه منافع الدنيا والآخرة ، إنك مجيب الدعاء.

ومع توصله كتب بما أوجب ذلك ، وقد كنت كتبت كتابا قبل هذا ، وتابعنا مرادكم في الاقتراب والمهلة ، حتى أتت هذه الكتب الآخرة ، وقد

---

(١) في السيرة وذروا. ولعل الصواب ما أثبت.

كنت أحسست هذا الأمر فطلبت إليكم ما طلبت كيلا يكون ما كان ، وهذا فآخر كتاب ترونه مني في مثل ما سألت ، ولا يلتفتن أحدٌ منكم لهذا الطمع الذي في أيديكم ، فمنه ما يلحقكم ، ومنه ما يكتب به لمن يصل منكم ، ومنه ما يرحل لمن ينوبكم ، اللهم فاشهد أني لا أملك إلا نفسي ، وهي هبة لك وفي سبيلك ، حتى لا أجد مساعدا يلزم به أداء فرضك ، والسلام والحمد لله ، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليما كثيرا.

[كتابه إلى كافة ولاته باليمن]

بسم الله الرحمن الرحيم

قد يا إخوتي وسَادَتي - جعلني الله فداكم - أكثرت على هذه العشيرة ترداد الكتب ، حتى يعلم الله لقد سمجت نفسي عندي ، وقلّت وزهدت ، وطمعتُ منهم بأدنى حركة ولو قلّت فلم يفعلوا ، ثم طمعت بقوة تصون الدولة فلم يتم ذلك ، ثم جاء هذا الحدث فاستهممتهم فثقلوا ، وقد علموا جميعا وعلمنا أن مبدأه من عندي غير ، وأنه لم يعمل هذا العمل مع هذا النحس ومن ساعده وحده ، بل لا أشك أن له أعمالا كثيرة قد علمنا بمواضع منها ، ثم التزم برجال من بني الحارث ، ورجال من همدان بعهودهم ، وتاجروا أهل الغدر والحرب ، وأرسلوا يطلبونني المعونة والنصرة ، فرسلهم عندي كل يوم متبعة ، وقد بعثت إلى هذه العشيرة التي وكلتني العشائر إليها ، أستنجد منهم عصابة أسير فيها ، فإن يكن فيهم لذلك صيَّرتموهم إليّ وثبتم مكانكم ، وإن لم تروا إلى يوم موعدي منهم أحدا قائما ولا راغبا ، فانصرفوا حتى يصلوا إليّ ، وبذلك أمرت جميع الولاة ، ولم يفرض الله علينا أكثر من بذل أنفسنا ، فإذا عُصينا فلم نجد مساعدا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يكلفنا الله ما لم نستطع.

والله يا بني جدي ما زالت العشائر على أجود استقامة ، حتى طلعت البون [١] فكان مطلعي ذلك بهلاك الأرض وأهلها ، وخبرت العشائر كلها بظنهم أنني آثرتُ بالعطاء أهل البون و لم ينالوا خيرا ، ثم قد وكلوني إليهم ، فهذا من النقلة والإعراض ما لم أكن أقدر ، وما يدخل المضرة في ذلك إلا عليهم لا عليَّ ، ولقد بلغني أمر لهذا العبد [٢] معهم معاملة مع مقدمتهم أن يثقلوا بالناس ، فما صدقت بذلك حتى الآن ، فقد رأيت ما حقق لي هذا الخبر ، فأسأل الله مَن فعل ذلك أن يثيبه الذل والفتنة ، والحرب والمحنة ، وأن يهلكه هلاكا عاجلا ، إنه على كل شيء قدير ، وبكل شيء بصير.

فأنا أنشدكم بالله وبقرابة رسوله ، وبحق أبويكم من علي وفاطمة أن تقيموا ساعة واحدة بعد بيان المعصية ، أو تأخر من يخرج في هذه الندبة: ربنا عليك توكلنا ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ [الأعراف:٨٩] ، ومن اعتذر بي في مخرجه يطلب رزقه ، فعرِّفوهم أن الذين يطلبون من أسباب الفساد في الأرض ، وأنه لا رزق عندي إلا لمن سار مسيري وصابر ورابط ، فذلك الذي يرزقه ما فتح الله به عليّ وعليه ، وإن لم يفتح الله فتحا ننال منه نفعا فما عند الله خير وأبقى ، وحسبي الله وكفى ، وظني بربي خير ظن.

---

(١) البون: منطقة شمال صنعاء.

(٢) في السيرة: للعبد. ولعل الصواب ما أثبت.

واحذروا يا بني عمي أن يخدع أحد منكم نفسه أو يخدع غيره ، فيقول له قائل: أبيت فنحن لك ، وأصلح أحوالنا ، ونحن نجعل لك حبانا ، فوالله لا تم ذلك لأحد خرج من غير أمري ، إلا بفراق الدنيا والدين ، وليلتبس بفتنة لا يتخلص منها أبدا ، وقد أعذر من أنذر ، وقد أمرت موصل كتبي أن يقبض جوابها ، ويعرفكم بما لم أُحمِّله الكتاب ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ، عليه توكلت وإليه المصير ، ومن خرج من رعية أحد منكم أمروا إليهم بحمل ما يحتاجون إليه في سفرهم على آثارهم ، ولا آمن أن يعترض بعض العصاة في ذلك ، فإن كان ذلك فلا تأخروا عمن يخرج ، وذروا ما تعترضون دونه لهم ، فإنه فتنة لهم ومتاع إلى حين ، ولن يُعدم الله من قصدنا رزقَه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[كتابه إلى جميع أهل الطاعة]

بسم الله الرحمن الرحيم

تعلمون يا جميع أهل الطاعة – رعاكم الله – أني قد شدَّت مني العزيمة على المسير إلى من نكث بيعتي ، وخرق في دولتي ، عاشر العيد ، وأني لا أعذر عن الخروج منكم أحدا ، وقد أطلقت للجميع نصف رُسُومهم ، وأوجبت على جميعهم الخروج ، فمن يصل لخدمتي وتَبَاعد من معصيتي ، وخرج في هذا المخرج معي ، أصححت له جميع رزقه ، وزِدته عليه ما قدرت ، وأي مخلاف ما فتحت به جعلت له فيه رزقا يجري له ، ومن تخلَّف في هذا المخرج لم أعتمل به ، ولم أعتمد عليه ، ولم أطلق له رزقا يطلبه مني ، فامتثلوا ذلك يا جميع أهل الطاعة ، فذلك مرادي فيكم ، ونيتي في تصريف أحوالكم ، والسلام.

قال الحسين بن أحمد [مؤلف السيرة]: ثم إن الإمام عليه السلام لما بلَغه قلة من ينهض معه لموعده ، وما تناهى إليه من تثبيط الشيع وكبار الجند للناس ، كتب كتابا وأمرني به يوم الجمعة أن أقرأه يوم السبت ثاني ذلك اليوم في الأسواق الأخطوب في أعلا البون ، في سوق كان يجمع أكبر الجند ، نسخة ذلك الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

قد وجهت بكتابي هذا صاحبي الحسين بن أحمد بن يعقوب يقرأه في سوق الأخطوب ، وسوق ريدة ، وما بين ذلك ، إلى كافة أهل طاعتنا ومن

أنفا بالطاعة من أعدائنا ، سلام عليكما ، فإنا نحمد الله إليكم كثيرا ، ونسأله أن يصلي على سيدنا محمد وآله من سلفنا.

أما بعد: فإنه لم يقتصر عنا علم ما أنتم عليه من جميل نشكره من يعرض له ، وسيء يكافئ الله عليه أهله ، فليستقم المحسن على سبيله ، وليجتهد المسيء في غيه ، فإنه لا يغلب أمر الله ، ولا يقدر على تثبيط [(١)] أوليائه ، أيها الناس قد بلغنا كسر أعدائنا علينا ، وإبداؤهم المكروه لنا ، وصدهم عن طاعتنا ، ونهيهم الناس عن اتباعنا ، وتأويلهم في واجباتنا ، وقولهم بغير علم فينا ، اللهم فالعنهم بما ظلموا ، وأذقهم ثواب ما عملوا ، والعن اللهم من أمروه فأطاعهم ، أو سمع صدهم فلم يناكرهم ، اللهم إني أشكو إليك من أبداني للظالمين ، وخذلني عن سبيل المؤمنين.

وقد نعلم بأيقن اليقين أن أولياءهم أولياء الله ، ما تأخذهم في الله ولا فينا لومة لائم ، وليس أولئك ممن يلوهم الشياطين ، ولا يصدهم عن رشدهم المثبطون ، فإذا رأوا أولئك ولاتنا قد أقبلوا لإجابة دعوتنا ، فليتصلوا بهم وليصلوا حبالهم بحبلهم ، فأولئك حزب الله وهم الغالبون ، كما وعدهم الله إذ يقول عز من قائل: ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة:٢٢] ، ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات:١٧٣] ، ويقول وقوله الحق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد:٧].

---

(١) في السيرة: تثبت. ولعل الصواب ما أثبت.

فأقبلوا لموعد من لا يخلف وعيده ، ولا يظلم عبيده ، وإياكم أن تقاللوا [(١)] أنفسكم فليس بقليل من كان الله معه ، والله تعالى يقول وقوله الحق: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٤٩] ، ويقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨] ، فأبشروا بصدق وعد الله ، وأقبلوا لموعدنا على بركة الله ، ففي ذلك إرغام من قد بان لنا نفاقه ، وظهر لكافة البرية عصيانه وشقاقه ، من مُتَسَمٍّ بالشيع وليس له باسم ، وناقض عهده يعقبه الله في إخلاف وعده ونكث عهده نفاقا إلى يوم القيامة ، كما قال عز من قائل: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة:٧٧] ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء:٢٢٧].

ألا ثمّ ليعلم من قُرئ عليه كتابي هذا أني لا أتعلق إلا بمن تعلق بي ، ولا أناصر إلا من ناصرني ، ولا أنفق مال الله إلا لمن سعى في سبيل الله معي ، فمن رام غير ذلك لم أوصله مُراده ، وألزمت نفسي وكافة المسلمين جهاده ، كما أمر الله بذلك في المنافقين ، إذ يقول أصدق الصادقين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ

---

(١) في السيرة: تقاتلوا. ولعل الصواب ما أثبت.

﴿...﴾ [التوبة:٧٣ ، التحريم:٩] ، وقد أعذر من أنذر ، فمن بان لي طاعته فليكن كالمطيعين ، ومن كان وافى العهد فليكن كالمعاهدين ، فإن الله يقول وقوله الحق: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء:٣٤] ، والسلام على كافة المسلمين ، والحمد لله رب العالمين.

[كتابه إلى الجنود والرعايا الذي تخلفوا عن السفر]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أحمده لاستحقاق حمده ، وأجل [١] عليه الثناء لسني مجده ، أحق من حُمد ، وأولى من عبد ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ، هذا كتاب كتبه القاسم بن علي لأخيه وابن عمه القاسم بن الحسين الزيدي بما عهد إليه ، وأمره بالتصرف فيه ، عهد إليه أن يجعل الله شعار قلبه ، والفكر فيما يعود بصلاح الأمة قرينه [٢].

ثم ليعلم أن الله أقرب إليه من حبل الوريد ، وأعلم بما يخفى من الرقيب العتيد ، الذي وُكّل بما لديه ، وجعل حتى الممات شاهدا عليه ، والنظر اللبيب يبعد من الأمر المعيب ، ويميز بين المخطئ والمصيب ، والحكيم [٣] من اقتدى بأفعال الصالحين ، وسلك آثار المتقين ، وجعل قرناءه أخاير المسلمين ، ممن لا يبتاع بالدنيا بالدين [٤] ، فإن عدم أولئك فالبعض منهم من تشبه بهم ، وإن لم يكن حقيقة كحقائقهم ، فلأولئك ظاهر يستحسنه الجاهل بهم ، ويقتدي به الراغب فيما عند ربهم ، والناس بعد أولئك على طرائق شتى ، ولكل منهم

(١) في السيرة: وأحل. والصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: قرين له. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) في السيرة: والحكم. ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) في السيرة: الدين بالدنيا .ولعل الصواب ما أثبت.

جلالة في نفسه ، وإن رآه الراؤون بغير ذلك ، فاجعل لكل امرئ ممن عاشرك من التحية ولين الكلام كالذي تجعل لأكبر الناس عندك مترله ، فإن أحق الناس على الناس من أولاهم ما يحبون من قول يقال ، أو نائل ينال ، فاجعل قولك عوضا من نائلك ، ونائلك موصولا [1] بكريم قولك ، ولن يُعدمك الله ذلك.

واعلم أن الناس سبع طبقات:

فمنهم الفقهاء وهم أهل الديانة ، والحكماء في الأمة.

ومنهم السلاطين.

ومنهم الجنود.

ومنهم العشائر من بادٍ وحاضر.

ومنهم التجار.

ومنهم الصناع.

ومنهم طبقة وهم حشو القرى وأرذال الناس ، ولكل من أولئك حق عليك تؤديه ، وحق تطلبه.

فأما الفقهاء ، فمنهم القضاة وهم المقدمون عليهم ، فمن ولي القضاء فاجعله وإياهم لمةً ، ويجعلهم القضاة الشهود الذين يشهدون بين الناس ومعامليهم وجلسائهم ، والذين يستشيروهم فيما اشتبه عليهم من أحكامهم ، فإن ذلك مما يقرب من الصواب ، وأولى الناس بالاعتوان على ما هم فيه

(١) في السيرة: موصول. ولعل الصواب ما أثبت.

القضاة ، ولا أعوان لهم على ذلك إلا أهل البصائر من علماء الأمة ، إذ هم من المعرفة بموضع القضاة منها ، والواحد لا يَتَعَرَّى من الغلط ، وغلطُ القضاة من أضر الأشياء على الأمة ، لأن بذلك تذهب الأموال وتباح الدماء ، وتركب الدهماء ، وتُوطأ بذلك من حُرَم الله وطأه من النساء.

فأولى الناس بالتثبيت والاعتوان القضاة ، وإن وقع خُلْف بين الجميع واشتبه الأمر عليهم ، وجب عليهم رد ما اختلفوا فيه إلينا ، وكان تفصيل ما اشتبه من ذلك علينا ، وهذه السيرة ففي خاص هذه الأمة وعامها ، لتصون من الباطل أموالها ودماءها ومناكحها ، والله يوفقنا وإياهم لما فيه الصلاح بمنه وطوله.

وأما السلاطين سلاطين البلد الذين [١] نقصدهم رجلان ، رجل دخل معنا ليعلم فعلنا في أنفسنا وفيمن يتصل بنا ، والآخر فقد استوقفنا وتربص بنا ، فأما المحب للخيرة فذلك إن رامنا صلاحا متصلة ففلاح ، وقولاً يغلب ، وعقدا لا يحمل ، وفعلا يحمل ، فأحرى بذلك أن يصل نفسه بأنفسنا ، كما وصل حبله بحبلنا ، وإن رأى غير ما ذكرنا سَفّه رأينا ، ونزع يده من أيدينا ، وعذر نفسه فينا.

وليس من السلاطين من قد دخل معنا بما ذكرت إلا الأمير أبو جعفر أحمد بن قيس ، فَرَاعِه منك بعين الصيانة ، واعرف بالوفاء والأمانة وحوِّطه الذمة ، ثم اجعل له منك نصيبَ من له هذه الصفة مع ماله من السابقة.

---

(١) في السيرة: الذي. ولعل الصواب ما أثبت.

واعلم أن الملوك نشأوا في النعمة ، وألفوا من الخاص والعام الكرامة ، ومتى ورد على أمر غير ما يعرف كرهه ، وعادى من عنه حرّفه ، كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «من عرف شيئا والاه ، ومن أنكر شيئا عاداه » ، فاجعل منك حظا وافرا لهذا الأمير ، وأنصفه من نفسك كل النصفة ، واعرفه بكريم أفعاله كل المعرفة ، فإنه لَم يوسطني [1] أحد من الملوك ما وسطني من داره وعشائره ، وذلك محال له جزاء وشكر.

ولا يستغلطك منك قول قائل: إن له في المدخل حظا معنا ليس لنا مثله ، فلا حَظّ له في ذلك إلا حظ الآخرة ، وليس بجاهل بأهل عصره ، ولو لم يكن له ورع دعاه إلى مدخله معي ، لأَخَذَ الأموال من هذه الأمة كما قد يعمل السلاطين ، وأصلح بها أحوال رجاله ، ولم يطلبوا منه غير ذلك ، ولم يستبدلوه سوه [2] ، والله يوفقك لما فيه الخير.

وأما سائر السلاطين من قِبَلِك فهم أربعة:

أحدهم: المنتاب بن إبراهيم ، وسبأ بن عبد الحميد ، وأسعد بن أبي الفتوح ، وإبراهيم بن نزيل.

فأما سبأ والمنتاب وإبراهيم ، فقد دخل هؤلاء على ما في أيديهم ، والكل قد دخل معنا مدخلا لم نَرَ بيانه ، ولا بد أن نختبر كل أولئك ، ونذكر ما قد أوجب لنا على نفسه: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا

(١) في السيرة: توسطني. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: يستبدلونه سواء. ولعل الصواب ما أثبت.

﴿...﴾ [الفتح:١٠] ، ومن وفى ذلك ولنا بما بذل من نفسه فصِنْه ، وأعدل عنه جميع من يطلعه أذى منه ، ومن لم تر منه وفاءً فانظر بعين الغدر ، واستَدْنِ من قد بَعد من أعداء أولئك ، وإن عزمت على مكافأة أحد منهم على شيء ، فلا تنفذ ذلك حتى تجري المشورة بيني وبينك فيه ، بما يعود بالمصلحة إن شاء الله تعالى.

وأما ابن أبي الفتوح فبيني وبينه مكافة ، وكف عني من كف عنك ، وإن بلغنك منه قول أو أتى منه ما لا تريد ، فلا تعجل في أمره ما وجدت إلى ذلك سبيلا.

وأما ابن قحطان فبَينه وبين صاحبي مكافة فارع منه ما رعى ، فقد ودَعْتُه [1] بذلك من نفسي ، فأنجز موعدي ، وحط في الحضرة والغيبة قولي.

وأما الطبقة الثالثة فهم الجنود ، ولا عماد للسلطنة والقرى إلا هم ، فأحسن لهم منك المقال ، وقرِّبهم ولا تُبعدهم ، وأصلح ذات بنيهم ، وكن حريصا على استخراج أموال الله لهم ، واستعن بهم على ذلك ، ويدني ديوانهم على حوائجهم ، فإذا أعطيت كل رجل منهم ما يجب له ، وأمكنك لهم أو لأحد منهم نفع فلا تؤخره عنه ، موفقا إن شاء الله تعالى.

وأما العشائر فلا يزال يجري بينهم ما يكون بين الناس ، فأصلح ذات بينهم ، وخذ على أيدي الجميع منهم ، وامنعهم أن يجروا الفتنة بينهم ، فإن

(١) كذا في السيرة. ولعلها: وعدته. والله أعلم.

فتن العشائر تزري بالسلطنة ، ومن احتجب إلى استئلافه منهم فاستألفه ، ولا تجعل لأحدٍ إلى خلاف سبيلا ما استطعت ، والله يوفقك لما فيه الصلاح.

وأما التجار فالغالب عليهم قلة الأديان ودقة النظر ، وهم مع ذلك كمال قال علي عليه السلام: « أوتاد المدن » ، فأحسن العناية بهم ، وخذ أهل الحِسبة بتفقدهم في بيوعهم ومكائلهم وموازينهم ، وحذّرهم الربا فإنه ماحقٌ لهم ، والغش فإنه محرم عيهم ، وقد قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « ليس منا من غشنا »(١).

وأما الصناع فاجعل لأهل كل صناعة مُحتسبا عليهم يتفقد أعمالهم ، ويأمرهم بإحكام ما يعملون ، ويحذرهم إدخال الفساد فيما يصلحون ، وليكن أخص أولئك بالافتقاد من يلي الذهب والفضة ، من الصَّاغة والضَّرابين.

وأما حشو العامة فأكثر خيانتهم في المكايل والموازين ، فاجعل المحتسب عليهم يداً في افتقاد ذلك ، ومن وجد فيما يلي أحد منهم فسادا أحسن أدب المسيء في ذلك ، وعلى الرفث والقرانف والمقاتلة وما لا يتعرى منه حشو القرى ، وسفساف الناس ، فلا تُغفل أولئك فإن أصول فساد المدن منهم ، وما قامت به البينات مما يوجب الحدود في قتل أو جراح أو سرقة أو شرب خمر ، فلا تعجل بإنفاذ شيء من ذلك حتى يصح لك فيه البينات ، بحقيقة الصحة وابتلاء الشهود ، ثم تعلم أن من قام مقامك كثر نصبه ، وضاق بالناس

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ٤٦٦/٣.

ذرعه ، فاستعن بالصبر فإنه من أحمل أعوانك لما حملته ، وأدفعهم عنك لما كرهته ، ولا تزهدنّ فيه ، واستعن بالله عليه ، ومن وثقت بعونه من المسلمين فاستعن به ما وجدت إلى معين سبيلا ، فإنك لا تحمل من الأمور إلا أقلها ، ومن كابد الاشتغال جميعا بنفسه مَلّها ، وقد نَصَّبتك لمقام قلّ من انتصب لمثله إلا فُتِنَ ، فصن نَفسَك من الفتنة ما استطعت حتى تخشى المضرة في طول الأناة ، فإذا دفعت إلى ذلك وعزمت على حرب قوم بعد الإعذر والإنذار ، فلا تعلنن بحربهم ، ولا تذكرن لأحد أنك هَمِمّ بهم ، حتى يقول قائلهم: إنك قد أعرضت عنهم ، ثم ادع من تريد قتالهم به لبعض الوجوه الفاسدة ، أو السبل المقصودة ، فإن أتاك من يقهر به أولئك قصدهم به مسرعا ، فإن المفاجأة تُنقص آراء الرجال ، وتَبْهت أولي الرأي والاحتيال ، وإذا أعطاك قوم الذلة فإياك وقتلهم ، واستعن بالحبس عن ذلك منهم ، وبالأدب الكافي عن المثل بهم ، فإن ذلك أقرب لنصرك ، وأبقى لعزك ، وإن قلت جَمَاعَتك عمن تنوي فاصرفها على من يكون لها فيه أثر بصلاح فساد من تقصده.

وإياك أن تغتر بكثرة الناس إن أقبلوا عليك ، فإن كثرة الجيش أخطر من ركوب السفر ، وإذا تثاقت السفينة في البحر لم تخرج حتى تُهلك من فيها ، كذلك الجيش الكثير إذا ولّى بعد لقيته لم يُثن عطفا ، و لم يسمع لأمرك قولا ، و لم يرعو أصلا ، فإذا جمعت قوما فثبّتهم ، ثم ولّ على كل قوم مقدمهم ، وَأْمُره أن يأمرهم أن يراعوا رايته ، ولا يتقدموه ولا يتأخروه ، ولتكن تراعي رايتك ولا تتقدم ولا تتأخر عنها ، وتأمر بذلك أمرا ، وبذلك تأمر كافة الناس أن ينصحوك ويراعي بعضهم بعضا ، وإياك إذا لقيت قوما وكنت في قوم أنت

الأمير عليهم أن تقاتل وتشتغل بالقتال عن تدبيرهم ، فإن قتالك ينوب عنه أدنى رجل من الجماعة ، وليس ينوب مقامك فيهم غيرك ، لأنك إذا اشتغلت بالقتال أضعت تدبير العسكر ، وإن نالك سوء أُهلكوا كلهم بهلاكك ، وإن لم تجد من القتال بُدا أقمت لهم أميرا يهلون إليه ، بعد موافقتهم عليه ، ولا جرم إن لم يشتغل بتدبير رجالك بقتال ولا بغيره ما استقرت أقدامهم ، وتُقدِّم للعدو أقدمهم حتى يستمكن بهم من عدوهم ، ثم احمل بنفسك فيهم فإن ردوا وجوههم بعد حملتهم قبل أن ينالوا من عددهم ما يحبون ، فأثنهم للحملة ما استطعت ، وقاتل على أعقابهم ، وأوقف العدو عن إرهاقهم حتى تنقلب وجوه أصحابك إلى عدوهم ، ولا تزاحف قوما حتى يعرف أصحابك شعارهم ، ويتفقون على رأيهم في حال حملتهم وحال رجعتهم ، فإن ذلك من أعون [١] ما يستعينون به على عدوهم.

وإذا أردت أن تعرف الرأي الذي يتبين لك ضياؤه ، ولا تقصد إلا إياه ، فأحضر رجال الرأي وأمرهم بالمشورة ، واستمع لأقوالهم ، فإذا أشاروا ووقع من رأيهم ما يتفقون على سداده ، فانظر من أين تدخل على ذلك الرأي وما يُعلُّه ، فإن وجدت شيئا فيه يُفسده ، أو علة تعوقه تركته ، وإن لم تجد له علة ولا عليه مدخلا يفسده ، فخذ به من بعد تقديم الخيرة ، فإن من استخار الله لم يعدم من الله ما سأله.

---

(١) في السيرة: أعوان. ولعل الصواب ما أثبت.

ووجهٌ أحسن هو قوام ما أنت فيه ، وذلك الديوان الذي يضم ما يحتاج إلى معرفته ، ويحفظ مال جنودك ، وما هو عون لك على سلطنتك ، فتجعل لذلك رجلا أمينا ثقة واعيا على الديوان ، لا يلي شيئا غيره ، ويكون ببابك وحيث ما سرت سار ، ويكون على المجلس ثلاثة رجال ثقات ، بيد كل واحد منهم نسخة ما في قرطاس صاحبه ، مما يوقعون فيه من قبضهم ، ويرفع نسخة ذلك إلى الموكل بالديوان ليثبت ذلك في الأصل كل يوم بما فيه.

ويكون على خَرص الثمرات في أوقاتها رجال ثقات لكل بلد ، وتجعل مع خراص كل بلد رجلا [١] ثقة ليس من أهل البلد ، ويكون مع كل خَرَّاص من يكتب ما يخرصون ، ويسمون صاحب الأرض وأرضه وقريته والبلد التي فيها أرضه ، فإذا فرغوا من خرصهم حَمَلوا كتب الخَرص إلى صاحب الديوان ، فيقبضها منهم ويجعل لها دفترا مفردا يسميه باسمه وبلده ، ويخرج الخراص ، فإذا كانت وقت قبض الثمرة وَجَّه صاحب الديوان قُبَّاضا [٢] ثقات ، وخرج من الديوان اسم كل إنسان مما عليه ، وبعثهم بذلك لقبض الواجب ، ومن قبضوا منه ما عليه أعطوه الرُّقَع وكان له حجة ، ومن لم يدفع جملة ما عليه أعطاه القباض خطا [٣] مما قبضوا عليه ، ولزموا الرقع ليطالب بما بقي فيه.

---

(١) في السيرة: رجل. والصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: قباض. والصواب ما أثبت.

(٣) في السيرة: خطأ. والصواب ما أثبت.

وتكون الخزانة بيد رجل ثقة ، فمن أوصل إليه شيئا أعطاه بالوصول خطه ، وسلم إلى صاحب الديوان ، ليكون حجة على صاحب الخزانة وله.

وكذلك تفعل في زكاة الماشية ، تبعث لها سعاة ثقات ، فإذا وصلوا إلى صاحب الماشية عَدُّوا عليه وأثبتوا اسمه وما دفع ، ومن لا يدفع عنده فيثبت اسمه ، وأوصلوا ما قبضوا إلى الخَزَّان ، وأوصلوا كتبه معهم إلى الديوان ، وأخذوا بما يدفعون خطوطا تصير إلى صاحب الديوان ، وكذلك الخُزان لا يسلمون إلى أحد شيئا إلا ببراءة منه رُقعا بخطه ، أو خطِ من يلزمه خطه ، يدفعون ذلك إلى صاحب الديوان يثبته معه ، ولا يصل لأحد إلى صاحب المجلس بدرهم فما فوقه.

وكذلك الزراعون ولا يكون الصك إلا بعد حصول الأشياء في الخزائن ، ويؤخذ على الخازن ألا يُسلم ما دفع إليه إلا ببراءة له بما سلم ، يثبت في الديوان كذلك.

وتكون دواوين المخلاف كله تصل نسختها على الديوان الذي ذكرت ، وكل دَخلٍ دَخَلَ خزانة بعيدا أو قريبا ، رفع إلى الديوان الراتب ، وكذلك خراص كل بلد بعدُ تستخصرونهم بخرصهم ويسار فيهم كالسيرة فيمن بالحضرة. والله يؤيدك بعونه في كل الأحوال.

والذي بيدك يا سيدي من المخلاف ما حاز عجيب إلى حدود ابن أبي الفتوح في ناحية صنعاء ومشرق بلاد همدان جملة ، وبلد حمير جملة ، ومغارب مخلافك كالصيد ، وشاحذ ، والباقر ، ونظار ، والأحبوب ، وشمر ، والطرف ، وما يتصل بذلك ، وحراز ، فهذه البلدان فيها مبتدأ مؤنتك ومؤنة أعرابك

وأخدامك ، وتدبر رجال من راتب من أهلها ، وتوفر خراجات هذه البلدان حق التوفير ، وتطلق واجباتها لمن ثبت اسمه في ديوان النجدة ، ومن أتاك بخط من قِبَلي من المقيمين ، ومن لم أوقع له فادحُ أمره لأمري فيه.

والذي في صفقة الحسين بن المختار الظاهر ظاهر الصيد ، وظاهر بيت زود ، ثم الظاهر معرضا حدّه حَلَمْلم ، وحَلَملم معك وقارن والأشمور ، وما حاذى هذه البلدان إلى الظاهر فهو موصول لمخلاف الحسين بن المختار.

ومغارب هذه البلد معه بنو عشب ، وبنو شاور ، وقدم ، وميتك ، وأدران ، وحجة.

وما بيد المنتاب فهو بيده على عيان.

وما بيد ابن عبد الحميد فهو بيده حتى ننظر طاعته.

وعلى وادي لاعة بِيَد ابن أبي جعفر ، وعليه فيها رسم.

وبيد العرجيين منها طرف ، وعليهم تسليم بلا شرط ، فتعاملهما بحسب ما ترى ، وتنظر ما في أيدي العمال وتحاسبهم عليه ، وتحصّل البقايا ، فتوفي أصحاب الرقاع رقاعهم ، فإذا أوفيتهم رقاعهم كتبت كتابا لأهل الديوان ، ولا تطلق لأحد درهما واحدا حتى يجتمع الخراج ويعود منه في الخزائن ما يبد على الجملة ، ثم فرَّقت ذلك على جملة الديوان بالغا ما بلغ ، ومن ناكرك في ذلك فعامله إلى الكتاب الذي كتبتُ بيني وبين الجماعة ، ولا توجب لأحدٍ في رَسمه ولا في غيره ولي عنده بقية أصلا ، وخذ على الناس العهود ، وكل من حاسبته من العمال الذين هم موسومون بصحابتي فاعزله ، فإن لي في ذلك ولهم بعض مصلحة.

وانظر الناس فإن رأيت منهم كراهية لما ندبتك له ، و لم تر منهم إقبالا على سلطانك ، فأعرض عنهم ، وعرِّف السلطان أبا جعفر بن قيس ، فإن رأيت منه في ذلك أثراً ، وإلا فانصرف إليّ من بعد ما تعلم الجماعة والسلطان بانصرافكم ، حتى يأتي الرأي فيه من وجهه ، والسلام والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما.

[كتابه إلى المتخلفين عن السفر معه إلى نجران]

وكتب الإمام عليه السلام كتابا منشورا إلى المتخلفين عن السفر معه على نجران من جنوده وأهل طاعته ، ووجهه مع الأمير الزيدي ، نسخته وعلوانه [١] أنه: إلى كافة أوليائي وشيعتي وأهل طاعتي ، والبونين والخشب وما يليهما.

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كافة أوليائنا والمتمسكين بعهدنا ، سلام عليكم يا كافة الإخوان ، فإنا نحمد الله إليكم الواحد المنان ، ونسأله أن يصلي على خيرته الأمين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أما بعدك: - أرشدكم الله طلاعته ، ونأى بكم عن سخطه — فإنا نحمد الله إليكم بدءا ، ومن اتصل بنا من إخواننا وإخوانكم ، ونابت حضرته عن غيبتكم ، فلقد سلك أولئك مسالك أولي النجدات من أولئكم ، واتصلوا من الفضل ما اتصل به أخاير أفاضلكم ، ولقد أيدهم الله بنصره ، وأنالهم من الظفر ما فازوا به ، وصاحَبَهُم في سفرهم من العون ما ساروا به ، وكان كما ذكر الله في كتابه عز وجل عن أصحاب نبيه ، إذ يقول عز من قائل: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ

---

(١) أي: عنوانه.

يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٧٣ - ١٧٤] ، والحمد لله الذي وهب لنا ولأوليائنا ، ما وهب لأهل الفضل من أسلافنا ، وقد كان يا إخواننا من تخلفكم ما لم نَلُمكم عليه ، و لم نسئ بكم الظن فيه ، لكن لومنا لكم لأنفسكم ، ولما يُؤثر عنكم من تَخذيل من يرغب في الحظ الأوفر ، وسارع إلى الله العلي الأكبر ، وقد أرجو أن لا يكون ذلك ، وكيف وأنّى يكون من هو من الصد عن سبيل الله ، وهو يعلم نهي الله عن ذلك ، إذ يقول عز من قائل كريم: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ ﴾ [محمد:١] ، ويقول عز من قائل كريم فيمن آمن وصدّ عن سبيله من أهل عصرنا: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ ﴾ [التوبة:٣٤].

فيا له من ذنب ما أعظمه!! وكيف لا يعظم ذنبُ من زهد فيما رغّب الله البرية من القيام في سبيله ، والإصلاح لعباده وبلاده؟!

أجل لم يَعزب حق ذلك إلا على من لم يعرف حق فضل نعمة الله عليه ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [الشعراء:٢٢٧].

ولقد عظم عليَّ هذا الأمر ، فأكذبت أن يكون من مؤمن مثله ، فأما الذين قد فتنتُ فيه وأيقنت من كافة أوليائي ، فترك المعذرة عن التأخر بترك مواساة أنفسهم بنفسي ، فلو قد اعتذر من قَعَد بمسير مَن سار لكان في ذلك

معذرة ، يعذر بها المتخلف ، ويكتفي بها المتكلف ، ومن الآن أكرمكم الله فليكن عملكم معي نصيحة ، فلن تخلوا من أحد وجهين:

إما أن تكونوا على عهدكم.

وإما أن لا تكونوا عليه.

فإن كنتم على العهد فلن يفتكم حالٌ تأسون على فواته ، إنما فاتكم سفر وأمامكم سفر مستقبل ، فاعتاضوا الأجر من الأول ، فنظير كل شيء عوض به ، وإن كنتم – والله يعيذكم من ذلك – قد حُلتم عن عهدكم أكتفيت منكم بنقدكم ، و لم آس عليكم لنقض عهدكم ، وكان في الله وأوليائه عوض منكم ، واتبعنا قول الله لنبيه إذ يقول عز من قائل: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾ [فاطر:٨] ، وقد بعثت ابن عمي أبا محمد القاسم بن الحسين الزيدي إليكم ، وأقمته في المسير إلى بلدانكم مقام نفسي ، وقد أمرته بإطلاعكم والنظر في أحوالكم ، وتصحيح فيما بيني وبينكم ، والقيام بما جرت به الشرائط عليَّ وعليكم ، وأمرته إن كنتم مجمعين على طاعتي ، وملتزمين [١] ببيعتي ، أن يقوم فيكم ، ويشدّ في كافة المخاليف قِبَلكم ، ويَستخرج واجباتها ويَصرف ذلك في أرزاقكم ، وما يعود بصلاحكم ، و لم أجعل له في خراج يداً أكثر من مؤنته ، وإنفاذ ما أتى به خطي ، وقد أوضحت ذلك في كتاب عَهدي إليه ، فيحسب ذلك.

---

(١) في السيرة: وملتزمي. والصواب ما أثبت.

فاعملوا ولا تطالبوا والِيَكم ما لم أجعله في يده ، وليُعِنْه كل امرئ منكم على نفسه ، فقد جعلته بينكم مُصلحا وحاجزا [١] بين من يجري القبيح بينه منكم ، ومنفذا لأحكام قضاتكم ، ومستخرجا لواجباتكم ، ودافعها إلى من أمر الله بتصريفها فيكم ، فاستمعوا لقوله وأطيعوا لأمره ، ومن عصاه من قريب أو بعيد ، كونوا عونه على العاصين ، وبيده كتابُ عهدٍ أمرته أن يسير بما فيه ، فمن كان منكم وافيا بعهده ، ومنجزا لوعده فليُعرف بذلك من فعله ، بخبر نعرفه ويعرفه أولياؤنا ، فلم يعد لمن نكث عهده إلا اتباع أمر الله فيه ، والله يقول عز من قائل: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [التوبة:١٣ - ١٥].

وأنتم - أعزكم الله - أول من دخل معنا اختيارا ، ولم يدخل معنا اضطرارا ، والرجاء فيكم ، والظن بكم الوفاء بعهودكم والحوطة لبيعتكم ، والله بعد ذلك ولي توفيقكم ورشدكم ، وعليكم يا إخوتي أفضل السلام وأطيبه.

---

(١) في السيرة: حاجرا. والصواب ما أثبت.

[كتابه إلى أبي الحسن القشيبي]

بسم الله الرحمن الرحيم

قد جعلت أخي أبا الحسن بن أحمد بن عيسى القشبي - تولى الله رشده - مُفتَقِدا ومطلعا على جميع من استطاع الوصول إليه من ولاتي وعمالي [(١)]، والشارعين في خدمتي، فمن اطلع منه على خيانة فيما يلي، أو جور على ما وُلّي [(٢)]، فقد أطلقت له النكرة عليه في ذلك، والمنع والرد على ما كان كذلك، ومن كره افتقاده واطلاعه من الولاة والعمال، أو عصاه في معروف أو حال من الأحوال، رفع إليّ علم ذلك، وكنت المتولي للنظر فيما هنالك، فاعزِم في افتقادك، وشمر فيما أقمتك، وأنا ظهرك على ذلك، والسلام، وكتب الإمام القاسم بن علي بخطه.

ولما بلغه ذلك منهم، ورفع إليه من قولهم، أرسل عند ذلك الرسل إلى جميعهم فحضروا إليه، فلما أن كمل اجتماعهم كتب كتابا وأمر من قرأه على جماعتهم، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) في السيرة: وأعمالي. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: ولى. ولعل الصواب ما أثبت.

إلى كافة من حضر مجيبا لدعوتي ، ومن هو حاضرٌ حضرتي ، وباني يرعى طاعتي ، ويقر بيعتي ، سلام عليكم أيها الأولياء ، والشيعة الأصفياء ، فإنا نحمد الله إليكم حمدا كثيرا عن جمٍّ من نعمه علينا ، وجزيل من إحسانه إلينا.

أما بعد: أكرمكم الله بأسنى كرامته ، ولا سلبنا وإياكم ثواب طاعته ، فقد لزمكم من طاعتنا ما لَستم بجاحديه ، وبالقديم من ذلك فرضا أنتم غير مؤديه ، فهل تستقيلون من أمرٍ حرم حلالكم تألونا عن أدائه؟ أم يصرون على حنث لم يعلموا بكنه انتهائه؟ أم يقولون إنكم عقدت بَيعتكم لرجل خالف الحق وليس من أوليائه؟ فبتلك إن صحت لكم تعتذرون ، وفي تلك ما كان كذلك لا تعيدون ، أم تستقيلون من بيعتكم؟! فأنتم من بَيعتنا مقالون ، أم تعاملوننا بغير وفاء ولا حجة فلسنا لذلك منكم وامقين.

ألا فَلْينبئ الحاضر منكم عن الغائب ، فمن بدر منكم يا أهل بيعتنا مقدمَ قوم إلا أحضرناه ، وذلك من بعد أن بان لنا حال كل من عاملناه ، أنكم – تولى الله رشدكم – بدأتم بأمر لم نذمه فانقاد لذلك كل أمر مُستصعب ، والتأم كل شتات متشعّب ، حتى غِيظَ كل منا بصاحبه ، ورجاء البرية أن يفوت ذا منكم بما فزتم به ، فبينما أنتم كذلك إذ نقضت أموركم المطامع الدنية ، وأن خلدتم إلى الدنيا الفانية ، فجعلتم طلب المعدوم ، سببا على الأمر المذموم ، فقال كل قوم منكم: أُرزقنا في بلداننا ، وصِنّا في أوطاننا ، وإن أردت الإصلاح بنا فصل أيدينا بديواننا مع كثرة التعب ، وإظهار الغضب ، أجل لو تم ما بدأتم به حتى تصلوا أيدينا ببلد تنال فيه الأيدي طلبتكم ، لكنا لذلك باذلين ، وإلى محبوبكم فيه مسارعين ، وإذا لم تسعدوا لذلك وقصرت هممكم من ذروته ،

فلستم إلا كرامي الغرض يقصر سهمه عن بلوغه ، ولكم فيمن كان قبلكم أسوة ولنا ، والله يحكم لا معقب لحكمه ، وهو سريع الحساب.

ألا وقد حضر من كل قوم من يعتمد عليه من هَمداني وخولاني حواضر نابوا عن عشائرهم في اتصالنا اليمن ، فلينوبوا عنهم في فسحنا من هذا الأمر ، وليتسببوا اتصالنا ، ففي ذلك عوض من قبح القالة ، فلم يعد لنا مقام في بلد بانت فيه المعصية بعد الطاعة ، والشتات بعد اجتماع الجماعة ، ولكل جديد بهجة تخلق ، وفي كل خلق متعة ، خلا الإنسان فإنه إذا خلق لم يُستمتع به ، ولا سيما إذا كان فيهم سلطانا.

ولو كان مقامنا أكرمكم الله لدنيا وما فيها ، لما عدمناكم رضاكم فيها ، لكن أبى الله ذلك لمن قام مقامنا ، وإن لنا ولكم لحقّاً ما ننال منه إلا أقله وأخبثه ، فينالنا على ذلك من أقوال الظالمين ، ما يقطع أعراض المؤمنين ، ويخرج من اسم الدين ، ولا مقام على العيب بعد المحبة ، ولا على الغضب بعد الرضاء ، وقد كنت أحسب أنكم خاصة يا رجال بكيل ووادعة ، انه لا يبدو منكم مثل ما بدا ، وأنه إن نال الجنود والمؤلفة شيئا من حطام هذه الدنيا ، إنكم ترضون فيّ مقتسم لديكم ، إذ اخترتكم في السُّكنى ، فلم أجعل منزلي لمقامي إلا بينكم ، ولا أجعل أقرب الأولياء ولا أخصهم لي من غيركم ، فإذا كانت النكرة قد بدت بعد المعرفة ، والتباعد بعد الألفة ، والتعتب بعد النصفة ، فأنتم أولى من أوصل ابن نبيكم بصرف جميل يحسن به وبكم ، ولن يُعدمكم الله الصواب وما يصب إليكم فيه ، والسلام عليكم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

[كتابه إلى أهل نجران]

وكتب مع الشيخ مظفر بن أبي ظالم الدعام كتابا إلى أهل نجران نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كافة نجران من العشيرة والجيران سلام عليكم ، فإنا نحمد الله إليكم على نعمه التي لا تعد ، ومواهبه التي لا تجحد ، ونسأله أن يصلي على محمد خاتم الأنبياء ، وعلى من طاب من ذريته وزكا.

أما بعد: فلا معذرة لمن طالت عقلته ، ولم تفده صلاحا فكرته ، أجل لو احتال أهل الألباب فكرهم ، لاعتبروا بغيرهم ، وكان فيما مضى دلالة للباقين على الفناء ، وفيمن تصرفت به الدنيا أدل دليل أنها لا تبقى ، فالعجيب كل العجب لمن لا يعتبر ، بدار لا له بها مستقر ، وبدنيا لا بقاء له فيها ، فيُقَصِّر عن الاكتساب من ذوي مكاسبها ، ويمهد لنفسه من قبل النقلة منها ، ويبادر بالتوبة على سيء عمله فيها.

أي أهل ذي البلدة التي فتن بعض أهلها ببعض وأكل بعضهم بعضا ، وأعقبهم فعلهم العداء والبغضاء ، ألا تشكرون الله على مقامنا فيكم ، وكف المكروه بذلك عنكم ، وتلبسون ثوب العافية الذي كسبتم ، كي تكونوا كمن ألبسه الله ثوب العافية على يدي نبيكم ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقد ذكر الله ذلك في كتابه ، فقال وقوله الحق: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا

﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ...﴾ [آل عمران:١٠٣] الآية ، وأنتم رحمكم الله فاذكروا نعمة الله عليكم ، وما وهب لكم من جميع عوافيه بكم ، وما لا يزال دائما يُسدي به إليكم ، فبذلك يجب عليكم شكره.

وقد جمعكم وادٍ لستم لقديمه ولا لحديثه بجاهلين ، ولا بمعرفة ما كان عليه بمنكرين ، وإن أنكر ذلك منكر فلا ينكره إلا من لم يحظ بمعرفة ما تناسخ العلماء من العلم ، والحديث المأثور عن نبيهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ومن وراء ذلك ومن بعده لا اختلاف بين أحد من علماء أمة نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن هذا الوادي كان ملكا للنصارى غير منوط به سواهم ، وأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ألفى العرب بأسرها على دين الشرك خلا المتنصرة من ربيعة الفرس [١] بنجران والجزيرة ، وكلا رَدّه على دينه كرها ، خلا هذين الحيين فكلاهما امتنع يومئذ في موضعه ، وقاتل على بلده ودينه ، فصالح كِلا الحيين عن نفسه ، وعما في يده ، فأما نصارى الجزيرة فترفعوا عن الجزية فطلبوا أن يضاعف الزكاة عليهم ضعفين ، فعاملهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم على ذلك ، وشرط عليهم أن لا يصبغوا [٢] أولادهم ، يريد: أن لا يدخلوهم في دينهم ، فلم يقولوا بذلك ، ولم يسألوا عنه على هذه الغاية.

---

(١) ربيعة الفرس: هم ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. انظر التعريف في الأنساب للأشعري.

(٢) في السيرة: لا يضيعوا. والصواب ما أثبت.

وأما نصارى نجران فصالحوا على دينهم وبلدهم بأربع مئة أوقية ذهب ، وأربع مئة حلة من وَشْيٍ صنعاء ، ثم أخذ الخلفاء منهم الجزية لما تركوا أداء ما عُوملوا عليه ، وأجروا معهم إصلاحا ، من ذلك لما خرجوا من البلد وتبعوه وفارقوا سكناه ، حتى لم يعد به إلا من قد ترون ، ثم أعقب مَن سكنه من العشائر على من انتقلت الأموال إليه ، على حين وناء الإسلام وضعف بسلطنة الخلفاء ، فتجرَّموا ما بأيديهم وأكلوه بالمغصوب والحقارات ، وما ارتسموا به إلى هذه الغاية ، فشمل الوادي الظلم من النصراني الذي عومل على نفسه ، وما في يده بإخراج البلد منه ، ومخرجه عنه ، وترك ما عومل عليه فيه ، ومن المسلمين الذي دخل بالشراء على أرض عامل عليها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعامة من دخل معه من الأنصار والمهاجرين ، وكذلك من دخل من العشر مع مشتري هذه الضياع بغصب وحقارة ، فقد دخل بغير واجب ، ولم يَزَل الإصلاح يجري في هذا الوادي من جميع الدول ، ويُستأجر ذلك لقدر ما ذكرنا مما كان عليه من بدء الإسلام حتى كان آخر صلح جرى فيه الهادي رضي الله عنه للنصارى ولشراحه وملاكه بالشراء ، فلولا معرفته بمخرجه لما صالح النصراني على ما بقي في يده ، وما ارتد بشرائه من المسلمين بأكثر مما يجب عليه من الجزية ، وكذلك من ألفى الأملاك بيده ، وما أوجب عليهم فيها من أداء الزكاة ، من قليل ما أنبتت الأرض وكثيرها ، فلو لم يكن الأمر على ما ذكرنا لما أخذ الزكاة إلا مما تجب الزكاة في مثله من الكيل المعروف ، ولَتَرَك ما لا يجب الزكاة فيه ، وكذلك الشراح لو لم يكن البلد على ما ذكرنا لما ترك الشارح فيه يدا بقليل ما يترك ، ولكان قد نزع

القليل الذي أطلق ، كما نزع الكثير الذي ألفاه مفاوتا في المعاملة ، فاعلموا ذلك.

ثم قد ولينا بلدكم هذه ولاية من يريد لكم الإصلاح ، فلسنا بمخرجيكم عما رسم إمامنا فيكم ما استقامت لنا طاعتكم ، ولم تفارقنا جماعتكم ، إذ نحن ولاة ما ولي نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والمصرفون لما ولي تصريفه في أهل طاعته ، والداخلين في جماعته ، وقد بعثت الآن خادمي سعيد بن سراج لما كنت قد بعثته له من إطلاع العشائر والبلدان واستخراج الواجب ، فاستغنموا لطاعتنا ، وتصرَّفوا بين أمرنا ونهينا ، فبذلك تفوزون عند خالقكم ، وإمامكم وابن نبيكم ، وتحسن في كافة الأمور أحوالكم ، ولن يغيب الصواب عن مثلكم ، والله يرشدكم لذلك ويوفقكم.

وقد كنت ولّيت عليكم أخي أبا إسماعيل إبراهيم بن محمد بن المختار وأمرتكم (١) له بالسمع والطاعة ما أطاع الله ورسوله ، ومن ولاه عليكم ، وسار بالحق فيكم ، ولم أنزعه من ولايته ، ولا أنزعه ما استقام على ما أوقعت به الشريطة عليه ، والله يرشدنا ويسددنا أجمعين لما فيه الخيرة.

وقد رسم هذا البلد برسم من رسوم الباطل ، أمرت برفع ذلك عن الكافة من الفروق والحصاد وعلوفة الخيل ، فلا يخالف أمرنا برفع أحد فَلامَ إلا نفسه ، ولصاحب الملك الخيار في ماله إن شحَّ فلا يكلف إخراج ماله ، وإن سمح عن غير تكليف لم يمنع من فعله ، وقد أمرنا بكل مال تبايعه الشراح بينهم فأصله لمالكه ، ولا يُنزع من يده ولا يؤخذ منه فيه إلا رسم القَصَبة ، ما

---

(١) في السيرة: وآمر بكم. ولعل الصواب ما أثبت.

لم يستغرق جملة الخراج أو يدري به ، والواجب من رأس الغلة يلحق القصبة بقدرها ، ويلحق صاحب الملك بقدر ما معه ، ولا يحمل الخراج على صاحب الملك من دون الشارح ، بل يخرج الخراج من الرأس ، وثبوت كلٍّ منه بقدر ما يصير إليه ، وقد جعلت لهذا القائد الشد بكل من خالف أمري في شيء مما أمرت به ، فمن أتى منه خلاف [أمري] أمر الوالي بحبسه والشد عليه ، فإن لم يفعل الوالي ما يرى القائد من الصلاح فقد جعلت عند ذلك للقائد أن يحبس من يستوجب الحبس ، ويعاقب من يستحق العقوبة ، وذلك بعد البينات ومشاورة من أمرته بمشاورته ، وخروج الأمر من قِبَلي من بعد وصول الكتاب مطلقا على ما يجري من الأحوال في البلد كلها ، وفي البلد من يجري بينه الشُّجْرَة ، فمن أتاه مستعديا رَفَعَه إلى الوالي ، فإن كفاه بعد وجوب الحق لمن يجب له اكتفى بذلك ، وإن لم يكف الوالي عذر على الظالم وحبسه بما يوجب الحكم عليه ، والسلام.

وكان بنو الطيب قد قَصَدوه وأتوا بمال لهم معونة له على الخروج إلى تهامة ، وسألوه أن يجعلهم ولاتها إذا افتتحها ، فأوجب لهم ذلك ، وسألوه تعجيل انحداره تهامة ، فأرسل إلى جنوده أهل اليمن وأهل طاعته يشاورهم في ذلك ، فرجعت كتبهم إليه: يا سيدنا الأمر أمرك ولا نتأخر عما تأمر ، إلا أنا كما حَطَطْنا من سفرنا من غزاة نجران ، فأمهلنا يا مولانا أو نصلح خيلنا وركابنا وعُدَدنا ، وكتب إليهم قصيدة مع كتبهم.

[وصية لولده سليمان]

كتب الإمام عليه السلام في آخر كتاب كتبه إلى سليمان في فصل منه ، وسليمان أكبر سناً من الحسين يقول فيه: يا بني قد شكوتَ أخاك الحسين ولا أُحب منك أن تُجاريه في شيء ولا تجره عليك ، فهو صبي والصبي يكون ضعيف العقل ، قليل الصبر ، فَعُد عليه بعقلك ، وعلى صغر سنه بكبر سنك ، فمثلك عاد على أخيه وابن أبيه وجده بالرفق ، رَفَقَ الله بك وبه ، وجمل أموركما ، وألف بين قلوبكما على البر والتقوى ، وقد كتب إليّ أخوك يشكوك فاكتب بالعذر إليه ، وبالتهنية في مولود له سميناه محمداً عرفكم الله بركته.

[وصية لولده الحسين]

وكتب إلى ولده الحسين كتابا يَعظه في جفاء أخيه ، يقول فيه: يا بني قَدَّمت الجفوة من صغرك ، فأصلحك الله وبلَّغك أفضل أملكَ بمنِّه وطوله ، وذكر لي أصحابنا أنه يجري منك لأخيك منك جفاء ومن قلة سماع ، وهذا يا بني ما لا يحسُن لك ، إن من الواجب مراعاة الصغير لمن هو أكبر منه ، فراع أخاك وقدره يُرعك ويُقدِّرك ، فقد رأيت تقديره لأخيك جعفر حيث هو أكبر منه ، ولا تكونوا كَجُفَاة البَوادي ومن لا أدب له ولا عقل معه ، والله يُعيذني فيكم أن تكونوا كذلك ، واحرص يا بني أن لا أسمع عنك إلا بكلام جيدٍ أَفرح به ، وأشكرك عليه ، وقد ولد لأخيك ولد مبارك عرفكم الله بركته جميعا ، وألحق الجميع نفعه ، والسلام.

[كتابه إلى أبي الطيب داود بن عبد الرحمن الحسيني]

بسم الله الرحمن الرحيم

من بعد الصدر يقول في فصل منه: ومما وقفت عليه منا أميت إليه في حال أفراد الكتب والقوم ، فنعم القول – يعني بذلك أهل طاعته باليمن – إلا أنهم لبسوا البعد ، وقد تجشموا معي ما لم يكونوا يحسبون أنهم ينالوه ، ونجران وصعدة وتهامة عندهم بلاد بعيد ، سيما تهامة لأنهم يخشون بها الوباء ، والقوم فنعم القوم مع غالب طمع فيهم ، وقد أرجو أن يبلغنا الله المأمول ، وذكر سيدي أدام الله عزة ماله وأباح محبة إنفاقه ، وما أعلم أنه أرسل به إلا للإنفاق عند وقت الحاجة إلى ذلك ، وقد نرجو أن يفتح الله بخير ، وإن نلتم إلى ذلك الوقت ما يوصل الجيش إلى جانب تهامة ، وعسى أن يكون ذلك بالبلد ما يحمل مؤنته إن شاء الله تعالى ، فلا يكون لسيدي أعزه الله تعالى هم من سيدي ولديه فهما بحمد الله تربيا من حلا بأرضه ويظهر أن كل شوح تولى به ، وقد بنو بنوه ، وقد أضامنا ، وطابت أنفسهما بالمقادم ، وليس هذه الخمسة الأشهر الباقية إلا كيوم مع العافية ، والسلام والاستمكان من المصلحة.

وأتاه يوما خصمان من أهل طاعته قد طالت التراعة بينهما في حصنهما عند القضاة والحكام ، وذلك في شُفعة طلبتها صبية بالغ وادعا المشتري أنها قد ضيعت شفعتها ، وأنها قد جاوزت حدّ البلوغ فلا يجب لها إذ ذلك شفعة ، وأتى وكيلها بالشهود على نساء يشهدن بأنها طلبت شفعتها و لم تبلغ بعد ، وأتى بعدالتهن في ذلك ، وأتى كل واحد منهما ببينة في طول نزاعهما

واستماع الحكام لهما ، فاستمع أقاويلهما حتى أتى على جميعها ، واستفهم كلا عن نفسه وبينته ، ثم أخذ قرطاسا وكتب فيه الحكم في ذلك نسخة الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضر إليّ أبو رعيل محتسبا لخديجة ابنة أحمد القافل فيما تطلب من مال لها فيه شفعة ، نظرها عن طلبها أن لم تكن بلغت ، وناكر في ذلك محمد بن يوسف وادعا أنها كانت بالغا في وقت شرائه ، فسألنا كلاهما البينة على صحة قوله ، فأتى أبو رعيل المنازع لخديجة هذه ابنة أحمد والطالب [1] لها شفعتها بشهادة معدلات أنها لم تبلغ في حال شراء محمد بن يوسف ، وأتى محمد بن يوسف بمشهد نساء معدلات أنها ذات نظائر ولدن بمولدها وأنهن بلغن ، فنظرنا في ذلك أقوالهما وما أوردوا في ذلك ، فلم يجدوا في ذلك أبلغ من هذه المرأة بنفسها لمعرفة كل امرأة بحالها دون غيرها ، فأوجبنا لهذه المرأة أن يكون القول قولها مع يمينها على ما تَدَّعي من أن لم تبلغ إلا في حال طلبتها لهذه الشفعة ، وأما ما تناكرا فيه في حال البلوغ وبلوغ النظير في الميلاد ، فذلك حال متفاوت ولا يتفق لكل طبيعة وغريزة يحكم بعضها على بعض ، وقد وجب لمحمد بن يوسف هذا على خديجة ابنة أحمد اليمين على دَعواها على البلوغ ، وأنها لم تبلغ إلا في حال ما طلبت شفعتها ، ثم لها ما طلبت وله قبض ما سلم في المال من النقد منها تاما وافيا غير آجل ، وإن نكلت عن اليمين فلا

(١) في السيرة: وللطالب. ولعل الصواب ما أثبت.

حق لها قبله ولا شفعة لها عليه ، وكتب القاسم بن علي بخطه ما جرى بينهما به الحكم في شهر ربيع الآخر من شهور سنة تسعين وثلثمائة سنة.

فكتب الإمام عليه السلام كتابا ، وأمرني أن أنهض به في السوق فأقرأه بعد أن أمر أن يجمع كل أهل عليهم في كل سوق من أسواق القرية ، نسخته:

[كتابه إلى أهل سوق صعدة]

بسم الله الرحمن الرحيم

معاشر الرعية مَن تجوَّر هذه المدينة أن قد كثر شكيتكم لنا وتظلمكم منا ، ولسنا عنكم بمحجوبين ، ولا لأذيتكم [1] بمحبين ، ولا نطلبكم بمزيدين ، وقد جمعنا وإياكم بلد لا يَستغني فيه بعضنا عن بعض ، ولنا أعوان لا يزالون يطلبون لنا منكم عون الجار لجاره ، من حاجة تشترى ، أو خلة [2] تقتضى ، أو معونة تبتغى ، أو زكاة تؤدى ، فمن طلب إليه أعواننا في شيء من ذلك فليطالبهم بصحة الأمر منا ، وبالحجة لاعتراف بما صيّر إلينا ، فمن لم يفعل ذلك ونالته مظلمة فلا يلم إلا نفسه ، فقد أعذر من أنذر ، ولم يجز من حذر إلا وقد أنصف الرعية من لم يحتجب عنها ، ومن مكّنها من الخطب عن مكروهها ، ولم يجعل الكبر لقاءه لمن يحب الانبساط منها ، ألا فمن أتاه مكروه فمن نفسه ، والسلام.

---

(١) في السيرة: ولا إذا لكم. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: حلقة. ولعل الصواب ما أثبت.

[رسالته إلى الهمدانيين باليمن]

وبلغه رسول عند ذلك من الهمدانيين باليمن بكتاب يشكون فيه تأخر أرزاقهم ، وغفلة الناظر في أمورهم ، وكان قد حضره بعض عماله بالناحية ، ورفع إليه أعلام البلد ، فكتب إليهم جواب كتابهم ، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

أنتم أيها الأخوة تولى الله سلامتكم ، وأتم نعمكم ، وصان من الأسواء مُهَجَكم ، من لا يجهل حقه ولا يتساوده ، وقد وقفت كتبنا عنكم منذ مدة من الزمان ، لا عن قلى لكم ، ولا كراهية لمكاتبتكم ، بل النفس إليكم يشهد الله طامحة ، والنية فيكم متجددة ، ولم تتأخر كتبي عنكم ، واتصال أمري إليكم ، إلا لاعتمادي على أخي وسيدي أبي محمد القاسم بن الحسين الزيدي أيده الله تعالى ، فلما كان في هذه الأيام وردت علي كتب من ناحيتكم يشكو من أنفذها تعذر الأحوال ، ووقوف ما وقف من أرزاق الجميع ، فيعلم الله لقد غَمني ذلك وساءني ، ثم حقق لي ذلك كتاب وصل من الشريف يشكو تعذر الأحوال عليه ، وعدم الواجبات في سائر مخاليفه ، فلم أكذبه و لم أعذره ، إذ علمت أن التفريط ممن قلده الواجبات لا منه ، ولو عدم كل شيء لما عدم في صنعاء طرفاً مما يدفع به الوقت ، لكن أغنتم من هنالك بعده واشتغاله ، وقد عدت باللائمة عليه إذ ولّى خراج بلدانكم من لا يقوم بأمانته ، ولا يؤمن من خيانته ، فقد كنت وليت في عام أول من وثقت به ، وأكثر في ذلك قوم ، وقالوا: وليت أصحابي ليدسوا إلي من خراج البلد ما آمرهم به

، ولَعنة الله على من دعته نفسه إلى هذه الهمة الدنية ، وبمن ظن ذلك وبإياي ، والساعة يا إخوتي فأنتم المخيرون [١] والمشاورون فيما يستأنف ، فإن تحبوا أن تُجعلوا أمناء ترضونهم رضينا من رضيتم ، وإن تحبوا أن تقلدونا النظر في أمور هذا الخراج قَلّدناه من نثق به من أوليائنا ، ومن نأمنه على أنفسنا.

واعلموا أن في البلد عندكم من قد أخربه علينا وعليكم من سَفَل هذه الرافضة ، دخلوا للسلطان فضربوا على عمالنا ، ودخلوا لمن يحتالنا ، فأوهموهم أنا لا نستحق ذلك ، فمن خائن لخراجه ، ومسلم لما يخون فيه إليهم ، ومن متكلف خراجا إليّ بأسبابهم ، والله يحكم بيننا وبين من يبغي [٢] علينا ويجحد بأحقنا ، وهو خير الحاكمين ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [الشعراء:٢٢٧].

كيف يرجو من غل زكاته عمن وُكّل بتصريفها قطر السماء؟! أم كيف يرجو من الله الهدى؟! أجل لما وضع الرجاء في موضعه ، ومن أطاع شياطين الإنس ، وخلا من يسعى في صلاح البلاد والعباد ، فلعنة الله على الظالمين الذين يَسعون في الأرض فسادا ولا يصلحون.

وبعد أيها الإخوان - رعاكم الله - فقد علمتم كيف كان مَدخلي معكم وبأيديكم كتابي ومنه نسخة عندي ، وقد وجهت بها إليكم ، فإن كان منكم استقامة على ما جَرت فيه المعاملة بيننا وبينكم ، كنت لكم على ذلك

---

(١) في السيرة: والمخيرين. والصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: يبتغي. ولعل الصواب ما أثبت.

ما دمتم متعلقين بي ، وإن لم تكونوا على ذلك ولا على ما جَرت به المعاملة منكم لم أشغل نفسي بكم ، والله يعيذكم أن ترجعوا عن عقد عقدتموه ، وإذا التزمتم بما قد جرى به الشرط بيني وبينكم أديتم واجباتكم وأدى لأدائكم أكثر منكم ، ورثتم البركة في أنفسكم وأموالكم ونالتكم رسومكم ، وإن لم تفعلوا ذلك أثمتم وكنتم قدوة لمن سواكم ، فاعملوا سبيل خير يحسن بكم وينسب إليكم ، تنالوا خير الدنيا والآخرة.

والله أسأل وإليه ابتهل في صلاح حالكم ، ودفاع السوء عنكم ، وحُلول الخير بأرضكم ، وجمع كلمتكم على البر ، إنه قادر على ما يشاء وهو حسبي وكفى ، وقد حضر عندي من العمال نفر وشاورني في البلد فأمرتهم بمشورتكم ، واستطلاع ما عندكم ، فإن كنتم على العهد الأكيد اعتملوا بدفع مَعهد أمرهم فيه بنصب الخُراص الثقات في نواحي البلد والأمناء الحفظاء ، وتبديل من في المجلس بمن يوثق به ، ليلتئم من الجميع ما يجب لكم ، وليس ذلك بمعدوم إذا رفعت الأيدي الخائنة ، وإذا كل فيما يلي الأمانة ، والله يوفق الجميع لما فيه الخير بمنه.

[كتابه إلى أبي جعفر أحمد بن قيس الضحاك]

وأرسل في خلال ذلك كتابا إلى الأمير أبي جعفر أحمد بن قيس بن الضحاك ، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الأمير أطال الله بقاه ، وجعلني من الأسواء كلها وِجَاه ، قد تحقق محبة وليه فاكتفى بذلك عن ذكره ، وقد ضمنه أمره وبلده ، وصحابة توجب كل ذلك المشورة والمكاتفة ولأعبائنا عنه جميعا ، وقد كنت قلدت ابن عمي هذا الشريف الزيدي أمور البلد ، واكتفيت به فكفاني في وجه ، وَضيّع في وجهين عليهما تحمل السلطنة وذلك الخراج والجنود ، ثم قد تراءيت أن أسأله ترك النظر في هذين الوجهين ، وأن يلتزم بصلاح ما يعاني من أحوال الناس في البلدان ، وبيني وبين الأمير أيده الله تعالى عُمال ، وكل منهم شاكٍ لصاحبه ، فعماله - أحسن الله توفيقه - يشكون إليه من عمال الأمير مثل ذلك ، ويذكرون أنه حط ابن مثقال وناساً ولا أدري ما هم ، ويذكرون أن ابن مثقال دعا إلى تسليم ما عنده ليقتدي به الناس ثم يرد إليه ، فقال: لا أخلطه بما يحرمه على الزكاة لا يقبضها إلا إمام ، ثم إن أكثر أهل ذلك البلد لزم كل زكاته بهذا الحال ، ولزم قوم من غير أهل البلد الجُند ، وقالوا: لا نؤدي وابن مثقال حطيط ، وتخاليط أيضا في حال ما يقبض للأمير شيء من حقه ، فيقولون: قبضوا بلا مشورة وباعوا بلا مشورة ، ونحو ذلك مما يوجب تلف الخراج من قابض لا يوصل ما قبض ، ومعتل بذلك فيما يلي ، وقد انبسطت

إلى الأمير أخي وسيدي فيما لم أحب أن أذكره ، وبالله ما ذلك مني شحة في شيء يصير إليه ، بل ذلك شكيّة لما أعلم أنه غير عائد علي ولا عليه ، وقد تراءيت ما أعلم أنه رأيه لا يخالفه من رفع الحطيط جملةً ، اللهم إلا أن تدعو [1] إلى ذلك جائحة فيكون بعد قبض في حقوه ، وأن يبعث لقبض خراجه من يثق به وأبعث من أثق به ، ثم يؤخذ على الجميع أن يسيروا مع الخراص الذين يستأمنون ويستحلفون ، فلا يخرصون شيئا إلا كتب في نسختين بأيدي أولي النسخ ، وبأيدي أوّلا نسخة ، لتشهد إحداهما على الأخرى ، فإذا وقع قَبَضَ الجملةَ نَصَب للخزائن في كل موضع أمين ثقة ، وأوصل إليه العمال ما يقبضون ، ثم لا يكون للعمال فيما يرد الخزائن على أنها يد ولا أمر ولا نهي ، إلا لمن يأمر ممن يصرف الخراج بأمرنا جميعا ، فأيّنا دعته قبل القسمة حاجة لما يكثر أو يقل ، كتب إلى ذلك الخازن بخطه فيما يجب قبضه ، وكان الحساب وقت القسمة والاحتساب فيما تؤديه [2] الخطوط ، وكذلك المجلس بصنعاء يكون عليها من يرفع حسابه كل ليلة إلى أمين يفرقه على يديه بأخذ الأمين خطوط أهل المجلس بما يسلمون إليه ، فلهذا فانحزم ما يعني به هؤلاء العمال ، فإن رأى أيده الله ذلك رأيا فليشد عزيمة محبه في ذلك ، وإذا رأى غير ذلك فالرأي رأيه ، والمحبوب عندي ما أحب ، قرأت السلام عليكم كثيرا طيبا.

---

(١) في السيرة: تدع. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: تؤدبه. ولعل الصواب ما أثبت.

[كتابه إلى عماله وأوليائه]

وكتب كتاب عهد إلى عماله وأوليائه ، وجعل في كتاب عهده أنه قد جعل عبد الله بن أبي سهيم ، وعلي بن أبي رعيل ، مطلعين على العمال وناظرين في عملهم بما يوجب النظر ، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

قد جعلت لكم يا جماعة شيعتي وأوليائي أن يكون كل عامل منكم على مكانه ، وأن يكون أبو سهيم وأبو رعيل على الكل منكم ، وأن يأخذا بمن أقامه أخي أبو جعفر رعاه الله بالنصفة والترك للاستبداد برأي دون أحد ، ممن ينصب في دقيق من الأمر أو جليل ، وأن يقدم للخرص من يقع عليه الاتفاق ، ليسر مع كل خراص موضع عمال ذلك الموضع ، كلما خرصوا أرضا كتب عمالنا ذكر مبلغها ، وكتب عمال الأمير مثل ذلك ، ووقع كل في دفتر صاحبه بصحة ما وقع فيه ، فإذا كمل الخراج احتفظ كل بدفتر ، فإذا وقع قبض الغلة ، نصّب في كل موضع خازن أمين يرضاه الجميع ، ثم يسعى عمال كل موضع في قبض ما في دفاترهم ، فقبضوا ما يقبضون مجتمعين ، وأعطوا خطوطهم من قبضوا منه ، وصيّروا ما قبضوا إلى الخازن ، وأخذوا منه خطا[1] بما قبض ، وأعطوه خطوطهم بما سلموا ، ثم لم يكن لهم معه يد بشيء أصلا ، ولم يخرج هو شيئا إلا بخط من يتصرّف في هذا الخراج مني أو من

(١) في السيرة: خط. والصواب ما أثبت.

الأمير ، فتكون خطوطنا لهم حجة بقبض ما يقبض ، وكذلك كلما يستغل من عُددٍ أو تبن أو قضب أو فواكه أو حصر أو زكاة نقد أو عرض ، وكذلك ما يكون بصنعاء في سائر المخلاف الذي يجمعني وأبا جعفر رعاه الله ، فلا يكون لهذين الرجلين شغل إلا ترتيب من يثقان به ، وإذا كتبت نسخا يبقى مع أصحابي أَمَرَ كاتبا ينسخ تلك النسخ كلها وقبضها ثم رفعها إلي مع ثقة يوصلها ، ولا يفرط في شيء أن يُكتب دَقَّ أو جَلَّ ، وهذا الكتاب قد كتبته لأبي سهيم وأبي رعيل بما وليتهما من الإشراف والتولية لمن يختاران لي ولايته، والعزل لمن يريان عزله ، فليُجز لهما ذلك الوالي والمولى عليه ، ولا يعرض لهما أحدٌ إلا بجيز قِلْدَتِهما ، والسلام ، وكتب الإمام القاسم بن علي بخطه صلوات الله عليه وذلك في شهر ربيع الآخر سنة تسعين وثلثمائة.

[كتابه إلى صبرة بن أبي الصباح]

وكتب كتابا إلى صبرة بن أبي الصباح ، وكان قائدا مطيعا في وادعة في أعلا الوادي ، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابي يا أبا الحارث أسال الله حفظك ، ودفاع السُّوء عنك ، هذا الواصل بك من بعد أخبار اتصلت من بني الحارث لا رعاهم الله ولا حاطهم ولا حجبهم بخير ولا جاز لهم ، و لم يأتني بها كتاب فأعمل عليه ، ولا أتيقن به في تصحيح الأمر ، وقد أسألك أن تكتب إليّ بصحة الخبر ، ومن بدا بهذه الفتنة المهلكة للظالمين والثواب للمؤمنين ، حتى أعمل بذلك ما يرتق هذا الفتق ، ونجزي من أساء بعمله ، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣] ، وغرضي [(١)] نية همدان ومن دخل مع هؤلاء القوم ، فقد بلغني عن اليامِيين أنهم قالوا للقوم: شدّوا عزيمتكم فلسنا إلا معكم ، والله المستعان على الجميع منهم ، و لم يعد الله إلا خيرا ونصرا لأوليائه ، فالله الله في عشيرتك همدان اعزلها فتنتنا والبغي علينا ، فكل أحدٍ يسهل علينا نكايته وعقوبته ما خلاهم ، والله بَيْنَنَا وبينهم وهو الشاهد علينا وعليهم ، وكفى بالله شهيدا بين العباد ، والسلام.

---

(١) في السيرة: وعرضي. ولعل الصواب ما أثبت.

ثم وصل رسول يخبر بصحيح ذلك من القوم ، فثنى الإمام عليه السلام بكتاب إلى صبرة بن أبي الصباح بعد الكتاب الأول ، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد أن نفذ إليك كتابي أسال الله حفظك ودفاع السوء عنك ، بالمسألة عن أحوال الفتنة وما كان هنالك ، وصل إلي من صَحَّح لي ذلك فأنت تعرف يا أبا الحارث ما قد أوليت جميع من بالوادي ، وإني مِن أكره الناس لقبح يتصل بأحد من العرب ، ثم قد تبين القبيح من هؤلاء القوم من غير يدٍ سيئة قدمتها ، فالله على ذلك المستعان ، وأنت فعيني التي أنظر بها هنالك ، وأذني التي أسمع بها ، ولساني الذي أتكلم به ، وقد سمع هؤلاء القوم في دولتنا مرةً بعد مرة ، وقد ذكر لي أن الكَعبي قد دخل معهم في هذه الدورة ، وقد أرجو أن لا يكون ذلك ، فانظر لا عدمتك أحوال الناس ، وأصحها كما يجب الصحة حتى تستقر المعصية في موضعها ، ثم كنت مجزيا كلا عن عمله بالخير خيرا وبالشر شرا ، ولا يكن لجوابك بعد كشف الأمور عني وقفة.

[كتابه إلى أبي الغيث بن جعفر الطائي]

وقد كان بلغ الإمام عليه السلام كتاب من أبي الغيث بن جعفر الطائي ، فرد جوابه أيضا مع كتاب صبرة بن أبي الصباح ، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

أسال الله حفظك ودفاع السوء عنك بمنه وكرمه ، وقفت عليه وذلك بعد أن وصل رسول من القائد يذكر ما جرى عليه من هذه العشيرة الناكثة الغادرة ، وذكر أنه حضر مع من حضر من بني عبد المدان رجل كَعبي فغمني ذلك ، ثم وصلني كتابك تذكر أن بني كعب يقولون: إن بني كعب عمل على صاحبهم ليدني أصحابه من الفتنة ، وقد أرجو أن لا يكون الأمر كذلك ، ولكل قوم تجهل دليل على المعرفة ، فإن يكن القول كما ذكرت فعجلاً ببني كعب معهم ، ومن حضر هذا الأمر من الكعبيين ، وأن يكونوا ندموا على مخرجهم من أصحابهم ، فقد تعرضوا والله يختار ما فيه الخيرة.

وأما ما ذكرت من الرسالة وما خشيت في الحقل ، فكل ما قبلي [1] فليس فيه فساد ، وأنا في عزٍّ بحمد الله أبلغ به أقصاها وأدناها ، وأرغم به كل عدو لله وأؤيد به كل أولياء الله وأوليائي ، فعجلاً عليّ بجواب هذا الكتاب فإني أول طائع لإرغام أعداء الله وأعدائي بحول الله وقوته لا بحولي وقوتي ، وقد كتبت إلى ابن هاشم كتابا هو طي كتابك فجد لي جوابه ، وحصله

(١) في السيرة: ما قتلي. ولعل الصواب ما أثبت.

تحصيل الرجال ، ولا تدعه في غمة من أمره غير بين ، فإن يكن الرجل على ما يعهد منه فلن يزدد إلا علواً وكرامة ، وإن يكن غير ذلك والله يعيذه من ذلك أيسنا منه ، ولم نشغل أنفسنا بمغرض عَنا ، وكان في الله وفي أوليائه العوض من كل من خلا سبيل الصلاح ، والسلام.

[كتابه إلى المنصور بن أبي روح]

وكان نسخة الكتاب إلى المنصور بن أبي روح:

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابي يا أبا هاشم نسأل الله حفظك ودفاع السوء عنك من بعد ما بلغني بما غَمَّني ، ومن مدخل من ذكر من أصحابك مع غواة عشيرتك ، وليس ذلك مما كنت أخشى من ناحيتك افتتانا عليك وعلى رجال بني أبيك ، فليس ذلك بمنكر أحضرتم من غوي من أصحابكم ، وأبعدتم بذلك أنفسكم من غيركم ، وأبعدتم الدنس من ثيابكم ، عِرضا كان نقيا من الغدر والمكث ، وتركتم السيء لمن طلبه ، والمكروه لمن يعرض له ، وصنتم جانبكم ، وأبنتم مكانكم من غيركم ، وأرجو أن لا تفعلوا غير ذلك ، وأنا بكم واثق لوجوه:

أما أولها: فإنه لم يأتني منكم سيء ولم يأتكم بحمد الله.

وأما الآخر: فإنكم أهل بيت في منصب يبعدون في أنفسهم من الغدر ، ولا يقربون الخنا.

وأما الآخر: فإني لم أقدم إليكم يداً سيئة تقربكم من مكروهي ، فانظر يا أخي وجميع من يليك فيما يحملكم من الرأي ... إنكم تكذبون ثم أمر من يدعو له الحسين بن المختار عَمّ المليح ، فلما وَصل أقرأه الكتب ، قال: يا مولاي أنا بريء من فعل ابن أخي إليك ، فقال: فلا بد من أحد وجهين: إما كنت صاحب البلد تنزل على تحكمي ، فخيَّره بين أمرين: إما أن يصل قائده ، وإما أن يكره قربي وإنفاذ الحكم عليه مني ، فسحت له في الذهاب عني في

بسط الأرض من غير أن يقصد شيئا من مخلافي ، فإن لم أكن صاحب البلد وكان قد عزم بالمبادأة فيستقم.

قال الحسين بن أحمد: الأمر أمرك فما شئت نفّذ ، والبلد بلدك ومن فيه خدمك ورعيتك ، قال: فامض فاعرض هذا عليه ما ذكرت لك ، فلما بلغ الحسين بن المختار ابن أخيه المليح أرسل المليح عند ذلك إلى رجال من بني سعد ، وقال لهم: خرج من بين أظهركم ولا تدفعوا عني وأنا شريف بينكم وسلطان لكم ، فقالوا: لا معذرة لنا يا شريف فإلا ما بعد أن ملكنا نحن وأنت أنفسنا بالبيعة التي في رقابنا ، قال: فصلوه ، فأرسلوه أن خذ في بالحق ولا تقبل علي قول من لا يصدق قوله ، فوصلوا الإمام عليه السلام برسالته ، فاستغضب الإمام عليه السلام فقال: لا جزاه الله خيرا ولقّاه عمله.

فقال للإمام عليه السلام عمه الحسين بن المختار: فعل الكتاب كذب عليه ، والناس يكذبون على الناس ، فقال الإمام عليه السلام عند ذلك: يا أبا عبد الله ما لك لا تكتب إليك الفساق ويكذب عليك الناس ، ويختم إليك كتبهم الناكثون والمفسدون ، فسكت عن جواب الإمام عليه السلام عند ذلك. فقال له الإمام عليه السلام: فما عذري في الظالمين عند الله؟

فقال له الحسين بن المختار عند ذلك: يا ابن رسول الله في منازل بني المختار حُرَمٌ ذرية لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وأنا أخشى أن يفوت إليهم فائت أو يرتاعوا إذا باديته.

فقال له الإمام عليه السلام: لا أروع الحرم ولا الذرية ، ولكن الله يمكن من أعدائه.

وعاد الإمام عليه السلام فأرسل إلى أهل صعدة فارتاعوا من إرساله لهم ، فلم يأته إلا رجلان من حملة السلاح ، ورجلان من مشيخة التجار ، ولطف بينهم الإمام ولين لهم الخطاب فاطمأنوا ، وقال: قد حدث ما غمني وأردت أن أعتهد مرادكم وأنبهكم من ذلك.

قالوا: يا ابن رسول ما كادنا ولا دخلنا ولا عاملنا ولا لنا علم ، نحن في أشغالنا مقبلين عليها.

قال الإمام عند ذلك: أنا علمت أنكم لم تعلموا و لم تشاوروا ، ولكن لم يدعني الظالمون ولا إياكم وأشغالنا ، وإنما أنا في شأن استقامتكم.

فقالوا: يا مولانا نحن لك رعية جميعا فاختبرنا ، فصرفهم الإمام عليه السلام وأمرهم أن يشدوا على أصحابهم ألا يشذّ منهم شاد ولا باغ.

فلما كان من الغد وصل الإمام الشريف إبراهيم بن محمد بن أحمد الرسي رسولا من المليح بأنه يحلف ما رضي بهذا وما إذاً قبله.

قال له الإمام عليه السلام: دعنا يا أبا إسماعيل وكثرة النفاق والمحال فقد اتضح ، ولو كان ذلك لما أرسل إلى حاكم الشرطة فعتب عليه في حبس الرسول وأخذ كتبه وتوعده ، دع عنك ما لا يصح.

ثم اجتمع إلى الإمام عليه السلام جماعة من السعديين مع بني المختار بني عم المليح وأعمامه ، فقالوا: أؤمرنا في المليح بما شئت ، قال: ما خبرته على لسان عمه ، قال: لا بد من أحد الوجهين ، قالوا: فانظرنا له يومين يترتب للنقلة حيث نعرفه فأنظرهم ، فلما عزم على الذهاب والنقلة ، وصل إلى الإمام أعمام المليح وإخوته ، فتضرعوا إلى الإمام ألا يخرجه من منزله ويعود عليه

برحمته ، وهو يتحرّى رضاءه ولا يدخل فيما شاءه ، فلما رأى الإمام ذلك منهم وعزمه على الرحيل عطف عليه ، وقال له: اكتب له كتابا لا يتعدَّى ما يرسم لنا ولا يتعداه ، فكتب الإمام عليه السلام بشريطة الطاعة ووكل عليه الاستقامة ، ولا يقبل منه أبداً صرفا ولا عدلا.

وكان الإمام عليه السلام كذلك حتى بلغه جواب كتابه إلى بني الحارث منهم ، نسخة كتابهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

وَصَل كتاب سيدنا ومولانا ، وفهمنا جميع ما ذكر مما بلغ من جهتنا ومن الخلاف ، وقد كان الإمام عليه السلام ولّى علينا خادمه من غير رضاء منا ، فلما وصل بلدنا سار فينا بالجفاء وأغلظ ما يكون من السيرة ، وصبرنا على ذلك وملّكنا رقابنا من ملّكها سيدنا الإمام ، وكنا على أعربتم حتى جاء من صبية منا ما جاء من غير مشورة ولا رضاء ، ثم خرج منا هذا القائد وتبعناه وسألناه الرجعة على بلدنا وأن نحبس له ونرضيه ، فلم يجبنا وسامنا ما لم يطق ، وكان يسير فينا بما لا يستوجب ، لا يسمع لنا كلاما ، ولا يرعى منا ذماما ، ولا يوقر منا شيخا ، ولا يوجب لنا حقا ، وقد جاء ما جاء بلا اختيار منا ، وعز علينا بمفارقتك ، وإن كانت بلدنا غير رعية وبالله ما يقوم خيرها بشرها ونحن نسألك أن تعفينا على بلدنا ، فإن عفيتنا شكرنا ، وإن حملتنا على المكروه احتملنا ذلك وصَبرنا على ما كلفتنا من المكروه.

فقرأه الإمام عليه السلام فاشتد عليه ما أبدوا من الجفاء والخلاف ، والنكير عن الطاعة والانحراف ، والنكث وقلة الإنصاف ، فقال الإمام عليه

السلام عند ذلك: اللهم إنهم سليل الطغاة الفجرة ، المبغضين لأهل بيت نبيك ، المشبهين لك ، العادلين بك ، ونحن حلف الهدى من أوليائك ، فأذقهم العذاب الأليم ، وجنبهم الصراط المستقيم ، وانصرنا عليهم نصرا عزيزا ، واجعل [لنا] عليهم سلطانا نصيرا ، واختر لنا في ذلك بما ترى لنا فيه الخيرة ، فلا كراهية منا لاختيارك.

[كتابه إلى أهل طاعته]

وكتب كتاب دعوة أهل طاعته إلى القيام عليهم والمهاد لهم ، وكتب إلى ولاته يحضهم على تحريض من ولايتهم من أهل الطاعة ، ونهض عليه السلام من صعدة إلى عيان يوم الخميس لأربع خلون من شهر جمادى الأولى من سنة تسعين وثلثمائة سنة.

قال الحسين بن أحمد: فلما بلغ عيان وجه كتاب دعوة فرقها نسخا إلى أقطار مخاليفه ، نسختها:

بسم الله الرحمن الرحيم

كتبت يا إخوتي أحسن الله رعايتكم وصرف عنكم جميع الأسواء ، وأنا واثق بالله وبكم ، مستجير على ما نشأ في الكفر والنفاق ، وبعد إن الغدر والشقاق مع خبيث المواد ، ونجاسة المحتد أعداء آل محمد المتناسخون لبغضهم ، والمخالفون في كل عصر عليهم ، أولئك بني الحارث الأشقياء ، الغَدَرة الأدعياء ، فإلى الله ما حكم الله من قتالهم ، وأوجب من استئصالهم ، أدعوا أولياءه ، واستنصروا على أعدائه ، وأذكرهم من حكمه في الظالمين ما يقوى بفتنهم ، وبسط على المخالفين أيديهم ، قال الله وقوله الحق المبين: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ

مُؤْمِنِينَ ۝ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة:١٣-١٥] ، فعجلاً عجلاً إلى اتباع أمر الله في القوم الظالمين ، الذين بدلوا نعمة الله كفرا وبطرا وغدرا ، لا عن يد سيئة وحنث ذلك ، بل دعوتي في أول الأمر إلى المدخل معهم والولاية لبلدهم ، من قبل أن أدعوهم إلى ذلك ، ثم لم تزل طبائع السوء تستدعيهم إلى السواية [١] ، ولم ترد منهم سيئة إلا عفوتها وعفوت عنها ، وحتى كان من أعقاب سيئاتهم قتل عمالي واستباحة ذمتي ، فنصر الله عليهم بأوليائه حتى وصلوا دارهم ، وقبضوا أساراهم ، فلم أولهم في الأسر عتبا ، ولم أدخلهم حبسا ، ولم أحرمهم طعما ولا مشربا ، بل قدا الله ومن عرف ذلك أني ما بررت ضيفا كبرهم ، ولا اعتنيت بتزيل زائر كعنايتي بهم ، ثم سلمت من لزمت منهم في أسرع وقت ، وسرحت بأجمل تسريح ، ولم أُولهم من القول إلا أجمله ، ولا من الفعل إلا أنبله ، فما استقرت بهم الأرض حتى أبدوا الخنا ، وتداعوا إلى ما يُعقبهم الفنا ، ولم يكتفوا لذلك حتى أدخلوا من القرابة من كنت به واثقا ، وعلى وفائه معولا ، ولبث خادمي ، وكانت أنفسهم إلى قتله مطلعة ، وأرى حيفهم بهم متصلة ، ثم هبط رجل من بني عمي الحسينيين فأرادوا قتله فصرف الله مكيدتهم عنه ، وكذلك خادمي ، وكفى الله شرهم ، فانصرف إلى همدان إلى من له الولاية الأصلية ، والبر والفضيلة ، فأوفى وحاموا عليه وقاموا عليهم معه ، وبعثت إلى المعذرة أذكرهم بما عقدوا لي من أنفسهم ، وأعتب عليهم في قبح فِعلهم ، وكان منهم غرض الفتنة علي ،

(١) السواية: السيئة.

وإظهار المعصية لي ، والنداء باد إليّ ، وصرف عمالي وتبديل سنن آبائي ، وتبديل دعوتي للدعوة لأعداء الله وأعدائي ، وقد جرى بها الأخوة ما قد جرى واستهممتكم له ، وقرعت إليكم من حسن الظن بكم أوضع الرجا في موضعه منكم ، فحاموا عن الأصول الكريمة ، والمناصب القديمة ، واطلبوا بذلك وجه الله والدار الآخرة ، ولا يكن الكفرة الفجرة على باطلهم أحمى من المسلمين على حقهم ، والله يوفقكم لما فيه الصلاح ويغنيكم بمنه وإحسانه ، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد:٧] ، فانصروه ينصركم الله ، واذكروه يذكركم ، واسألوه من فضله يعطكم ، فمن أول عطاياه الغنائم الجسام التي ينالها هذا السبيل منكم ، ولست أنزع من رجل مغنما ولا أخشى عليه بعد فعله مأثما ، ولا أتبعه لوما ، وكيف لا أبيح من أباح ذمته ، ونكث بيعته ، وأحلّ ماله بحنثه عليه ، فأبشروا بالغزو والغنائم وقتل كل غوي ظالم ، فبالله فاستعينوا ، وعليه فتوكلوا ، وهو حسبنا وكفى ونعم الوكيل والموعد على بركة الله ، مستهل جمادى الآخرة إلى عيان على بركة الله وعونه.

[كتاب جوابه إلى الزيدي]

وكان قد بلغ كتاب من الزيدي يذكر فيه ما منحه الله من النصر ، وأنه قد استفتح مخاليف كثيرة فرد الإمام عليه السلام جوابه ويذكر له فيه ما قد حدث في نجران ، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

كتبت جَعَلني الله فداك عن حال سلامة بحمد موليها ، وخرجت من صعدة بعد نذالة بَدَتْ من ذلك القاطع إبراهيم بن محمد المليح ، ووصل خادمه من نجران ومعه كتيب مكنون سره ، وما يجري بينه وبين بني الحارث الأنجاس الغَدَرة الفجرة ، مع عوار كان باديا قبل ظهورنا على كتابه ، وبالله لقد زهدني في الجميل والصلة ما بدا منه ، ولم يعمل هؤلاء الفجار ما عملوا إلا عن مشورة بينهم ، وقد قيل إن ابن عمه يوسف دخل في ذلك الأمر ، ولا أدري ما صحة ذلك ، وما أشك إلا أنه سيبدي كل ما خفي بعد هذا ، إن أيسوا من الناس نكولا لأملٍ قد بلغني أن المعاملة بينهم على أن يُخالف أهل نجران ، ويكون لهم مركز ببلد الربيعة من خولان ، ولم أكذب بذلك ، وكل أقاربي زنادقة عدو لله ولي ، وقد أعرض وجه فتنة لا شك فيها ولا مرية ، فهذا إن لم يكن للناس إجماع وحركة قوية ، فلعل إن كان ذلك أن يشغلهم الله ويطفئ كيدهم ، وقد بَدَا ما قد ترى ، وأنت إمام هذا الأمر وسيف هذه الدولة الموثوق به فيما أيدها وأعلاها ، فانهض في هذا الفتق فليس لي ثقة إلا الله وأنت ، وانهض بعزم وإجماع بلا تكذيب ولا ونا ، فليس يُدفع ما جرى

إلا بالهمم العلية ، والعزائم القوية ، والمذاهب الهاشمية ، ثم لا تَدَع في تحضيض الناس على المخرج مجهودا ، فمن خرج فلنفسه ، ومن تأخر ممن يطول بذلك فعمل عليه ، ومن نهض فأمره يزاد أربعين يوما ، واجعل مخرج الناس لقَدر أن يستهلوا جمادى الآخرة بعيان ، وإن قدرت أن تنهض صنعاء فتسبب ظهراً من الزاد والقوة من واجبنا ، أو دين يدانه علينا ، واكتف بسوقك فالسوق يَحمل العساكر ، ولم تخرج برجال وخرجت بسوق لصحبك من الرجال أكثر مما يُقدَّر ، وإن كنت قد رأيت العشائر لا يناصرون إلا رجال البَون ومن قِبَلك في اليمن ، فالحزم في جميع أمورك لا تدع بلدا في مخلافك من البلدان إلا هدرته وواليه ، وأمرت الكل بالقوة القوية والعدة الجندية ، ولا تحسبن القوم عما عهدت ، مع القوم مادة هذين العبدين ، ومعهم ما قبضوا من الخراج الذي كان هنالك لنا.

وذكر لي أنهم رسموا على كل نخلة في الوادي درهما ، وقد كانوا مرادا ونهد وزبيد ليس يأخذ القوم أمرهم إلا بالحزم ، ونرجو أن لا يكومن معهم من الله توفيق ولا عون ، ومن لم يهده الله فهو ملعون مأفون ، ومع ذلك فإن الناس فَسِلُوا فلا تقال نفسك ولا من يخرج معك عن الخروج إلي ، فنحن في حال اجتماعنا نعلو من الرأي ما تحملنا ، وفي الحضرة اليوم من أهل بيتك أهل الحجاز فوق مائتي رجل ، لو لم ينضم إلينا إلا ثلاثة آلاف لإقامة حرب الكفرة ، مع أن الناس إذا حزمت في أمورك لحقت منهم ما تحب ، واعلم أن يوسف والمليح وبني الحارث ، سيكونون هؤلاء يداً لا شك في ذلك ، وسيجران من عسكرنا من يريد الغدر والشقاق ، فلا جار الله للجميع منهم.

واعلم أنها لم تكن عرضت فتنة إلا من الآن ، وفي ذلك الخيرة ، فإن كان لها قوم فالأمر بيد الله ، وإن لم يكن الناس إلي في سبيل الطغاة ، ففراقهم أقرب إلى الله من وفاقهم ، و لم يخير الله لهم ، مع أني لا آيس من جماعة مسلمة تجاهد في الله حق الجهاد ، كما قال الله سبحانه: ﴿يُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ﴾ [المائدة:٥٤] ، فعجلا عجلا ، وشدّ فيما أنت فيه ، فإن الله معنا ، وقد كنت عرفتك بما طرح في أصحابي الذين استعملت في يدي الأمن من التجويز حتى غمني ذلك وساءني وأمرتك بترعهم من العمل ، وأنا أعرف أنهم أصح ديانة من غيرهم ، وقد بلغني أنه ولي قوم لا يتقون ولا يذرون ، وإذا لا بد من ولاية فيكن ولايتك لأصحابي ، لا لأعدائي الذين يرون هلاك هذه الدولة وفسادها ، مع استحلال الأمانة والحرص والخيانة ، فبمثل قوم لا من هؤلاء ولا من هؤلاء يصلحون بالعمل ويوثق بهم ، واتخذ أصحابي لك أصحابا لإجابتهم ومحبتهم ، واجعلهم لك طلائع.

وكذلك صنعاء فقلل مؤنتها وأعرابها ، واعلم أن صاحب شرطة صعدة حدث منه على من يرتفق في السوق ووفر كل شيء يقدر عليه ، فلا قوام لما نحن فيه إلا بهم ، ولا قوام لهم إلا بما يستخرج لهم ، ولا خروج للأشياء إلا بالثقات الأمناء ، والكفاة الأتقياء.

وأنا أسألك بالله لا سألت من سوء عن أعدائي ، فإذا عرفت بهم فانظرهم بعين العداوة ، ولا تخصهم منك بعناية ، وانظرهم بالعين التي هم بها ، ولا تمكنهم من رأيك ما يخونوا بك فيه ، ولا من سرك ما لا يُستأمنون عليه ، وتضم بذلك عمن لا يضرك ولا ينفعك ، وابسطها لمن فيه النفع والضر.

واعلم أن زمانك هذا أكثر الأزمنة منافقين ، وأقله موافقين ، ووصل كتاب سيدي الأمير أدام الله عزه بما يسر ويبهج ، ولله الحمد على ما منحه من النصر ، ووَصَل ذلك بأمثاله ، إنه على ما يشاء قدير ، وقد وجهت بالكتاب ساعة قرأته إلى صعدة ليغيظ الله به من هنالك من أعداء الحق ، والله معك وهو عونك وكافيك ما يهمك ، وقرأت عليك السلام كثيرا طيبا.

[دعوة عامة للجهاد]

ولبث بعيان أياما ينتظر ما يرد إليه من أعلام اليمن وعزمهم على النهوض معه لجهاد أعداء الله ، ووضع كتاب الله دعوة وتحريضا لأهل الطاعة والبيعة على الجهاد في سبيل الله ، والقيام على أعداء الله ، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام:١]. أما بعد: فإن الله لم يخلق المكلفين إلا ليعبدوه ، ولم يأمرهم إلا ليطيعوه ، فقال وقوله الحق المبين: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨] ، فلما خلقهم الله لعبادته ، ابتلاهم في ذلك ليظهر أهل طاعته ، فيميز البلوى بين المطيعين والعاصين ، حتى أبان كلا بذاته ، كما قال ذو الجلال في محكم آياته: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت:١-٣] ، وكما قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ

نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة:٢١٤] ، ولقوله: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران:١٧٩] ، فبفتنة البلوى ميز الله بين عباده ، فأبان أهل طاعته بالصبر على ما ابتلوا فيه ، وأهل المعصية بارتكاب ما نهوا عنه من معاصيه ، فكاد المطيع أن يعدم لقلته ، واتبع العاصي الكثير لكثرته ، فقل ذلك المؤمنون وكثر الكافرون ، فلم يعذر الله القليل عن أداء مفترضاته ، ولم يسر عن العاصين ما وجب عليهم من عقوباته ، فهم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأنفال:٤٢].

ثم إنكم يا أهل القبلة ومن يجمعه لبستم [١] الملة على آثار من مضى من المؤمنين والعاصين ، فللحق منكم طالب الاتصال للدنيا دون الآخرة ، والآخرة منكم طالب بلا عزيمة ، والدنيا تستدرجكم كاستدراجها لمن فتن بها ، فبأي الحزبين منكم نعمل ، وعلى أيهما نعول؟! أبقوم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور؟! ولم يراعوا خالقهم ولم يخشوا معادهم ، وجعلوا الدنيا وما فيها معتمدهم ، مع استحلال المظالم ، واستحلال الباطل ، والمساعدة على ذلك ، والزهد في الصلاح ، والتكالب على الدنيا والتشاح [٢] ، فهم لا يذكرون الله وإن ذكروا به ، ولا يخافونه وإن خوفوا به ، لم

(١) في السيرة: لستم. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) من الشح، وهو البخل.

يتبعوا أمره وما يجدونه ظاهرا في كتابه ، فالعجب لقوم منتحلين الإيمان بالله ولا يطيعون أمره ، ولا يتبعون سنته ولا يخافونه ولا يخشونه.

أيظن أولئك أنهم مؤمنون أو أنهم من عذاب ربهم ناجون؟! هيهات هيهات هلك أولئك ورب العرش العظيم!! كما هلك الأولون وسيتبعهم الآخرون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ألا فهل من مؤمن محق أو مُساعد موافق ، ينصران على المخالف المفارق ، للذي أبدا للحق صفحته ، وأظهر للناس مخالفته ، أين من يعتقد محض الإيمان ويحدث به نفسه؟! يثبت بنفسه قبل بدأنا للتحسبة ، فلا عرفه الله وجه محمد ، ولا نجاه في يوم القيامة من غضبه ، إلا ويُبدي لي أحد وجهه ، وهو في وَهْمٍ من مقامي ، فإنه لا قوام للحسبة بذوي وهم ، ولا علو إلا بأولي العزم ، ألا وقد داريت بأهل اليمن منذ وليتموني عليكم ، فأطلت المداراة ، ولم أقم أحكام الله فيكم حتى تكلم في ذلك المتكلم ، ولم أسر حق سيرة بينكم لعدم مزية لقوم الحسبة على أهل الباطل منكم حتى الآن ، حين تناهى الباطل وبان أهله ، وساعد كل امرئ مَن شاكله.

فهل لنا من ذوي شكل يعتمد عليه؟! أو من آنس بنفسه يعمل عليه؟! ولا مقام لمحق على باطل بين من لا يناصر ولا يستعان به على أولئك ، ألا وليعلم من يتبعني منكم لدنيا أو لآخرة ، أنا لا نلحق الدنيا إلا بالآخرة ، ولا نلحق الآخرة إلا بالدنيا ، ومن دون ذلك نحن لا نجاوز إلا بالصبر على طاعة الله واتباع أمره ، والقول في ذلك ما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « من طلب الدنيا فأتته الدنيا والآخرة ، ومن طلب الآخرة نالها وانقادت إليه

الدنيا صاغرة » ، يصدق ذلك من قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قول الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [الطلاق:٢- ٣] ، وقوله: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ۝ ﴾ [طه:١٣٢].

ثم اعلموا رحمكم الله أن الله ابتلا بإنفاق أموالكم في سبيله ، وبذل أنفسكم للقتل والقتال دون حريمه ، وصلاح بلاده وعباده ، ولم يجعل لمؤمن أن يأخذ على قتاله أجرا ، إن لم يعطه زال عنه فرض الجهاد ، بل قال وقوله الحق المبين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ﴾ [التوبة:٣٨-٣٩] ، وها أنتم في وقت ذلك فلا تنسوا ما أمركم الله ، ولا تبخلوا بما رزقكم الله عن الإنفاق في سبيله ، وقد علمتم من قوله الصادق قوله جل وعز الآية: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾ [البقرة:٢٦١] ، فأي تجارة تُربح بائعها مثل هذا الربح الذي ينال فيه سبعمائة أضعافه؟! أذلك والحمد لله غير موجود في أي دنياكم ، ولا مستفاد في مكاسبكم ، ولا معلوم مثله عند أحد منكم.

فهل فيكم لهذه التجارة طالب يبذل اليسير الحقير من ماله ، لينال الكثير الجزيل من ثواب ربه؟! والله يقول وقوله الحق: ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [التوبة:١٢١] ، فلا تزهدوا رحمكم الله في عمل يكتب لكم فيه ضعفي نفقاتكم وكثيرها ، فيقطع ما لا تحصون عدده من الأودية التي لا يتجاوزها في سبيل ربكم ، فليس ما وعدتم على ذلك بقليل ، ولا العجز فيه بمثيل.

فسارعوا إلى أفضل أعمالكم قبل حلول آجالكم وفوت آمالكم ، وذروا طول والغفلة عنكم ، فما بعد الكفر إلا الضلال ، وقال سبحانه معرفا بالمؤمنين واصفا لهم بأكرم صفاتهم: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات:١٥] ، أجل صدق الله ورسوله أن أولئك المؤمنين الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم و لم يبخلوا عن القربات إليه بالمضنون من الأنفس والأموال ، وهل يجود بماله إلا من سمح بنفسه وصيرها لحكم ربه؟!

فكونوا رحمكم الله بأولئك مقتدين ، ولآثارهم سالكين ، تنالوا من ذلك الخير ما تنالوا ، وتبلغوا في الآخرة ما هم بالغون.

وقال وقوله الحق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الصف:١٠ - ١١] ، أما والله لا ربحت صفقةُ مَن فاتته هذه التجارة!! واعتاض منها الخسارة!! وها نحن قد رغّبناكم في مواضعها ، فلنا [1] فيكم مدة من دهرنا نرجو جوابكم ، في ذلك [2] ولا تزدادون إلا بُعدا مما نرجو إنفاذه بكم ، فعلى حكم الله وسنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بايعناكم ، وإليه فيما اختلفنا نحاكمكم ، والله يصلحنا وإياكم بأحسن الصلاح ، ويوفقنا لما يحب ويرضى ، إنه على ذلك قدير ، ونعم المولى ونعم النصير.

---

(١) في السيرة: قلنا. والصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: ذرك ذلك. ولعل الصواب ما أثبت.

[كتابه إلى قائد من قادته]

فرد الإمام عليه السلام جوابه ، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل كتابك أطال الله بقاءك ، ووقفت على جميع ما ذكرت ، و لم يخط الصواب في إطلاعك إلينا ما يحدث ، لأن تعمل بحسب ذلك ، وما يوهمون به وما يرجفون ، فلا يروعنك رِعاعهم ، فإن ذلك من شدة ما يجدون ، فسدوا أنفسكم وجميع من متعلق بطاعتي بالناحية ، فوربي محمود مشكور لأملأنها خيلا ورجلا ، بَدوا وحَضرا ، ولأجتهدن في قليعتهم وقليعة من قد أطمعوه من أهل الغدر والنكث ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [الشعراء:٢٢٧] ، قد أتاني رسول من نهد يستأذنوني في الغارة عليهم ، وعرضوا أنفسهم للنجدة ، فإياكم والهلع والفزع ، وقبول الأراجيف ، فوالله ما كنا على مثل ما نحن عليه من العزة والطاعة ، فأبشروا وأسفروا ، فوالله لا كان لهم ناصر والبرية معكم ، والله خير لنا ولكم ، والحمد لله وصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما.

[كتابه إلى رزين بن أحمد]

فلما أن أتت غزاة نجران هذه وجمع العساكر، أرسل إلى رزين بن أحمد أن يلقاه إلى نجران بأهل ولايته ويحشدهم في ذلك ويزودهم من عدم الزاد، وكتب إليه كتابا وأمره أن يقرأه عليهم، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

كتبت إليك يا أخي - أسال الله حفظك، ودفاع السوء عنك - كتابي هذا بَعد أن وَعدنْا عساكرنا المنصورة لغزاة نجران، وأمرناهم بالنهوض والحال بنا جميل، ولربنا [1] الحمد، بعد أن كنت قد أنفذت إليك نسخة كتاب الدعوة لأهل الطاعة، على هؤلاء الباغين أهل نجران، وأمرتك في كتابي هذا من الأمر بما وقفت عليه، وتقدمت إليك في الاستعداد، وتخدم للرجال الأنجاد، في اللقاء على نجران، فتنتظرنا يا أخي أحسن الله توفيقك، وكان في كافة الأمور معينك، أنت تشد وتحزم في إكثاف الجماعة، والتجهيز معك لما قدرت عليه من الزاد والنفاعة، ولا تزهد في رجل واحد يستحقه، فإن أهل الحجاز عرب أولو حفائظ ونجدة وصبر على المكروه، فحرِّضهم على الخروج أشد التحريض، وذكِّرهم ما عقدوا لله ولنا في رقابهم من العهود، وما يجب عليهم من الوفاء بذلك، قال الله عز وجل: ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء:٣٤]، وحذرهم ما يلزمهم من الحنث بأموالهم

(١) في السيرة: وربنا. ولعل الصواب ما أثبت.

وأزواجهم ومماليكهم ويصيبهم في أنفسهم ، وتحث عليهم من سخط ربهم إذا تأخروا عن إجاب دعوتنا لجهلة الفجرة ، الباغين الكفرة ، ﴿ ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم:٢٨] ، ولم يراعوا حرمة رسول الله ورحمتنا ، وغدَروا في ذمتنا ، وأنكروا حقنا ، وكفروا إحساننا ، وقالوا بالبغي من دون البرية في وجوهنا ، وأَعلِمْهم ما ينالون من الغنائم التي يغنمونها والعطايا ، من بعد ذلك ، ثوابا لفعلهم ، وبعد ذلك ثواب الله في الآخرة الجزيل ، وعطاؤه الجليل ، الذي وعد به من جاهد في سبيله ، وباع نفسه ، حيث يقول عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ...﴾ [التوبة:١١١] الآية ، وعرِّفهم وأوقِع عندهم كثرة شكري لهم ، واعتدادي بهم ، وثقتي بطاعتهم ، واعتمادي عليهم في وفائهم وصحبتهم ، والله يوفقك ويتولى عونك ، وقرأت عليك السلام كثيرا طيبا ، والموعد لك على نجران يوم السبت أحد وعشرين يوما خالية من شهر شعبان ، عرف الله الجميع منا بركة هذا الغزاة ، وأرغم بها جميع أعدائه.

[كتابه إلى أهل اليمن]

وقد روي: أن بعض الجنود عَامَلَ أهل نجران على أن ينهزموا بعسكر الإمام عليه السلام ودَسوا لهم شيئا من حطام الدنيا ، والله أعلم بما روي عنهم ، فأما ترك القتال فقد فعلوا وتولوا عن إمامهم وخذلوا ، وعند ذلك أغضبه أقوال الناس فكتب كتابا ، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذي أسعد بهدايته المهتدين ، وأيد بنصره المطيعين ، نحمده على إحسانه علينا ، ونجل عليه الثناء لاتصال نعمته بنا ، ونشهد أن لا إله إلا الله ، شهادة موقف بوحدانيته ، مقتصد بالدليل على ربوبيته ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أما بعد يا أهل اليمن فإنا لم نتعرف إليكم بما قد عرفتموه منا ، لكنا قد نعرفكم بما لم تحيطوا به علما ، ألا وقد ضمَّنا وإياكم أمر لو لم يكن قد جُمعنا عليه ، ولا نُسبنا إليه ، لكان في ذلك بشير لنا ولكم ، وصيانة تشملنا وتشملكم ، وقد أصبحنا الآن وأمسينا على أقبح ما أمسى عليه قوم وأصبحوا ، ومنا من يظن أن ذلك هين وهو عند الله عظيم ، وعند جميع خلقه ، فبماذا تعتذرون إلى من تلقون؟! أم من المعتذر عنكم عند من لا يشاهدون؟! هيهات والله ذلك أمر معدوم ، إن مسيركم ومن يعرف باسمه ونسبه منكم قد سارت بذكره الركبان ، وهُتف بعلم مخرجه في جميع البلدان ، وكما قد ذكر مسيركم شهر إجماعكم ، فسيذكر ما فعلتم وبما فعل بكم ، أفترضون يا كافة

ولد قحطان ، ومن يرمي في قريب وبعيد بالأعيان ، ويسمع لأفعاله بالآذان ، أن يُتحدث عنكم في جميع مناكب الأرض ، بأن قد رد كافيكم وسري بكم ، ومن ينظر إليه منكم ، أصوات قوم من دونهم جَدر ، قد هدمتموه وأبحتموه ، وعشرون فارسا استولتكم فألقتكم خفافا بأجمعكم ، مرتدين على أدباركم ، ناكصين على أعقابكم ، غير مستنكرين لفعالكم ، ولا بمفكرين فيما حلّ بكم ، لَهذا فعال قوم يهتدون لواضح سبيل ، أو يستدلون على الله بدليل ، هيهات هيهات!!

أتنتبهوا - رحمكم الله - من هذه النومة الثقيلة ، وأفيقوا من هذه الغفلة الطويلة ، ثم انظروا وفكروا فإنكم تجدون حين تفكرون ، وتدرون حين تنظرون ، أن قوما في حصنهم متحررين ، وعشرين فارسا ممن يرذلون لا يطردون ، فوق ألف فارس ودون خمسة آلاف راجل ، وليس ذلك مما يتعارف الناس بينهم ، بل أيقنوا أنكم لا تؤتون إلا من قِبَل أنفسكم ، وفي سيء نياتكم وقلة رغبتكم [1] في خالقكم ، وفيما رغبكم فيه من جهاد عدوكم ، فلما علم ذلك خذلكم ، فكنتم كما قال عز من قائل: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ...﴾ [آل عمران:١٦٠] الآية ، لأن ذلك والله عدمناه وسنعدمه فميا بقي إن يكن جهادنا لله وفيه ، إذ كأنكم لم تجدوا فيما نزل الله في كتابه أنه لا ينصر إلا من نصره ، وذلك قوله عز من قائل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن

---

(١) في السيرة: وقلب رعيتكم. ولعل الصواب ما أثبت.

تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد:٧] ، فهل تجدون لله وعدا بالنصر إلا من نصره؟!

ألا وقد تعلمون قلة الراغب منكم في نصر الله ، فهل من توبة تعتاضون بها ما أضعتم ، وتريدون بها ما فوَّتم ، فلم تفوتوا أنفسكم قليلا ، إنكم في حال من فاتته الدنيا والآخرة ، وحسن القالة المأثورة ، فاتقوا الله وعودوا إليه ، واستغفروه من ذنوب أذهبت نُهاكم ، وفوَّتت آخرتكم لدنياكم ، إنكم وليتم القوم الدبر ، إلى غير فئة تحيزتم إليها ، لأني فئتكم التي تجوز التولية إليها ، فلينظر كل منا إلى متحيِّزه فمن أصابه فقد نجا ، ومن خالفه فقد ضل ، وهو [(١)] كما قال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنفال:١٥-١٦] ، فالراجع وحكم الله عن القتال إلى فئته غير مولٌ ، فالناجون منكم عند الله من ارتد إلي ، والهالكون من كان موليا بين يدي ، لأنكم فئتي التي أتحيز إليها ، وأنا فئتكم التي تتحيزون إليها.

ألا والأقرب عمن تاب من ذنبه [(٢)] ، أو رجع إلى فئته ، ولو من بعد بلوغ مستقره ، فأحضروا جميع أنفسكم ، جميع النية الجميلة ، وتوبوا إلى الله

---

(١) في السيرة: وهو أو هو. زيادة سهو.

(٢) في السيرة: دينه. والصواب ما أثبت.

فإنه يقبل التوبة ويعفو عن السيئة ، ويضاعف الحسنة ، والله يقول وقوله الحق: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢] ، فارغبوا رحمكم الله فيما يحييكم من الله ، ويفيدكم ثوابه ، ويجنبكم عقابه ، ألا ولا يزهدنكم في التوبة والعودة إلى الله ما أنتم عليه من المظالم ، المتقدمة ، وتريدون أن لا يغفر لكم وأنتم عليها ، ولستم إلا كمن ألقاه نبيكم صلى الله عليه وعلى آله وسلم على المظالم فلما تابوا وأقبلوا لم يضرهم ذلك وتاب الله عليهم ، فثبوا وأقبلوا وأصلحوا يغفر لكم ، ولا يسألكم عن سالف أعمالكم.

ألا وقد جرت هذه المحنة ، ودنا من الناس فرقة ، فهل فيكم بقية تسمع بها منكم أنية جميلة تحدث لكم ، فلا تطلقوا حبلكم من أيدينا ، أو ولا بقية ولا مطمع فيكم فيئسنا ذلك منكم ، فالله يقول وقوله الحق: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [محمد:٣٨] ، فردوا علينا من الجواب ما نعمل عليه وبه منكم.

واعلموا أنكم إن عطفتم لطاعة ، فلن تزالوا معنا في محنة وفتنة ، فلا تجعلوا بعدها المقام لنا معكم خطبا تذموننا بعده ، فليس لما نحن فيه فواق ولا نسوم ولا لذة ، ولا تكونوا من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ﴾ [الحج:١١] ، فلست بعد الذي جرى أجبي لأحد درهما ، وأنفقه عليه وهو جالس في بيته ، ولا ننفق على أحد إلا على من سار في سبيل الله ، ففي حال المسير ننفق الجبايات ، فإن وافقتموني على

هذه الشريطة فها هنا لكم وبين أيديكم ، ومن بعد الانتصار مما قد جرى علي وعليكم أجعل لك من يخدمني في سبيل الله ما يقوم بفرسه ومرامه وسلاحه ، وإن فتح الله وزاد الخراج زدنا كلا بقدر خدامه في الإسلام ، هذا منِّا إذا وقعت الاستقامة منكم ، وإن وقع اختلاف ، وقلة الاستقامة ، وقل عون الجماعة ، فلن يتم لنا ولكم المراد ، ولن تؤول بنا وبكم الأمور إلا في الفساد ، فأجمعوا على ما أفدتم ، إما بصرف عن هذا الأصر ، وإما بمدخل فيه على ما قد شرطنا.

واعلموا إن وافقمونا على ما قد نذكر بدأ معكم البيعة من يومنا هذا وأكدنا العهود بيننا وبينكم ، وإن كرهتم ما عرضنا عليكم ولن تكرهوا ذلك كلكم ، عاملنا من يقع الوفاق بيننا وبينه وأمكسنا عن خلطة من لم يوافقنا على ما يحملنا وإياكم ، وكتابنا هذا فإلى من حضر من كافة ولد قحطان ، ونحن نكتفي بمن حضر عمن غاب ، إذ الحاضرون وجوه الناس ، والنائبون عمن غاب منهم ، فأجمعوا رحمكم الله على رأي يحملكم فها أنا حاضر معكم إن وقع اتفاقكم على ما يقيم العز في الدنيا والآخرة ، وإن لم تتفقوا على ذلك فلا يُلحقني أحد منكم لائمة ، فلست بمقيم على هضيمة الدين ، ولم آت اليمن معتاشا ولا مرتاشا ، إنما أتيته لأدرك بأهله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ووضع الأشياء في مواضعها ، فإذا عدمت ذلك منكم وفيكم ففرض المقام عني ساقط ، واللوم لغيري مخالط ، ولست أملك إلا نفسي وما أحترز به في يدي ، ولست أضل السبيل إلى الله ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، والسلام على من اتبع الهدى ، والحمد لله أولا وآخرا كما هو بالحمد أولى ، وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وعلى من طاب من عترته وزكا.

[كتابه إلى أهل بيته وطاعته وجميع مخاليفه باليمن]

ووضع الكتاب وأمر أحمد بن الحسين أن ينسخه نسخا إلى جميع من سمَّى فيه من القبائل ، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

قد علمتم أيها الإخوان والأولياء تولى الله كفايتكم ، وأثبت بالتوفيق هدايتكم ، مكان أهلي وذريتي وطول غيبتي عنهم ، ثم قد تواترت كتبهم إلي ، وكثر عتبهم علي ، في طول غفلتي عنهم ، وقد خفت من الله المأثم في ذلك ، فلم يعد بعد الذي قد شكوا من أحوالهم من معذرة أعتذر بها ، ولا يعذرني بها غيري ، وقد عزمت بعد الخيرة من الله على المسير إليهم ، وإطلاع أحوالهم وأحوال أهل بلدهم ، ولا معذرة لي في إهمالهم بعد ما قد عقدوا من رقابهم ، وما قد يلزمني من افتقادهم ، ثم تعاللت نفسي وتسامحت مسيري بغير صحابة منكم ، ولا الزيادة لجماعتكم ، وخشيت أيضا أن يكون في ذلك عتب علي وعليكم ، ونقص لي ولكم ، فأوجب الرأي ما قد ذكرت أن أسأل كافة بني بكيل وحاشد وحمير وخولان ، الصحابة من كل حي ، تنفذ بغير كل حي ، من يخرج منهم على سفرهم ، ليشركوا بذلك في الثواب معهم ، ويخلفوهم بالكفاية لأهلهم وأموالهم ، يكون كفايتهم في الزاد علينا ، وبرهم عند المرجع فيما يجري على أيدينا ، من مال الله جل اسمه ، لكل حي في بلدهم ما أجعل لهم ، وأفضل من ذلك ما لا يذمونه من الله سبحانه ، ومن ثوابه الباقي ، وحسن خلافته الجميلة ، بمن فصل جناحي ، ويكثر بي وجماعتي ، فانظروا في

هذا الوجه نظرا أشكركم عليه ، ويثبتكم الله فيه ، والله لا يضيع أجر المحسنين ، والحمد لله رب العالمين ، وموعدي من يجيب [1] دعوتي ويحب صحابتي ، يوم الجمعة آخر جمعة من شهر جمادى الأولى ، عرَّفكم الله بركته وما بعده من الشهور والأيام ، وبلَّغكم أمثاله وقابلكم فيما بعده بالسعد والرحمة.

(١) في السيرة: يجب. والصواب ما أثبت.

[كتابه إلى المغيرة بن بدر]

وكان مقامه بهرجان في ثبات سفره ستة أيام ، وكتب إلى المغيرة بن بدر كتاب عهد بالولاية له للبلد ، بعد عهد كان كتبه له آنفا في مستبدأ طاعة خثعم له ، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب كتبه القاسم بن علي للمغيرة بن بدر بما قد عقد له من الولاية ، أعراض تبالة ، وترج ، وبيشة ، والمعمل ، والبقيع ، ولاه القاسم بن علي على جميع هذه المخاليف ، يسير في ولايته بالعدل والصلاح ، والمناصفة بالحق بين من عقد له ولايته ، والله يقول وقوله الحق: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٩٠] ، وقد جعلت على كافة من عقدت عليه بيعتي من أهل هذا المخلاف أن يكونوا طاعته وأعوانه ، ما أطاع الله ولم يخرج من طاعته ، ولم يعقد أمره بغير أمري ، وجعلت لمن اتبع أمري من كافة مقدمي بني عامر أرباع خراج بلدانهم ، يرفدون منه ضعفاءهم ، ويستعينون بذلك على نوائبهم ، وجعلت لمن تقدم لطاعتي من قريش ما قد راسمتهم عليه بخطي ، وأجريت من استقام في الطاعة من رجال شَهران بجميع الأعراب مجرى بني عامر في بلدانهم ، وأجريت رجال سنول إذا استقاموا للطاعة ، وتصرفوا مع مأموري تصرف عشائره ، مجرى من رسمت له من

قريش ، وجعلت للمغيرة أن يُحارب من غلّ خراجي ، أو دافع عنه من استأمنه عليه عمالي.

وأما بَوَادي خثعم ومن قد كنت رسمت له لأن يكفوا عن المطيعين سفهاءهم ، وأن يضمنوا أذاهم ، وأن تكون أيديهم مع أيدينا على من تعدى الحق ، فمن وفى بذلك من الشرفاء فليؤد عامل الخراج ما رسم له من تحت يد المغيرة بن بدر ، ومن لم يف بما عُوهد فلا حق له قِبَلنا ولا واجب له علينا ، ومن خرج من أهل تبالة ورجال شهران من طاعتي ، وخلع بيعتي ، فلا فتنة على المغيرة له ، ولا لوم عليه في ترك جريانه.

[كتابه إلى أبي العباس]

فسألوه أن يعيده واليا عليهم ويقيمه عندهم ، ففعل الإمام عليه السلام ذلك ، وجعل ولايته بلدهم ، وبلد جنب ، وبلد يام ، وبلد وادعة ، فاستخلفه في الجميع وكتب له كتابا ، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

قد يا أخي يا أبا العباس استحقك الله ووليتك هؤلاء العرب ، لخيرتهم لذلك ومحبتهم له ، فسر فيهم بالعدل ما أجتمعوا على ذلك ، ولا تغلظ في الأمور بهم ، وأبذلهم من كلامك ألَيَنه ، ومن فعلك أحسنه ، فإنهم بَوَادي ، وقد قلب الله قلوبهم لطاعتنا ، وسهل طاعتهم لعوننا ، ونحن اليوم في حال يخل بالإسلام ، من خذل الخاذلين ، ونكوث الباغين ، وفساد الناس أجمعين ، فلسنا نسير إلا بالبقية ، حتى يُلحقنا الله نصره ، ويعزّ أمره ، فما استقاموا فارخ معهم الأمور على الميسور ، وألطف الأمور ، وإذ رأيتهم قد ثقل عليهم أو على بعضهم طاعتك ، وكراهية سيرتك ، فانهض إلي منهم ، ولا ترهم عتبا ولا غضبا ، حتى يحدث الله أمراً يعز به المسلمين ، وتقوى به عزائم أهل الدين ، والسلام عليك ورحمته وعلى جميع إخوانك.

[كتابه إلى حمير]

وبلغت الإمام عليه السلام كتب من الأمير ابن قحطان في مقامه بعيان في هذه الأيام بعد وصوله من ترج ، ويذكر له في كتابه ما أجحف بأهل اليمن في جميع من يتصل به من مخاليفه من الفتن بينه وبينهم ، فوضع الإمام إلى كافة حمير المفاتنين لابن قحطان كتاب دعوة ، وكتب إليهم كتابا مع ذلك يسألهم أن يجنحوا للسلم ، وموادعة أميرهم ابن قحطان ، نسخة الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليكم أيها الأخوة الأبرار ، والعشيرة الأخيار ، فإن أخاكم القاسم بن علي يحمد الله إليكم حمدا كثيرا ، يوجب المزيد من رحمته ، ويدفع المكروه من نقمته ، ويَسأله أن يصلي على خيرته من بريته ، محمد النبي ومن طاب من عترته.

وبعد – تولى الله رعايتكم ، وأثبت فيما يرضيه هدايتكم – فإنا لا نجهل ما أنتم عليه من كرم لا يصون ، والفضل الجليل ، حتى قد دعانا طلب ما عند الله إلى الكون في بلدانكم ، ورجاء العون لكم فيما قدمناه له ، وإبداء أنفسنا لطلبه ، إذ كنتم عندنا من أرج ولد قحطان ، إذ لكم السبق إلى الإيمان ، والفوز بالرضوان ، وقد وافق وصولنا ما [1] جرى بينكم وبين أميركم ، فساءنا ذلك ، ورجونا أن يكون منا واسطة جميلة تصلح ذات بينكم ، وتلم

(١) في السيرة: من. ولعل الصواب ما أثبت.

شعثكم ، فلما وصلتنا كتب مشيختكم ، أوجب الرأي التوقف لإقبال سلطانكم ، فلما تم المراد بإقباله إلينا ، وعقد حبله بحبالنا ، ندبنا ابن عمنا القاسم بن الحسين الزيدي يتوسط أموركم ، والإصلاح بينكم ، فذكر أنكم اتخذتموه خصما ، وابتعدتم من سلطانكم ، ولم تجروا صاحبنا مجرى السُّفر ، وأجريتموه مجرى الخصماء ، وليس ذلك مرادنا فيكم ، ولا قَصد لكم ، وإنما كان مدخله معنا كمدخل مشيختكم من مدخله ، ثم قد جرت الأحوال بما لم تشاركوه [(١)] ، والفوائت لا ترتجع إلا بالدنو من الصلاح.

وها أنا أعرض نفسي عليكم سفيرا متوسطا ، فإن جنحتم لذلك لا ملتُ عن الحق ميلا ، ولا جعلت لي عن سبيله سبيلا ، ولا كنت لمن عَنَدَ عنه ظهيرا ، وإن لم تجنحوا له - ولا نعيذكم من ذلك - فلا حجة لكم علينا ، ولكم خطوط قد كتبتم فيها ، ومنافع أنتم عليها ، ولسنا نقصر بكم عن ذلك ، فأسعدونا بالقبول في الجنوح للسلم تسلموا ونسلم ، والله يقول وقوله الحق: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا ﴾ [الأنفال:٦١] ، والله يوفقكم وإيانا لما فيه صلاح شأنكم وشأننا ، وقد كانت لنا رسالة ألقيناها إلى العرب وإليكم لتقفوا عليها ، وأنا الزعيم بما ضمنت من القيام فيها ، فانظروا ذلك وردوا من الجواب ما نعمل بحسبه ، والله يوفقنا جميعا لما هو أولى به ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

ووجه مع كتابه إليهم هذا كتاب الدعوة إليهم ، الذي نسخته:

---

(١) في السيرة: لم تشاركونه. والصواب ما أثبت.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علا علوّه عن العالمين ، وقهر سلطانه الخلق أجمعين ، نحمده لاستحقاق محامده ، ونجل [(١)] عليه الثناء لما هو أولى به ، ونسأله أن يصلي على النبي وآله.

أما بعد: فإن لله نعما تجل عن الجزاء ، وتكبر عن الإحصاء ، أولها: إيجاد من خلق من خلقه للنعمة عليهم ، لا لحاجة منه إليهم ، إذ خلقهم خلقا سويا وركبهم تركيبا حسنا بهيا ، ثم قرن ذلك من العقول بما يدلهم عليه ، ويعرفهم لمنافع ما يتصرفون فيه ، ثم أكمل الحجة على من خلق برسله ، إذ بعثهم مبشرين برحمته [(٢)] ، ومحذرين ومنذرين لعقوبته ، فلم يَذَرِ الخلقَ مهملين ، ولا بالجهل معذورين ، ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال:٤٢].

ولم تزل البرية مع عموم نعم الله عليهم ، وترادف آلائه لديهم ، للنعمة كافرين ، وللرسل جاحدين ، ولما أوجب الله مضيعين ، وبذلك أخبر الله عنهم ، فقال وقوله الحق: ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾ [غافر:٥] ، وقال: ﴿ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ [ق:١٤] ، وقال لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ فَإِن

(١) في السيرة: ويجل. والصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: بحرمته. والصواب ما أثبت.

كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٤] ، ولم يذرهم سبحانه من رسله مع علمه تكذيبهم لإثبات الحجة عليهم ، والنجاة لمن يحب النجاة ، فقال وقوله الحق: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء:١٦٥] ، وقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ ...﴾ [طه:١٣٤] الآية.

ولم تزل الدنيا مذ بعث الله آدم صلوات الله عليه رسولا في ذريته مضبوطة بالأنبياء وذراريهم التالين لآثار آبائهم ، الهادين بهديهم ، القافين (١) لآثارهم ، قرنا بعد قرن وأمة بعد أمة ، حتى ختم الله بنبينا محمد صلوات الله عليه وآله وسلم الرسل ، وجعل ملته خير الملل ، وأمته خير الأمم ، فقال: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ...﴾ [آل عمران:١١٠] الآية ، وقد جعل الله لنبيكم صلوات الله عليه ذرية من ابنته وسليلته (٢) ، أبوهم ابن عمه ، وأول مؤمن به ، وأعظم أصحابه عناء في جهاد أعدائه ، وأعلمهم بما أتى به فيه ، يقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « أنا مدينة العلم وعلي بابها » ، وفيه يقول: « علي

---

(١) في السيرة: العافين. والصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: وسليل. ولعل الصواب ما أثبت.

أقضاكم »[١] ، وفيه يقول يوم غدير خم لأصحابه: « معاشر الناس ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله »[٢].

وفي ابنيه الحسن والحسين ابني بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: « الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا » ، فهذا من قوله صلوات الله عليه تعرفه كافة العلماء ، ثم قد أتى من دون ما أومى إليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من اختلاف أمته ما قد أتى ، من أدوال الخلفاء لمقامه ، وذريته من ذلك بمعزل ، وهم هداة البرية ، وسفن النجاة.

ألا ثم اعلموا يا كافة العرب ومن يتصل بدين الإسلام من العجم ، أن القاسم بن علي أحد ذرية نبيكم ، ومن يدعوكم إلى طاعة ربكم ، فـ ﴿ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [الأحقاف:٣١] ، وله القربى من سول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والعفة عن محارم الله ، والعلم بكتاب الله وسنة رسول الله ، إلى ذلك يدعوكم ، وعليه يحملكم ، وبه يأمركم ، ولكم عليه أن يحقن[٣] دماءكم إلا

(١) أنظره في كشف الخفاء ١/١٨٤.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧١٣)، وأحمد بن حنبل ١/٨٤، وابن حبان (٢٢٠٢)، والطبراني ٣/١٩٩.

(٣) في السيرة: نحقن. ولعل الصواب ما أثبت.

بحق يجب عليها ، وأن نقر [١] أموالكم إلا من حق يقع عليها ، وأن يضع [٢] أموال الله التي قسم لكم في مواضعها ، وأن يصلح ذات بينكم بأهون [٣] شأن ، فإن امتنع من ذلك ممتنع قاتلته حتى يفيء إلى أمر الله ، كما أمر الله بذلك نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، إذ يقول وقوله الحق المبين: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات:٩] ، فهذا الذي لكم علينا.

ولنا عليكم أن تتقوا الله فينا ، وتعرفوا لنا حقنا ، وقد أتينا من نبيكم صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وأن تطيعوه فيما أمركم الله من مودتنا ، فإنه يقول لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ﴾ [الشورى:٢٣] ، ولنا عليكم أن تطيعونا ما أطعنا الله ، فلا طاعة لمن عصى الله ، وتجنَّبوا محارم الله ، وأن تكون أيديكم مع أيدينا على من خالف حكم الله ، وأن تؤدوا جميع ما فرض الله عليكم في أنفسكم من الجهاد في سبيله ، والمعونة على ذلك بأموالكم ،

(١) في السيرة: نقر. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: نضع. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) في السيرة: ناهون. ولعل الصواب ما أثبت.

والأداء لما يلزمها من واجب زكواتكم ، وللصَّير بكل حق يجب لله عليكم ، من القصاص والحدود وجميع ما أتى الله فيه من الأمر والنهي.

اللهم إن لهم علينا الوفاء بما وعدناهم من أنفسنا إن هم وفوا بما يلزمهم لنا ، وأنت الشاهد علينا بما نقول وكفى بالله شهيدا بين عباده [(١)].

ومن شك فينا أو دخل في قلبه قول المفترين علينا ، فأصر على ذلك و لم يختبرنا ويفتش عنا ، فالله الحكم عليه ، والشاهد بيننا وبينهم يوم نصير إليه ، ﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة:٢٨١] ، عباد الله الذين للآخرة خلقوا وللدنيا ابتلوا ، ألستم بأولي أعينٍ ناظرة ، وآذان واعية ، وقلوب ذكية ، تستدلون بها على من عُمِّر في الدنيا أكثر من عمارتكم ، ونال منها أكثر من منالكم ، قل أن تبقى عنه بذلك بعد طول النصب ، وذوات الشعب ، وحوى ذلك من لم يتعب عليه ، وناله من لم ينصب فيه ، وأنتم كأولئك تكونون وشيكا ما على الدنيا تزولون ، وإلى الآخرة تصيرون ، وعلى الجنة والنار تعرضون.

واجعلوا طلبكم للدنيا من حلها ، واسلكوا للآخرة من سبيلها ، ولا تغتروا بالدنيا وأهلها ، فَلَكَم مغرور خَدَعته!! وواثق بها صرعته!! ومفتون بها أهلكته!!

---

(١) في السيرة: عبادك. ولعل الصواب ما أثبت.

ألا وأنكم في أوان فتنة من انتصب لها أوثقته ، ومن طأطأ عنها لحصته ، ولن يسلم منها إلا من اعتصم بحبل الله ، ووصل حبله بحبال أوليائه الذين يتمسكون بالكتاب ، ويخافون يوم الحساب.

عباد الله إنا نجد فيما لدينا من الآثار أن الفتن تكرس في جراثيم العرب حتى لا يقال ، ثم يبعث الله قوما يجتمعون من مناكب الأرض كما يجتمع قزع [(١)] الخريف ، هاهٍ هاه ، فهنالك يحق الله الحق ويميت الباطل ، فكونوا رحمكم الله ممن يجتمع في الحق ولا تكونوا ممن يجتمع في الباطل ، فإنا نجد في الأثر عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: « لتأمر بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيسومونكم العذاب ، ثم يدعوا خياكم فلا يستجاب لهم » ، حتى يبلغ الكتاب أجله ثم يكون الله المنتصر لنفسه ، وما انتصر لنفسه من أمة إلا أهلكها بعذاب من عنده ، فاحذروا رحمكم الله عذابه واجعلوا أنفسكم حزبه ، فإن حزب الله هم الغالبون ، وقد أعذر من أنذر ، والسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله الطيبين.

(١) في السيرة: قرع. والصواب ما أثبت.

[عهد القاسم لأهل ولايته]

وكتب له الإمام القاسم المنصور بالله عهدا يسير به في ولايته ، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

وكان ذلك في جمادى الأولى من شهور سنة إحدى وتسعين وثلثمائة ، أستوهب الله النجاة والهدى ، ونعوذ به من الضلال والردى ، وهو اللطيف الخبير ، أمر بما إليه دعا ، ومنع مما عنه نَهى ، فقال وقوله الحق: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٩٠].

أما بعد يا بُني فإن أسهل مرتقى ترتقيه ، وأسهل عملٍ تعانيه ، وأجزل مطلبٍ تبتغيه ، تقوى الله سبحانه وتعالى والعمل لطاعته ، فاستشعر ذلك ما استطعت ، ولا تطلبن غيره ما بقيت.

ثم أعلم أن كل امرئ لا يمتحن إلا بنفسه ، ولا يعرف إلا بعلمه ، فقد ملك تصريفها ما ملك نفسك ، حين يدعوك إلى ما يرد لك ، وانهها عما يقبح نسبته إليك ، والله يقول وقوله الحق المبين: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف:٥٣] ، ويقول مادحا لمن نهاها عما تدعوا إليه من السيء ، وتأمر به من القبح: ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾ [النازعات:٤٠-٤١]. هذا والعيون إليك ناظرة ، والأنفس لفعلك مطلعة ، فاحذر من ناظر إليك لا تراه ، ومحص عليك لا

تخشاه ، ولو لم يكن ذلك من البشر إلا من الملائكة الموكلين بك ، وأقرب من أولئك ربٌ لا يخفى عليه خافية ، وهو يقول وقوله الحق المبين: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق:١٦ - ١٨].

فكيف وأنى تكون نجاتك من رب يعلم ما تخفي وما تبدي وتعيد؟! وأملاك بحركاتك قد وكلوا ، وعباد أحرص عليك من الموكلين بك ، فبين مطلع بحقيقة ما أنت عليه ، وذي بغضاء يهوى الظهور على عوراتك ، والسعاية بذمامتك ، والطعن على من نُسبت عليه من آبائك ، فمن [١] كل ذلك فاحرس نفسك ، واملك إربك ، ولا يضيعن النسيان عقلك ، فيؤول بك ذلك إلى فتح الذمامة ، وكثرة الملامة والدناءة ، عند الخاصة والعامة ، لرب ما أخفى المرءُ بعض ما يعاب من فعله ، فأُدرك علم لك في تصرفه ، وخلطة من يتصل [٢] به ، فابعد بنفسك عن مخالطة أهل الريب كيلا تنسب إليهم ، ويُناط فعلك بفعلهم ، وقد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « الناس على أشكالهم أميل » ، وقال بعض الحكماء:

وقارن إذا قارنت حراً فإنما   يزين ويَزري بالفتى قرناؤه

---

(١) في السيرة: ممن. والصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: تتصل. والصواب ما أثبت.

ومما يدل أيضا على ما يخفي المرء: لسانه ، فاحفظ لسانك ما استطعت ، فإن اللسان يؤدي ما في القلب كما تؤدي الأرض نباهًا ، وقد قال بعض الشعراء:

وإن لسان المرءِ ما يكن له ... زمامٌ على عوراته لدليل

فاحذر يا بني من قول يدل على ظهيرك ، ويعرف بما في نفسك ، وتوقَّ من الأصحاب من يشنعك صحبته ، وتضعك مقارنته ، ولربما أراد ذلك مع قبح القالة في الدنيا والآخرة ، وفي ذلك يقول الله وقوله الحق فيمن يجير [1] في يوم القيامة: ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفرقان:٢٨] الآية ، وقال عز وجل: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف:٦٧].

يا بني فبالمتقين فتمسك ، ولآثارهم فاسلك ، فإن ذلك زين لك في حياتك ، ونجاة لك بَعد وفاتك ، ولن يدلك المتقي إلا على التقية ، ولن يأمرك إلا بالأفعال المرضية ، ومن كان كذلك حسنت صحبته ، وجملت حمقارنته ، ونسبت الحكمة إلى من داناه ، ونظره بعين الوقار من يراه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « الناس في أشكالهم أميل » ، وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « من عرف بالحكمة نظرته العيون بالوقار ».

(١) كذا في السيرة، ولعلها: تحيَّر.

فكن حكيما يا بني يراك بتلك العين الرفيع والدنيء ، وإياك ثم إياك الميل إلى عرض الدنيا ، واطلب حاجتك بدَدا ، ولا تطلبها معا فيثقل عليك حملها ، ولا يتهيأ لك نيلها ، واجعل طلبك من خالقك ، ونيل يدك ، وتعفّف عن الناس وسؤالهم ، فإن ذلك أقضى لحاجتك عند خالقك ، وأعظم لقدرك عند من يَعرفك بذلك ، ولربما طلب المرءُ مَطلبا يدني به ، و لم يتصل منه بمحبوبه ، فيبقى ملوما محسودا ، وذما باقيا مذكورا ، فتوقَّ هذا الفعل [1] ثم تَوَقّه ، فإن به رفعة الرفيع ، وضعة الوضيع ، فاغتنم كسب الرفعة ، وتجنَّب أسباب الضعة ، وليس من شيء يوجب الحمد والثواب إلا والنفس له كارهة ، ولا من يوجب الذم والمأثم إلا وهي إليه مسارعة ، فاستغن على نهيها عما تهواه بالصبر واجعله لك شعارا ، فوشيكا ما تُحمد عنه ويسهل عليك مطلبه.

ودع العجلة واحذرها واحترس منها ، فإن الإنسان خلق عجولا ، وعلى العجلة فطر الإنسان ، وهي مقودة إلى المضار والعصيان ، هي فطرة مَلِكَ البشر تَصريفها ، ولذلك نُهُوا عنها.

وعليك يا بني بالأناة ثم عليك بالأناة ، فإن المتأني لا يذم عاقبة الأناة ، ولا يقدر عليها إلا من يصبر نفسه عنها ، وما يُذم ذو أناة قط ، ولا أناة عن بر ولا عمل صالح ، وإنما الأناة عما تدعو إليه النفس من المضار ، فادرأ بالأناة العجلة ، وبالصبر الجزع ، وبالحلم الجهل ، وبالديانة المعصية ،

---

(١) في السيرة: الفضل. ولعل الصواب ما أثبت.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥].

يا بني ابدأ بنفسك فاهدها من الدنس ، وابعد من أهل الأدناس ، فإذا قهرت نفسك ، وكنت لها غالبا عما تدعوك إليه من المضار ، فحقق [(١)] وأيقن أنك مُستغلِب من نويت غَلَبته من عدو تدرأ [(٢)] عنك شره ، أو فعل يحسن [(٣)] بك ذكره ، أو ناء يمل بساجره ، وأنت مع ذلك فمنوط بالناس ومحتاج لكفاءتهم ، غير مأمون عليك من مضارهم ، ولكل منهم مترله وباب يدخل منه ، فالعالم يُحتاج لعلمه ، ولن تنله منه إلا بتقريبه والاتصال به ، والإصغاء لقوله ، والتعظيم لقدره ، والإيجاب لحقه.

وكذلك أهل البصائر بالأعمال الدنيائية [(٤)] ، فأنزل كلا منهم مترلته ، لحاجته إلى دلالتهم على ما يعرفون ، فإن كنت المريد لمعرفة ما عرفوا نلت ذلك منهم ، وإن لم ترد ذلك لنفسك، عرفت منه ما يعمل لك العاملون ، فلم يجر عليك ما يجري [(٥)] على الجاهلين بالأشياء ، فيما لا غنى لك به عنه من الصنايع الدنيائية.

---

(١) في السيرة: فحق. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: وتدرأ. والصواب ما أثبت.

(٣) في السيرة: يحبس. ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) الدنيائية: نسبة إلى الدنيا.

(٥) في السيرة: يجر. والصواب ما أثبت.

وسائر الناس من بعد من ذكرت ثلاث طبقات: فمنهم [١] السلاطين وأتباعهم لنائل الدنيا ، وبهم يُستعان عليها.

والفقراء الذين لا مهنة لهم إلا طلب ما في أيدي الناس ، من حق يجب لله عليهم ، أو نائل يطلبونه منهم ، وكل فأعزُّ [٢] منك بسبب حاجتك إليه.

أما السلاطين فيُحتاج إليهم إن كنت ذا مسألة لهم ، وحاجة إليهم ، وإذا كنت رعية لهم تخشى [٣] من جورهم ، وما تخشى الرعية من مثلهم ، أو كنت سلطانا تطلب كطلبهم ، وأيما ما كنت فيه فالحاجة تسوقك إليهم ، إن كنت طالبا لرفدهم فلن تنله إلا بالإيجاب لهم ، والإجلال لمقاديرهم ، من حسن الثناء عليهم ، والأدب الذي يقرب من مثلهم.

وإن كنت رعية كنت محترسا ممن يقرب إليهم بالسعاية ، مسعدا مما يوجب العقوبة ، منفردا إليهم بالاستقامة ، محببا بالخدمة ، مُدارٍ بالحق أسيهم ، ومن الأنوال يسعى بكل قول وفعل إليهم ، وأفضل من ذلك الابتعاد عنهم وعن مضارهم ، وأسلم في الدين ، إلا أن الضرورات تسوق المرء إلى ما لا يشاء.

---

(١) في السيرة: فهم. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة فاعز. والصواب ما أثبت.

(٣) في السيرة: يخشى. والصواب ما أثبت.

وإن كنت سلطانا فحاجة السلاطين إلى السلاطين ، كحاجة الظمآن إلى الماء ، والأرض إلى دآرَّة السماء ، فإياك أن تعادي سلطانا ولو ضعف سلطانه ، وتباديه ولو بانت مظلمته.

يا بني لا تكن عنه بمعزل ، ولا لن تأمن مع ذلك ضره ، وادرأ مكروهه بجميل تُولِيه ، أو كرم يغلبه ، ونفع السلاطين بقدر [١] ضرهم ، ولهم في ذلك ما ليس لغيرهم ، وجملة الناس عائدون إليهم ، إما لخير لديهم ، وإما لشر يخشى منهم ، فانظرهم بهذه العين تسلم وتنل من خيرهم ، واحذر أن يجد أحد منهم إليك سبيلا ، وتنسب إلى مكروهك ، وعلّق مسألتك من يتوسل بهم إلى ذاتك ، حتى لا يجدوا عليك معتبا ، ولا على مرادهم فيك ، فإنك إذاً يظفر مرادك [٢] ، وتَقرُب من محبوبك ، بمن الله وعونه.

وأما أعوان السلاطين فلك منهم حَذوٌ ، إذ كنت سلطانا فأنت تحتاج لصلاحهم ، وتستعين بلسطنتك عليهم أو بهم ، فابسط لأوليائك جميلك ، وَوَسِّع لهم خُلُقَك ، وقرِّبهم بجهدك ، فلا غِنى لك عنهم [٣].

وأما عامة الناس ومسكنتهم فأتمم حقهم وصونَهم ، فالواجب عليك صيانتهم ، فاعلم أنك الفقير إلى دعائهم وثنائهم ، وثواب الله فيهم ، فتسبَّبْ لذلك بجهدك يا بني ، وأفضل ما تسمى به نفسك ، وتشهرك به من عدوك ،

---

(١) في السيرة: يقدر. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: يظفر إذ ذلك مرادك. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) في السيرة: بهم. ولعل الصواب ما أثبت.

الوفاء بعهدك ، والإنجاز بوعدك ، وقد قدمت من القول ما إن [١] عملت به نلت مرادك ، وآثار غنمك بالظفر بطلبتك ، فلا تعرض من ذلك صفحا [٢] ، ولا تَدَع عنه ظهرا ، فإنه مقدمة لما رفعت إليك ، وضرب فيهم التباس بالناس ، فلو كنت الذي لم تكن إذ كنت الذي لم تذكر ، لكان في ذلك سلامتك من الذنوب وأهلها إذا [٣] أحسنت طاعتك لله سبحانه وتعالى ، لكنه قد ساقك ما ساق آباءك من الضرورات التي لم يجدوا عنها معدلا ، ولا لمن دفعوا إليه من الناس بدلا ، واستعن بالله واستقم نفسك بقبول موعظة أبيك.

واعلم أن الدنيا سريعة الزوال ، وجميع ما فيها إلى انتقال ، وليس للموت أجل معروف ، ولا يوم موصوف ، فيعمل لذلك ويستعد له ، وإنما موافيك بغتة ، فأحذرك أن يلقاك على غير أُهبة ، فتكون من الهالكين ، واعبُد ربك حتى يأتيك اليقين.

وكن للأقربين وصولا ، وعن السيء رحولا ، وبمعروفك مُنيلا ، ولأذاهم [٤] حمولا ، فإن ذلك مما يقربك [٥] منهم ، ويكف عنك كثيرا من سيئهم ،

(١) في السيرة: أن. والصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: صحفا. والصواب ما أثبت.

(٣) في السيرة: إلى. ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) في السيرة: ولأذائهم. ولعل الصواب ما أثبت.

(٥) في السيرة: يربك. ولعل الصواب ما أثبت.

والله يوفقك لبرهم ، والصبر عليهم ، فلذلك فالزم تسمَّى: وافيا ، وتكون ثقة ماضيا.

وبعد يا بني فقد وليتك من صنعاء بلدا عاملني عليه مختاره أحمد بن قيس بلا إكراه مني له [على] ذلك ، ولا طلبة فيها إليه ، بل عاملني اختيارا منه لمواصلتي وصحبتي فعاملني ، فعامله وفاءها ، فَارْعَه بتلك العين ، وقوِّ عزيمته بحسن عشيرتك ، والإصغاء لرأيه ، وترك أقوال المنتصحين به ، والإصغاء لهم ، فلم يدخل معنا أحد من الملوك بمثل مدخله ، و لم يُوالنا أحدٌ بمثل موالاته ، فأقمه في النصيحة مقامي فاتخذه نصيحا ، فقد وجدته صحيحا ، ولا تستبد في بلده ورجاله برأي من دونه ، فَلَذلك حال تحمد عاقبته ، ولا تعدم منفعته.

وأنت فصائر إلى رجال قد جروا في الميادين ، وفلسوا السلاطين ، ولا تغتر بإقبالهم عليك ، واحترز منهم تحرزا لا يجدون فيه سبيلا إليك ، وذلك فلا تُخرج من خراج بلدانهم درهما فما فوق على يديك ، واجعل لذلك أمناء منهم ومن العامة ، واجهد نفسك في استخراج الواجبات وإضافتها إلى الأمناء ، ولا يكن أمراً إلا فيما يرسم لك منها ، فإن أحدا لا يجد في يديك ما تذم عليه ما لم يصر في يدك ما هو صائر إليهم من يد غيرك ، وإن أراد ذلك منك مريد كنت بمعزل بما ينسب إليك فيه الخيانة ، ويخلَق عليك عرضك ، ويستند منه إليك ما لا يحسن ، فهذا وجه اعرفه وحصِّله ، ولا تر رأيا غيره ، فإن طلبك أحد ما ليس في يدك ظلمك ، وكان عذرك قائما ، وإن صرفته بجميل لم يشفعك وعلم عذرك.

ووجه آخر فإنك تصير على بلد قد وَلّيتُه من قبلك والٍ هو لك شقيق في النسب ، والفضل لمن يفضل ، وقد أولى أهله جميلا صالهم فيه ، وعفّ عن أموالهم ، ونزه منها نفسه ، فعُلم عند ذلك قدره ، وارتفع ذكره ، وجلّ خطرُهُ ، ثم إنك إن سلكت بهم غير ذلك السبيل آذوك ونقصوك ، وقل انتفاعهم بك وانتفاعك بهم ، وأعلا ذلك من لا تحب أن يكون له العلو عليك ، فاستعمل القنوع بما قسّم الله لك تكن معظما متبوعا ، والله يوفقك لذلك ويعينك عليه.

وقد كان لابن عمك سيرةٌ عِيبَ عليه ، وأنت فتنظر أتعين أباك ويؤمن إليك بمثل ما يؤمن إليه ، وتنظر ما يكون منك ، فليس الناس بالملاينة والملاطفة ، ولا تَسِر فيهم بالشدة ، واجعل شدتك إذا شددت وأسعدك على ذلك الأعوان الكافون أخذ الحق من بعد البينات ، التي لا تدخلها الشبهات ، وما أتى من دونه فله الأعوان فخذه منهم [1] بما يوجب سيرة الوقت من الحبس والأدب ، ومن وجب عليه قتل فاحبسه - من قبل أن تسلمه لصاحب الظلامة - وقتا ، لعل في ذلك ما يحدث لصاحب الحق جميله ، ومن قتل واشتبه أمره فاحبسه وأطل حبسه ، ولا تقتل أحدا بشبهة ، ومن قتل في قتل قد وافقه متقدما فلا تقتل به ، واحبسه حبسا طويلا حتى يكون خلاصه [2] بيد طالبه.

(١) في السيرة: منهم منه. والصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: خلاصة. والصواب ما أثبت.

وكذلك في حقوق الناس في الأموال فاحبس فيها حتى يتبين الحق لصاحبه، أو يجري العفو منه، وعليك بالأناة والوقوف عند الشبهة، وقد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «المؤمنون وقّافون عند الشبهات»، واصرف الخصوم إلى القضاة، فإذا قضوا قضية فاستظهر بالأناة في إنفاذها، وَأْمر بعرضها على الفقهاء، وإذا وقع الاتفاق فأنفذ ذلك، وإن لم يقع فاردد ذلك إلى أبيك ولو بعد.

وما جرى من حقوق الله في الزنا والشرب والقذق والسرق وكلما يوجب حدودا [1] فاحبس، واستظهر على إنفاذ الحد بصحة الشهود وتفريقهم وابتلاء شهادتهم، فمن صحت عليه كما وصفت فأقم حدّه، ومن عرض لك بشيء [2] من ذلك فاستظهر عليه بغيره، فإن وجدت من ينفذ حكمك وإلا فدع، فتَرْكُ حق للمعذرة أمثل من ارتكاب فتنة لا يُوجد لها فيه.

ومما نوصي به الحرص على استخراج الزكاة والشد فيها، فهي قوام السلطنة فمنّ عليها [3]، فقم على من فعل ذلك بالأعوان إذا عصى، وإذا لم تجد أعوانا فحايل وَلا تقاتل ما أغنت المحايلة في ذلك، ولا تقاتل ولا تكاسر، وإن لم تجد عن ذلك مَعدلا فإن دفعت إلى ذلك فتقدم بأصحاب، ولا تبذل

---

(١) في السيرة: حدود. والصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: شيء. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) لعل هنا سقطا، فالعبارة غير واضحة.

نفسك فيكون في ذلك هلاكهم ، واحرسهم ولا تشتغل بالقتال عنهم ، حتى يدهمهم ما يوجب قتالك من دونهم ، ثم البذل البذل ، وإذا انهزم أصحابك فاحم على أعقابهم ، وإن وقفوا لكرة وكرهتهم ، وإن نفقوا [١] فاحم بقدر الطاقة ولا تنفصل عنهم ، فليس لك موقف بعد مُعان [٢] فئتك التي تريد إليها ، وشاور في الحرب من قبل الدخول فيه ، فأكثر الشورى ، ولا تنفذ أمرا بالمشاورة من قبل الإجماع ، فإن اختلف المشيرون فخذ في الرأي ما يوجب سلامة العز والدنيا ، ولا تأخذ من الأراء ما يوجب الفتنة ، فإن الفتنة ربما أخرجت من الدين والدنيا ، وبدلت العز ذلا ، فاحترز كل الاحتراز مما يوجب ما ذكرت لك ، وإذا بان الحق وثبت الأعوان فشد ، وإذا وقعت الشبهة فأمسك ، وإذا عدمت أهل العون فارفق بنفسك ، ولا تضع شيئا إلا في موضعه.

الله الله ثم الله الله احفظ بكل ما أوصيتك به ، والناس أضداد وكل يسعى بضده ، فاطّرح ذلك ولا تعمل من الأمور إلا بأصحِّها وأبعدها من الريب ، ولم أَدَع حالا أوصيتك به إلا وقد ذكرت لك منه أصلا تبني عليه ، أو فرعا تعتمد عليه ، والله يوفقك ويحفظك ، ويمدك بعونه ، ويسعدك بطاعته ، وهي العروة الوثقى لا انفصام لها ، فتمسك بها ففيها النجاة ، والحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما.

---

(١) في الكلام هنا خلل.

(٢) في الكلام هنا خلل.

[كتابه إلى ولده جعفر]

وهذه رقعة له أيضا إلى ولده جعفر بن القاسم بن علي

الذي أوصيتك به يا بني تقوى الله ، فإن من اتقاه جَعَل له من أمره يسرا ، ومما تضيق به مخرجا ، وقد ساقت الضرورات أباك إلى المدخل مع هذه الأمة التي لا يسع مؤمنٌ الدخول معها إلا من بعد جُهد وضرورة ، ثم إنه ليس أحد أولى منك يا بني بمؤازرتك لأبيك ، ومعاونتك على ما قد دخل فيه ، فكن عند ظنه ، وأحضر نفسك الصبر على ما يلم بك من مقام هذه الدنيا ، واعلم أن الرجل لا يوصف بالرُّجلة حتى يكون حازما ، فاحزم في أمورك.

واعلم أن الناس ميلا [١] بعضهم ببعض ، ومفتون بعضهم ببعض ، فاصبر على من آذاك منهم ، ولا تفرحنَّ بقولِ مَن حسَّن لك القول ، فرب قول حسن من تحته سيء ، ولا تظهرن من نفسك لعَدو عرفت عداوته أنك تشناه [٢] ، ولا تثقن بصديق رأيت منه ما تهواه ، فليكن حذرك من صديقك كحذرك من عدوك ، مع إظهار الجميل لهما جميعا ، وبسط الوجه لهما معا ، واعتبر بما قد قلت بنفسك التي هي أقرب إليك منها ، فإنك تجدها تدعوك إلى ما لو أسعفتها فيه لكان بذهاب الدنيا والآخرة منك ، وقبح القالة فيك ، فإن

---

(١) كذا في السيرة.

(٢) في السيرة: تشناه. ولعل الصواب ما أثبت.

كان ما تريد نفسك يؤول إلى هذا ، فكيف يكون حال غيرها من ولي لم تتحقق ولايته؟! أو عدو لا تأمن خيانته؟!

يا بني إذا ارتضاك [١] قوم لأنفسهم واليا ، ورأوك لذلك أهلا ، فصدِّق ظنهم بك ، وألِنْ لهم جانبك ، وأحسن إليهم جهدك ، وليس ذلك إلا بأن تشملهم [٢] من صبرك على مسيئهم ، وتجاوز عن قبيح فعلهم ، فاجعل من نفسك ما قد وَصَّيتك به.

واحذرك من الإصغاء لمن يبدي لك النصيحة ، ولكن اسمع قوله ، وأظهر قبوله ولا تعطي [٣] ولا تعمل به حتى يتحقق لك منه ما لم يستبن عند لقائه ، فإن أبانت لك التبينة سيئا فاحمل نفسك بالتجاوز عنه ، وإن أبانت [٤] لك حسنا فأنت إذ ذلك المقسط بحاجتك ، والسَّالم من عجلتك.

ومما أوصيتك به كثرة الاحتراز من الناس ، فإنهم مبتلون بانتقاد [٥] البرية ، يحصون [٦] على كل إنسان قوله وفعله ، فاجعل السكات شعارك ، تسلم من ساع يَسعى بعوار كلامك ، وإذا أردت فعلا فتثبت قبل فعلك حتى تدري

---

(١) في السيرة: ارتضيك. والصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: ذلك بأن جعلهم. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) في السيرة: ولا تعطا. ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) في السيرة: بانت. ولعل الصواب ما أثبت.

(٥) في السيرة: بافتقاد. ولعل الصواب ما أثبت.

(٦) في السيرة: بحصون. والصواب ما أثبت.

، إذ ذلك أوفق من الترك ، وليس كل الرجال يعرف ما يصلح له ، وإنما الذي يحظى [١] بالمعرفة من قد جرب الأمور ، ودارت عليه دورات [٢] الزمان.

وأنت يا بني غر عن الدنيا وما فيها ، شاور الناصح إذا عرفته ، وربما أفِنَ رأي الناصح المحب ، ولكنه يتقلد اللائمة في ذلك ، ولا ترم أنت نفسك بَعد مشاورتك.

إياك يا بني أن تعجل بعقوبة من أدَّبت حتى تعرف ما يفعل ، فإن المغتاظ يغرب عن عقله ، ومن قدرت أن تضربه بسوطك فلا تضربه بسيفك ، ومن قدرت على حبسه فلا تضربه بسوطك ، ومن كفاه الكلام منك فلا تلقه في حبسك ، ثم عليك بترك الانبساط وإكثار المقول ، ورَدُّ تحية من حياك أوجب من حياطتك عن خطئه بأصوب القول ، ثم أمسك فإنك تقدر بعد الإمساك على ما تشاء من القول ، ولست تقدر على رد ما يُندم على قوله من الكلام.

واعلم أن المروءة التي تناهى إليها الصفة ، والعفة التي ليس مثلها عفة ، الزهد في حطام الدنيا ، وقلة الشَّره إلى ما في أيدي الناس ، غيِّر عما تدعوك نفسك إليه ، ووفر مالَ مَن عرض عليك ماله ، وربما أعطى الإنسان عطية تختبر فيها مكنونه ، وتعرف بها همته ، فإياك ثم إياك أن تقبل هدية من أحد ولا تقضه حاجته ، وتغنَّ بما قسم الله لك وأنا زعيمك بقضاء حاجتك ، وجلالة قدرك ، إذا أديت ما فرض الله عليك ، وجعلت حاجتك إليه ، والسلام ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

---

(١) في السيرة: يحظ. والصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: دوران. ولعل الصواب ما أثبت.

[تذكرته لأهل ولايته مع ولده علي]

وسألوا الإمام أن يولي عليهم ولده عليا ابن الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين القاسم صلوات الله عليه ، فأوبج لهم في ذلك وولّى ابنه عليهم ، ووجه مع القاسم تذكرة يسيرها في ولايته ، نسختها:

بسم الله الرحمن الرحيم

تعلم يا بني - أرشدك الله وأسعدك - أن حكماء الأمة من جَعَل الأناة نصب عينه ، وشعار قلبه ، ثم استظهر بأراء ذوي التجربة ، الذين كثرت عليهم نوائب الزمان ، وتتابع الحدثان ، وأنت غِرّ من الزمان ، وما يدور به على الإنسان ، فإن استشرتَ مَن قد لحقه التجربة عقلت رشدك وسعدت ، وليس كل الناس يُستشار ، وإنما الرأي لأهل العقول الرضية والديانة والأمانة ، وليس رأي الواحد يكاد يتبين صوابه إلا لمحصل حكيم ، فإذا أردت أن تنال الرأي فشاور جماعة من ذوي الرأي كلا على حياله ، فإن اتفقت آراؤهم فلن يكون مع الإجماع خطأ ، وإن افترقت واختلفت فخذ منها بما أوجب العفو والأناة ، فاجعله المقدم فإنك مع ذلك ستدرك الفائت ، وتأمن الندامة ، فهذا وجه اجعله مقدمة أحوالك ، واجعل بجميع متصرفاتك أن تستشير فيما كلّك وسر مسرّتك ، وما لا مشورة فيه ولا غنى عنه ، لكن ضربتُه مثلا لئلا تَدَع المشورة في صغيرة ولا كبيرة ، ولا قليل ولا كثير الله الله.

وأحذرك نفسك فإنها من أعدى أعدائك لك ، وأشدهم مضرة عليك ، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف:٥٣] ، وقال عز

وجل: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ ﴾ [النازعات:٤٠-٤١] ، والهوى فأصل كل معصية ، وقد قال علي عليه السلام: « وإذا خطر ببالك خاطران فخذ بأكرههما إليك ، فإن الرشد فيما تكرهه إلى آخر عمرك » ، فإن أجبت دعوتما وضعك ذلك وأذهب بهاءك ، ونظرك بعين الدناءة من عاداك ، وساء ذلك من والاك ، فالزم الصبر فإن الصبر مفتاح الفرج ، وقلّ من صبر فلم يظفر بحظ بحاجته ، واستعمل عن كل ما تدعوك نفسك إليه الصبر [(١)] ، وأحذرك إدناء من نقصك دناءة ، وتقلّل من الناس ما استطعت ، فإن مثل خيارهم كمثل الدرّ ، ومثل شرارهم كمثل الصخر ، فالدر خفيف محمله كثير منفعته ، والصخر ثقيل محمله قليل نائله ، وأحذرك الرغبة في الدنيا فإنها فضاحة نشافة ، وليس يدرك لها غاية ، وأحذرك أن تطالب حوائجك معا ، فيثقل عليك مطلبها ، فيخزيك فتوها ، واطلبها بددا فإن ذلك أحرى بنيلها ، وأخف لتكفلها لمن كفلها ، فهذا وجهه فاعرفه ، ولا تغلط فيه ، وهو الذي أجلّ بكل من دخل في مدخلك ونحن بمعزل ، ولست تحظى بشيء قد وصّيتك به الآن إلا بتقوى الله وتقوم بما حضضتك [(٢)] عليه ، ولا تذر اكتساب العلم والاقتداء بآثاره من العلماء والحكماء ، وهذا مفتاح الرزق ، والنجاة من غضب الخالق ، وقد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار » ، والسلام ، فالله يصلحك ويحفظك ويوفقك ، والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

---

(١) في السيرة: والصبر. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: حضه. ولعل الصواب ما أثبت.

[تذكرته لخلاف بين الزيدي وابن أبي الفتوح]

قال الحسين بن أحمد: وكان مقامه بعيان ونهض منها إلى مذاب ، وأقام بها يعمر حصناها ويزرع في ضيعته ، فبلغه شكايات بين ابن أبي الفتوح وبين الزيدي ، فأمر الحسين بن ظاهر بن حلم الحسيني أن ينهض فيصلح بينهما ويجعل طريقه على ابن زياد ، وكتب له هذه التذكرة التي نسختها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الذي أوصيك به يا سيدي أسأل الله رعايتك ، وأعهد إليك فيه تقوى الله بُديا ، وأنّب [١] هذين الأميرين في أنفسهما ، وتحذرهما مكيدة من يريد فرقتهما ، ويشاء أن تكون السواية [٢] من كلٍ لصاحبه بيد الآخر ، فقد رأيت وجه ذلك [٣] وتحقق عندي ، وتحذرهما التفرقة الثانية [٤] ، فإن الفرقة لا تأتي إلا من الأتباع ، وأن تصل الزيدي أيده الله تعالى فتحدث معه في وجوه:

أولها: أنه قد عاد يُنسب إليه الغدر ، وما نُسب إليه لم يُعدَل عني ، ولم يُجعل إلا مني ، وقد أقريتك من الرقاع المدرجة إلى ما قد شاهدت ، ولا بد من أحد وجهين:

(١) في السيرة: وأنت بعض. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) السواية: السوء.

(٣) في السيرة: لذلك. ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) في السيرة: النمرة الثانية المتصحون. ولعل الصواب ما أثبت.

إما أن يكون فيه كما قال الله سبحانه: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى:٣٨].

وإما فرقة أكون فيها أول من يخرج من الأمر ، وألزم العزلة ، ففي ذلك لي راحة إذا لم تقدني السلطنة إلى الأئمة [1] ابن قحطان يشكوا ، ثم قد صلح ما بينهما وهو صلح إلى الفساد ، وابن أبي الفتوح رَاسِمْه على رسم ، وأوجب لي رَسماً غير ما رسم ، فلم يتم ذلك واعتذر ببلاغات يمكن أن يكون فيها محقا ، ويمكن أن يكون باطلا ، وكل أمر خفي فليس على أحد منه تبعة [2] ، ولا بد أن يسلم إلى ابن أبي الفتوح نصف مخلاف خولان ، ولا يكن عليه فيه يد ولا اعتراض من وال ولا غيره ، وألف دينار على ما لم يقسم له فيه من مخلافه ، على هذا توافقنا ، ولا أعذره فيما وافقني عليه بوجه ولا سببز

وقوله -رعانا الله-: إن ابن أبي الفتوح غدر ، وإنه خلع على من بشره بهزيمة نجران ، وإنه وجدت كتب بما يوجب النقض وإنه كاتب ، وهذا ومثله خفي لم يدر به أحد بعد ، والذي كان قد عمل معنا كان ظاهرا قد شهده الخاص والعام ، وأحاط به كلٌ علما وفهما ، فهذا وجه به تتم المصلحة وتنقطع به حجة هذا الرجل عنا ، ولا تعود إلا بعد برنا ، إلا فيما كان من بدء عداوتنا ، وقد عدا بعد ذلك بما أدنى إليه المكروه ، ووالله لئن حرصت على هذا الوجه أن أكثر حرصي السيرة من هذا الرجل ومن الناس ، لأني أحق

---

(١) في الكلام خلل، ولعل هنا سقطا.

(٢) في السيرة: يبعد. ولعل الصواب ما أثبت.

وأوفق أنه متى أيس أن يكون له مني نفاعة من الأمير عوده أن البلاء يحمله على البلاء ، وهو رجل كثير الدرش والحاشية ، ولم تكن مؤنته ومؤن من يَمُون إلا من الخراجات التي كانت تجبى إليه ، ثم الرجل إذا دُفع إلى هذا الحال القبيح [1] غضبت له السلاطين وأنذروه ، ولحق العشائر ما يلحق القريب على القريب ، والصاحب على صاحبه ، وعند ذلك تدر المداره ويكشف وجهه ، فأدنى من يعمل إذا لم يكن فيه نهضة أن يقطع هذه الطريق ويبدي الخلاف ، فإن تَرَكَه جرى المخالفون مجراه واتسع الخرق ، وإن نهض نفسه يخبر عنها في عشائر عزيزة وبلدانه خربة لا تنال ، فالله لأبدوه [2] دراية في هذا الرجل ، ولا تستقر عنده حتى توجب مسألتي في هذا الرجل.

ووَجه آخر مما أعرفه به فإن جميع من يريد الخلاف لا يقدرون عليه ، ولا له للإيخاف [3] السلاطين فيُسد كل باب يخشى أن يُدخل عليه منه ، وكذلك القواد الذين يجرون في الطاعة مجرى السلاطين فيحسن مداراتهم ، ويَقُم بنصفهم ، ثم عليه بالخفض ولزم موضعه وإصلاح ما في يده ولا يطلب اليوم فتح بلد بكثر ولا بقل إلا ما دعاه الأمير لفتوحه متى قد عامله عليه ، فإن دعاه لشيء من ذلك طلبه ما قد وعده به ، فإن يصير إليه من المال ما يحمله للقيام وإلا فأمسك حتى يعينه الأمير على أموره ، فعلينا في هذه السلطنة

---

(١) في السيرة: القبيح القبيح. ولعلها زيادة.

(٢) كذا.

(٣) كذا.

أحوال شتى من رسوم تقتضي ، وبلدان قد قتلنا [١] فيها قد خرجت من أيدينا ، وأحوال لا تزال تثوب ، لأن السلطنة كالثوب الخلق في كل وقت يحدث فيه حادث يحتاج يُرفأ ، ولا مال في أيدينا نجبر به ما قد فسد.

ووجه مما نخاطبه عنه أن نقول لهذا الرجل: أنت له مأمور وأنت عليه آمر ، و لم [٢] نقل إلا أنه مأمورنا إذا قال ذلك.

قلت: فهل علمت أن امرءا يكون أمراؤه مسبوبين على خراج ما ولوا على ترك المشورة لمن تأمره يُولوا.

فإن قال: لا يكون ذلك.

قيل: فيما راغبت به سلطانك مما وليت ، وفي أي فتنك شاورته.

فإن قال: إنه فعل ذلك ، فلم يكن ذلك إلا مما وجه ابن قحطان ، أو سبب سألته إياه بالأمس ولا شيء سوى ذلك ، وأما المعاملات والفتن فلم يشاورني من ذلك ، بل نهيته في كتاب يذكر في ... [٣] عند منصرفنا من نجران عن قوم يتقصدهم ، فنسبوا ذلك إلي وخُطُوطي معهم ، فهم يحتجون بها اليوم عليَّ ، ثم لو أهمني اليوم مهمة لكنت غير قائم بها ، وذلك لسبب ولاتي ، ولا شيء سوى ذلك.

---

(١) الكلمة مهملة في السيرة، ولعلها كما أثبت.

(٢) في السيرة: ولن. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) بياض في المخطوط.

وأما الفتنة فيقدر عنها بأعشاش السلاطين ، وليس لعشهم وجبت فتنتهم ، لأن عليا عليه السلام قال في أهل الملة: « لهم علينا ثللث ما كان لنا عليهم ، ثلاث لهم علينا أن لا نمنعهم من الفيء ما كانت أيديهم مع أيدينا ، ولهم علينا أن لا نبدأهم بمحاربة حتى يبدؤونا » ، والأمير أعزّه الله قد خالف سيرة جده في هذا الوجه ، ولا لوم الآن في فائت قد مضى بما فيه ، ولكن من الساعة فنكون على أمر معلوم إن كنا أصحاباً ، وإن لم نكن أصحابا مهلنا وعرفنا من بيننا وبينه عقداً نافذاً ، تركنا ما تقلدونا وكان لنا في ذلك راحة وخلاص مما لا يقوم به حق القيام.

ومما يذكر الشريف ومخاطبات فيه الأمير ابن قحطان أيده الله تعالى حال ويبدو مما قد عرض أهلها ، فإن الأمير قائم على القوم لا محالة ، تركتَ معاملتهم وكنت تعتذر إليهم كراهية الأمير بذلك ، وأنه لا نفاعة لهم فيما به أعمل معهم إلا بصلاح حالهم مع الأمير ، وتجدد الكتب إلى ابن زياد ما لا يمسي معه حالا بترك رسم الأمير في موافقته ، فإذا صلح حال الأمير لم ... [1] إلا بخير ، وإن كان من الأمير تباطؤ وتأخُّر جرى بيننا وبينهم فساد بحسب ما يحتمل الوقت وتقع عليه المشورة ، وإن رأى الأمير تأخر القوم حمل الحطب معهم ونحر فيهم إلى متصل هذا الأمير ، وأما مكروه فلا يأتهم ، أمرته فيهم ويعتذر على سبق بمعاملة الأمير ، ويقال ما اتصال أمورنا بأموره ، ولولا ذلك لأجرينا المعاملة بيننا وبينكم بلا نائل يطلبكموه ، ونحو هذا القول مما يحمل به

---

(١) بياض في المخطوط.

المخاطبة ويكون من مطنب بكتب إلى ابن زياد يصدر كما يذكر له ، وقد بعثت أخي وسيدي فلان بن فلان لينظر حال الأمير ابن قحطان ، وأرجو أن الأحوال تحمل وتجري بالصلاح ، فيكون الكتاب مقدمة تبعث به ، ويكون كتاب ابن قحطان توال فيه قد كان إجراء أخي وسيدي فلان ابن فلان مع الأمير ابن زياد خطباً في هدنة ، ثم قد جنح لذلك وعوض شيئا من ماله لعلمنا بما يطلب الأمير قِبَله ، مما قد ارتسم فيه في بلده ، و لم نحب أن نجري معه حالا إلا عن مشورة الأمير ، لاتصال أحوالنا بأحواله وأمورنا بأموره ، فما زاد الأمير في ذلك ألقاه إلى الشريف فيخاطب عنه القوم ، فإن جرى شداد كان عن إنفاق ، وإن لم يجر ذلك لم يغمس معه يداً ، وكنا نكف ونراعي ما يتفق للأمير أيده الله تعالى ، على هذا الرسم فليكن الكتاب ، والسلام ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

[كتابه إلى الزيدي]

وفي ذلك ترد الكتب والمواع إلى الزيدي ولا ترجع غلا جفاء ما يكون وأغلظه ، كتب الإمام إلى الزيدي كتابا يعظه ويخاطبه فيه ، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

كتبت يا أخي وسيدي - أسال الله حفظك ورعايتك وكلايتك - وأنا بحال من الله جميل وعطاء جزيل ، فله الحمد كثيرا كما هو أهله من مستحقه ، وبعد أبعد الله السوء عن نفسك ، فقد بلغ الماء الزبا [1] ، وكثر على رعيتنا البلاء ، بمبلغ الأمير منتهاه فاتبعنا ، فالقبول قول الوشاة واتباعنا لما فطرنا الله عليه من الأهواء ، وإلى الله أبتهل وإياه أسأل أن يعجل صلاحنا ، ويعيننا [2] على جهاد أنفسنا ، وأنا أسألك يا ابن عمي مسألة القريب لقريبه ، والنسيب لنسيبه ، أن تترك ما قد ساء الأولياء وشمّت الأعداء ، من استغنى كل منا برأيه دون صاحبه ، والله قد نهانا عن ذلك وأمرنا بالمعاونة على ما أمرنا به من طاعته ، فقال عز وجل: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة:٢] ، ونهانا عن الفرقة ، فقال عز وجل: ولا تتفرقوا فـ﴿ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال:٤٦] ، وقد جمعنا أمر لا يسعنا فيه الافتراق ، ويجمُل بنا فيه التعاون والاتفاق ، ولم نخرج من قومنا مهاجرين ، ومن أوطاننا سائرين ، إلا لنصرة

(١) مَثَلٌ معروف. وهو بلفظ: بلغ اليل الزبا.

(٢) في السيرة: ويغنينا. والصواب ما أثبت.

الدين ، والحسبة لرب العالمين ، ولن يتم لنا ذلك ، ولا ننال العلو فيه في الدنيا والآخرة ، إلا بالصبر على المحن والبلوى ، وما أعظم [١] البلوى ما ابتلي بسبائبه من نستأنسه ، ثم بسياسة [٢] هذا السر المنظور على اتباع الهوى ومفارقة ما فيه النجاة عنه ، وقد ساقتنا الضرورات إلى الدخول معهم ، والصبر على معاشرتهم ، رعاياهم وسلاطينهم ، ولم أتم بالحسبة حتى قد رضيت نفسي ، فخبرت منها الطاقة [٣] بحمل الأمور ، وحسن السياسة والتدبير ، فأردت منك يا ابن عمي وشقيقي في نسبتي حيث ولّيتك أمري أن تستأمرني في جميع ما يقوم لك من الأمور ، في معاشرة هؤلاء السلاطين ، وإن عصيتك في ذلك بشيء احتملت وحملتُ وصبرت ، فذلك سَمتُ آبائك الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ، لأنهم رؤساء هذه الأمة ، وقوادها إلى كل ملمة [٤] ، وهم إلى أتباعهم أميل ، وعليهم اتباعنا أثقل ، وقد [٥] جل الأمر عن العتاب ، وأشرفنا من القطيعة على فناء يغضب رب الأرباب ،

(١) في السيرة: ما وأعظم. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: بساسية. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) في السيرة: الطافة. ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) في السيرة: مظلمة. ولعل الصواب ما أثبت.

(٥) في السيرة: برفد. ولعل الصواب ما أثبت.

واليمن قائما هو لأهله ولسنا نتنافس في ملكه ، فيعوض بنا حي وسيدي رأيا يحملنا ، وأمرا يجمعنا [١].

واعلم أنه لم يتبعنا من اتبعنا [٢] بحوائج هي لهم ، وذلك حسن سيرة منا ، أو نائل لا يبعدهم عنا ، فما كنا لهم كذلك استمتعوا بنا ، وإذا حملناهم على غير ذلك نجلوا عنا ، واستبدلوا بنا غيرنا ، فانظر بنا الآن يا ابن عمي في أنفسنا ، فإن نظرنا مصلحة تصلح بنا من سؤلنا.

واعلم أنه لا يشفي بيننا إلا أنفسنا ، ونحن السفراء بيننا لا غيرنا [٣] ، والواجب علينا ذلك ، وإياك أن نكون كالذين قال الله فيهم: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة:٤٤] ، فلا جعلنا الله كأولئك ولا مثلنا بهم ، إنه على كل شيء قدير وبكل شيء بصير.

وقد كتبتَ يا سيدي تعدني من نفسك بأنني لو أمرتك بالخروج مما أنت فيه لخرجت ، ولستُ لذلك بسائل [٤] بل مثلت وإليك مائل ، وإنما سألتك ... [٥] فإن حمدت عاقبته ، وإن لم يتم زلت عنه لا منه ، فامدد [١] لي يدك ،

---

(١) في السيرة: وأمراط تحملنا.

(٢) في السيرة: بين انتفعنا. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) في السيرة: السقراء بين غير. ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) في السيرة: لسائل. ولعل الصواب ما أثبت.

(٥) بياض في المخطوط.

ولا تبغي فيمن ترخص فيعلموا مثلي عليك ، فاستبق في قار مع اليوم غدا ، والأيام عوج رواجع ، ونعم يا ابن العم آبائك فكافة أهل بيتك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

(١) في السيرة: فامتدد. ولعل الصواب ما أثبت.

[كتابه إلى جميع أهل الطاعة من أهل اليمن]

وكتب كتابا إلى جميع أهل الطاعة من أهل اليمن، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالوحدانية، الآمر بحمده لكافة البرية، أحمده لجلال عظمته، ونجل [1] عليه الثناء لجسيم موهبته، الدائم فلا أول بدوامه، والآخر فلا انقضاء لبقائه، الموجد لما خلق لا لحاجة منه لخلقهم، بل للمنّة عليهم، وبيان صنعه [2] فيهم، إذ جعلهم خلقا سويا أولي صور بهية، وحواس لما يلم بها وعيّة، وعقول لما يعرض عليها مميزة [3]، ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال:٤٢]، ثم لم يذر من أوجد من خلقه من هداة يهدون بأمره إليه، ويدلون مَن جهل من البرية عليه، ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٦٥]، فأبى أكثر الناس إلا كفورا وعن الحق نفورا.

---

(١) في السيرة: ويحل. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: صنعة. والصواب ما أثبت.

(٣) في السيرة: متميز. ولعل الصواب ما أثبت.

يا أهل اليمن [مثلنا] وإياكم ، كمن سبقنا وسبقكم ، من القرون الخالية ، والأمم الفانية ، وكل من أولئك أتتهم النذر ، وبعثت فيهم الرسل ، ونزلت عليهم الكتب ، بما فيه رشدهم ، والنجاة لهم ، مع الإعذار والإنذار ، والتكليف لما فيه وبه ابتلوا من الأعمال ، فنبذ كل أولئك ما ألقي من ربه ، ولم يؤمن أحد ممن ذكرنا برسله ، ولا بما أنزل في كتبه ، وكانوا كما أخبر الله عنهم فيما نزل على رسوله ، إذ يقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۝ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝ ﴾ [الزخرف:٢٣-٢٤] ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝ ﴾ [ق:١٤] ، وقال لنبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ۝ ﴾ [آل عمران:١٨٤] ، وقوله عز من قائل: ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝ ﴾ [غافر:٥] ، وأنتم كأولئك إذ سبيلهم في الجهل والتكذيب والتعطيل سبيلكم.

ألا واعلموا يا أهل اليمن أننا وإياكم كأحدِ مَن ذكرنا من المكلفين ، وقد أتاهم من الله الحق المبين ، ولنا نبي وأمره فينا لن ينسى ، [و]كتاب الله نزل عليه وهو لا [يزال] بأيدينا ، فيه رشدنا وحكم ما اختلفنا فيه من حكم

بيننا ، وهو حجة علينا ، وإن كان لا ناظر فيه من أهل دَهرنا ، ولا عامل بما فيه من أهل زماننا ، وكذلك قال نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « إنه سيأتي على الناس زمان لا يبقى فيه من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه » وقال: « زمان يذوب فيه قلب المؤمن كما يذوب خبث الحديد » ، وهو زمانكم هذا يا كافة همدان ، فإنه لم ينجب لا يعرف إلا علماؤكم حتى شُهِرتُ ، ثم اتصلت بي كافتكم حتى كرهت ، فعندها طلب نفسي من خافكم وخشي [1] ظهوري وهوركم ، فلم آتي أن تحيرت إليكم بعد زمان كنتم تطلبون دوني فيه وأبعد منكم ، فكان من إقبالكم علي ما لا تجهلون ، وكنتم من يوم بيوم أضعف همتكم وأقل عزائمكم ، حتى تناهت بكم الأحوال إلى الدهر والوّنا ، فظهر لذلك كل معشر كان يخفي غشّه ، وأبدى المكيدة من كان يسرّ المكيدة ، واستنصركم أولئك عليَّ إذ كاتبوا جميع بيوتاتكم بالمعاملة علي ، وسوء القالة في ، ولم يلقوا منكم كراهية لذلك ، ولم يكن منكم استدعاء لمناصفة لمن بالمكروه قصد ، بل أجاب جميع من كوتب منكم بأجوبة [2] أذنت المكروه مني ، ولستم من ذلك سالمين ، ولا لمكروه ما ينوبني آمنين ، ولا من ذمامته بخارجين.

فالعجب كل العجب لمن لا يبين المبطل من المحق والعالم من الجاهل ، ولا المصلح من المفسد ، ولا المتبوع من التابع ، إنكم إذا صرتم إلى هذه الحال فلا

---

(١) في السيرة: وحشي. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: بأجوابه. ولعل الصواب ما أثبت.

متعلق بكم لمقام أجلّ ، إلا متعلق بمن نكث عهده ، وأخلف وعده ، و لم يكن [من] أولئك آمر بمعروف ولا ناه عن منكر ، وإن تعلقنا بكم من بعد أن بان منكم ما بان بالضرورة إن صيرتمونا إليها وقدمتمونا منها ، فهل فيكم أو في أحد منكم يا همدان من ينوبنا لجواب يصوننا فيه مما يصون فيه نفسه ، إلى أن نستطيع مخرجا من بينكم ، وتحويلا من أرضكم ، فإن أرض الله واسعة ، ولكنا في وقتنا هذا من الذين قال الله فيهم: ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝ ﴾ [النساء:٩٨].

أجل لقد حللنا بينكم فما أرابكم محلي ، بل سترت منكم القبيح ، وإطفاء الفتن ، وأمان السبيل ، وألم الشعث ، وقد كنتم ممن ألقاه مقام الرسول رسول الله ، والله يقول في أولئك: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [آل عمران:١٠٣]. أجل لو ذكرتم نعمة الله لما زلّت بأحد منكم قدم ، ولكنكم كأولئك ، و لم تذكروا ما أولاكم الله من نعمته ، وستندمون غدا مما أنتم له اليوم مريدين ، وتريدون ما أنتم له كارهون (١) ، ولات حين مناص ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۝ ﴾ [الأنعام:١٣٢] ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

---

(١) في السيرة: كارهين. ولعل الصواب ما أثبت.

[كتابه إلى كافة ولد سعد بالحقل]

فلما حدث هذا الحدث كتبت إليهم كتاباً لإخوتي الأعزاء على كافة ولد سعد بالحقل:

بسم الله الرحمن الرحيم

كتبت يا إخوتي - أسأل الله حفظكم ، ودفاع الشر عنكم - بعد تناهي علم ما فعلتم ، فلم يسوءني ذلك لأحوال أعرِّفكم بها ، ونذكِّركم بما نسيتم منها.

أما أولها: فإني لما حللت بداركم وكان من إقبالكم إلي ما علمتم ، وصلة حبلي بحبالكم ما عرفتم ، لم نتوان بايعتموني ، ومن بايع قائما يبايع الله ، والله يقول لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح:١٠] ، ولا أنبئك أن لا ينكث بيعته إلا أحد ثلاثة رجال: جاهل لا يلزم [١] معرفة ، أو رجل لا يعتقد الإيمان ، أو رجل يتأوّل فيمن يبايع أنه لا يستحق ما بايع عليه.

ولا معذرة لمن تأوّل هذا التأويل حتى يبتلي من بايع بما يوجب تحقيق أمره ، تبين أن يكون مستحقا فلا معذرة فيه ، أو غير مستحق فيرفضه على

(١) في السيرة: لا يلزمه. ولعل الصواب ما أثبت.

بصيرة ، فلما بايعتموني ووثقت بما عقدتم لي ، سرت عنكم بنيّة المناصرة والمظافرة ، فلم آتي أن جلبت إليكم العرب ، فأتوا على كل صعب وذلول ، ونلتم مرادكم ومكنت البلد الذي فيئكم [١] ، فلم أقصره على نفسي ، ولم أرسمها منه بدرهم فما فوقه ، وصيّرته إلى قرابتي الذين أخرجوا منه والينا الذي كانوا فيه وهو مولى عنهم ، وانصرفت كما دخلت تعففا وتكرما ، وانتهى بي المخرج إلى ترج ، ولم ألبث أن أتى محمد بن سليم الباقري بشكية سلطانكم لابن عمه ، وذكر أنه خاف الرعية عنه ، وسألني أن أقبض البلد من الجميع ، فلم أرعو لذلك ، وبنت حتى وَصَلني من كل بيت منكم فوصل من بني مالك باسان والمدلهم ، ومن الأبقور يحيى بن علي ، ومن البقرا عبد الله بن حميد ، ومن يرسم أبو العشيرة بن أيوب ، وأكدوا عليّ في المخرج معهم ، وتولي البلد على من كنت تركته له ، وأن أولّي عليه غيرهم ، وذلك أنهم يزعمون أن صاحبهم إن انفرد بولاية ناكره في ذلك يوسف ، وإن ولّي يوسف ناكره في ذلك عبد الله وأحلافه ، وإن وليّا معا لم يستقيما ، ووافتني [٢] العرب وطلبوني بذلك بيعتي لهم ، وقالوا: نحب لك أن تطلعنا ، فلم أبعد ذلك إلى إسعادهم بحال ما ذكروا ، والله يشهد إني لكاره لارتجاع البلد بعد تسليمه ، وغير راضٍ بذلك ، بل لائم لنفسي عليه ، لكن لم أجد من مساعدة

---

(١) في السيرة: الذي فتيكم. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: وافتنا. ولعل الصواب ما أثبت.

الجماعة وأميرها بدا ، مما [١] أراد الجماعة وقبضت البلد وتقلدت فتنته ومغارمه ، وجعلت لذلك نصيفا من خراجه ، وصرفت إليهم نصيفا ، وجرت الأحوال بما لا تجهلون ، وكانت من يوم فيوم تزداد قبحا ، وأنا أراعي مرادكم حتى خراجكم [٢] الآن ، فلم تجعلوه بيدي ، ولم تسألوني فيه ، ولم تشاوروني عليه ، ولم يذروني أولا وما فعت لأفعالكم هذه أجراً مما دخلا [٣] النار فلا إحساني أولاً ثم ولا جعلتم الذي فعلتم إلي ، فأعتاض به ما فوّتم عليّ ، فأرى تسليم هذه البلد من القفاء لا من الوجه ، فإلى الله أشكو ما أوليتموني وإلى أنفسكم ، وقد تصورت حالي وحالكم ، فإذا التزامكم بي لم يكن لرغبة فيّ ، بل كان لإنجاع [٤] أحوالكم وكافة أهل بلدانكم ، فلما أوجه لكم ذلك جعلتموني بظهر ، كأن لم يجر بيني وبينكم معرفة أصلا.

والوجه الثاني: أن يكون التزامكم لطمع يلوح بسببي ، فلما صح لكم بعتموني به ، فبئس العوض مني ما يزول ويفنى ، ويوجب ذمامة الآخرة والدنيا ، وقد كان ما أشرتم به علي عمارة الحصن فلم أكره ذلك لمساعدتكم ، وسألت أهله الفسح في عمارته ، ولم أكره [٥] أن أجيء مكرمةً من مكارم

---

(١) في السيرة: بدويم ما. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: جزا بجزا. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) في الكلام خلل. سقط وتصحيف.

(٤) في السيرة: لانجاع. مصحفة. ولعل الصواب ما أثبت.

(٥) في السيرة: ولما أكثره. ولعل الصواب ما أثبت.

السلف قد أميتت ، فنهضت في عمارته فلم أذر في شيء من مخاليفي [١] درهما إلا أنفقته فيه ، بل أذنت عليه حتى صار إلى حد العمارة ، وأنزلته بعض كرائم بني عمي هؤلاء ، ولم أجعله لي من دونهم ودون أشياعهم ، ثم بلغني أن الجماعة طلبوا للذمة عليه ، ولم أُقَدِّم بحمد الله يداً توجب إخراج الحريم وهدم المنازل فيقبضنا ذلك ، بل قد ولينا أولاً ولو في حال فِتَنِتِنَا فجعلنا عن منازلهم وبين ضرار إذا الحذيق منها ، ولم نحمد أنفسنا بذلك لواجب ما جعلنا علينا ولزومه لنا ، فإذا أراد بنو عمنا لأنفسهم ولنا حشمة فذروهم ، وذلك فلن نعدوهم معرفة ، ولن نصرف عنهم ذمامته ، وقد كان لنا بالبلد اتصال ننال من لنا به ما يدفعون به بعض الوقت ويقضون منه الحاجة ، ثم لا أشك أن ذلك قد خرج من أيديهم ، وقد نخشى أن ينال من لنا بالناحية قِبَلكم مضرة ، فليكن منكم لهم تفقدٌ واطلاع فيما نابهم من حاجة أقوت ، فابذلوا لنا في ذلك جاهكم فرضاً يوفّى وما بعد ذلك إلا منكم برا وعطية من أموالكم ، فوشيكا يصل من يحولهم عندكم إلى قوم آخرين ، يبين أن ينكشفوا كانكشافكم ، أو يرعوا حرمة صيرٍ لهم ، فنشد بأولئك أيدينا ونعتاضهم منكم ، وفي الله العوض من خلقه ، ولا عتابنا في حال مخرجهم من البلدان يشيعوهم إلى مهابط العقاب ، وقرأت عليكم السلام كثيرا طيبا ، والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

---

(١) في السيرة: مخالفي. ولعل الصواب ما أثبت.

[كتابه إلى العسكر]

وكتب كتابا فرّقه إلى جميع العسكر يشكو فيه أهل بيته ويذكر فيه أحوالهم ، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابي يا إخوتي – أسأل الله حفظكم ، ودفاع السوء عنكم ، بمنه وكرمه – من صنعاء عن حال سلامة ، ونعم تامة ، والحمد لله ولي الدنيا والآخرة ، وإياه نسأل العفو والمغفرة ، السلام عليكم ، سلّم الله أنفسكم وخاطركم عن النوائب وحرسكم ، قد علم الله شكري لكم واعتدادي بكم ، إذ أنتم الأخوة الأوداد ، والشيعة الأمجاد ، أهل المذاهب الرضية ، والأفعال الأريحية ، ولما كنتم عندي بالمحل الذي لا يحله غيركم ، ولا يترله سواكم ، رأيت تعريفكم لما أنا عليه من كافة الأحوال ، لمشاركتكم في كافة الخصال.

لستم أعزكم الله تجهلون حالي ، ولا كيف كان سبيل مدخلي مع أهل هذا الزمان ، أنتم تعلمون أعزكم الله أني أقمت نيفا وعشرين سنة معتزلا في رأس جبل ، وأهل اليمن يختلفون إلي عاما بعد عام ، ويسألوني مع ذلك القيام ، فلم أسعفهم على مسألتهم لا جاهلا لما في ذلك من الثواب ، ولا زاهدا في طاعة رب الأرباب ، ولكن لعلمي بأهل زماني ، وما هم عليه من كثرة الإدغال ، والميل إلى المحال ، فلما ساقتني الضرورات ، ولزمني الحق بقطيعة القرابات ، ذكرتكم وعولت على ما كان من الاتصال بيني وبينكم ، وكان منا جميعا ما علمتم ، والآن أدام الله سلامتكم فقد علمت ما لحق الناس من

الملامة والاختلال ، وتغير الأحوال ، ولم يجر ذلك إلا بأسباب قرابتي ، ومن قدمته على نفسي ، أولهم ما كان على صعدة فقد علمتم مدخلي معهم في بدء أمري وصيانتي لهم ، وحرصي إلى ما ودا إلى محبوبهم ، فرددت عليهم بلدهم ، وثقّفتُ أَوَدَهَم ، وأصلحت ما كان متشعثا من شملهم ، فعدت على ترج بصلاح ما خلفته هنالك من الذرية ، فلم أبلغ البلد حتى لحقتني رسلهم بالمناكرة بين الجميع منهم ، والشكية من كل صاحبه ، وعند ذلك لحقني وجوه خولان ، وأقاموا عندي و لم يعذروني دون أن أنهض معهم ، فأسعدتهم وألفاني من كان هنالك من بني عمي وقرابتي ، وكان بيني وبينهم ما هو ظاهر مشتهر ، ثم ظهرت منهم المحن ، وجرت بأسبابهم الفتن ، إلى أن أفسدوا نجران وكان ما عرفتم من جميع الأفنان ، وكان آخر ما جرى بحضرتكم وتوسطكم بيني وبين يوسف بن يحيى ما أجريناه من الأيمان المؤكدة ، والعهود المشددة ، بعد أن أسعفت طلبته ، وأجبت مسألته ، فلم أخالفه في شيء مما طلبه ، وكان عمله وعقده له ولكافة أهل بيته ، وانصرفنا من هنالك إلى صعدة ، وكدنا ما كان من ذلك بحضرة وجوه خولان ورضاء الجميع منا ، لم يخرج من ذلك إلا المليح ، فتقلده أخوه على طلبة طلبها له ، فأجبته إلى ذلك ، ومضيت إلى ترج سفري هذا الآخر لنقلة من علمتم من الذرية ، فخرج إلى تهامة وأرسل إلى الأمير جعفر رعاه الله يسأله التوسط والضمان والمدخل بيننا ، فأجبته إلى ذلك ، ومضيت بذلك ، كتبه أبو جعفر أحمد بن قيس الشاهد بذلك ، والقوم يرومون أمورهم ، ويعاملون قيس أصغر معهم إلى أن كان منهم ما قد بلغكم ، فهذه أحوالي وأحوال القرابة.

وأما الزيدي فوصلني وافداً من الحجاز على صورة قد علمها كافة الناس ، فقدمته ورفعته وفوضته ، و لم أجعل لنفسي ، ولا لأحد من قرابتي كالذي جعلت له ، فنال ما علمتم بسببي ، وأخذ الناس باسمي ، وغدر في ذمتي ، و لم يَحط قولي ، ولم يرع عهدي ، وفتن كافة السلاطين ومعهم خطوطي ومعاملتي ، فأعطيت على ذلك ودفعت الوقت بالوقت ، وأرسلت إليه الشريف الحسن بن طاهر الحسيني ، ولطفت له الاحوال ، وعرضت عليه كل جميل من المقال والفعال ، فلم يلتفت من ذلك ، وفرّق كتبه إلى كافة العشائر ، يستدعيهم ويطمعهم ، وكاتب إلى العيديين ، وفرق الرقاع ، والرسل بالمواعيد على أهل الطماع ، وأرسل هلالا [1] فركز به في بيت بوس يستقضي ويضعف أمري ويدعوهم إلى نفسه دوني ، وإلى الفساد علي ، والخروج من جملتي ، كتبه إلى العشائر بذلك معي ، فتجاوزت جميع ذلك ، وأعدت الحسيني سفيرا إليه ، أتلومه وأشرط له كل شرط جميل ، فأعاد إلى الدخول مع المليح والحلف له ، وخشي إجماع خولان واعتذر بأنه أبدى إليه أولاد الإمام الجفاء ، وأنه قطع عنه ما كان الإمام رسم له في صعدة.

(١) هو هلال بن يحيى العلوي، له ذكر كثير في تاريخ صنعاء لابن جرير.

[كتابه إلى يوسف بن يحيى بن الناصر]

وكتب الإمام عليه السلام جواب كتاب عند ذلك ، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل كتاب الشيخ السيد - أطال الله بقاءه ، وأدام عزه ونعماءه ، وحاطه وتولاه – معرفا بما جرى في الناحية من إجماع خولان مع أبي إسماعيل إبراهيم بن محمد - أطال الله بقاءه – ولم يستو ذلك لأنه كان في وجه فتنة قد أبان لها نفسه ، ولم يكن بيني وبينه ذمامة [١] ولا عقد ، ومن تولى ولاية على هذا السبيل حبس ذلك به ، ولم يزل ما جرى على مثل هذا الحال لا ينكره العرب ولا السلاطين بينهما.

وأما ما ذكرت من حلف سعد والربيعة وهدم الدماء بينهم ، فقد كفاهم الله تخلفي المتقدم بينهم عن هذا الحلف الثاني لو أعفيتهم أيدك الله. وقد سعى معك في ذلك قليل من كثيرهم ، أهل الحفائظ والمعمول عليهم من العشائر ، وأولئك معنا ، وكتبهم تترى إلينا ، وشكا ما يؤيدنا الله وإياهم بعساكر يضيق بها الفضاء ، ويحل القضاء ، وتعود الأحوال كما بدأت بحول الله وقوته.

وأما ما ذكرته من إجماعهم على ابن أخيك وإكراههم إياه ، فلم يكن هنالك لا إكراه ولا إجماع لحال من [٢] أبو إسماعيل معك ومعه ، فألفاكما

---

(١) في السيرة: دلامة. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) كذا.

سريعا إلى ما دعاكما ، وليس ذلك أول دعوة دعاكما إليها فأسرعتما ، ورضيكما للمكروه فأوقعكما.

وأما ما عرضت به من الشكية لولدي وأخدامه ، فأنت تعلم - أطال الله بقاك - أن ولدي يوم ما [١] ذكرت لم يكونوا معاملين لك ، ولا بالحالفين لك ، ولا أنت لهم ، إنما ذلك بيني وبينك ، يحضر من علمت من مشيخة وادعة وغيرهم بأثافت ، ومن حضرنا أيضا بصعدة من مشيخة خولان وغيرهم ، وهذا الغدر الذي يفضح ولا يقبل إنما لو كنت مصيخا أو وقفت علينا حساب ، ما أخذوا حتى يأمر بعزمه ، فيعتب علينا بما لا معتبة فيه ، وإنما العتب لنا عليك أولا وآخرا.

أما أول ذلك فإني كاتبتك من الحجاز ابتدأ متعزّما مواصلا ، فضرب رسولي و لم يقرأ كتبي حتى رددت إليّ إلى الجبل.

وأما الثانية فإني وصلت إلى صعدة فلم يبق من العرب أحد فيما بين مكة والمدينة وأقصى اليمن إلا أولانا الجميل ، ولقّيتنا أنت - أيدك الله - الشر والقبيح بعد أن نزلنا عليك منزل الضيف ، وتجنّبنا من النزول على من كان لك حربا ، كل ذلك تقربا إليك وصلة بك ، فلم يزدك ذلك منا إلا بعدا.

ثم سرنا في عساكرنا المنصورة ، وكان ما علمت فلم نغرمك شيئا مما جرى ، فجعلناك ومن صفا لنا وُدُّه من قرابتك سواء ، وقد كان بيني وبينهم من الأرحام الشاملة من دون النسب الذي يجمعنا ، والتجريد معي ما كان

---

(١) في السيرة: يوما. ولعل الصواب ما أثبت.

يوجب لهم أن أصرفه إليهم جملة ما وليت من بلد خولان ، ولأجعلك معهم فيه شريكا لسيء ما قدمت ، والله يجزي كل عبد بفعله ، ويعطيه بعمله ، و لم يفت بحمد الله إلا الشر موكل [1] فأنت مستدرك وأنا صابر إن شاء الله بحمد الله ، وقويت العساكر المؤيدة المنصورة ، وخالطونا بالعصبة الوفية المذكورة ، الوافية بذمتها ، الراعية لعهودها ، مغرز خولان وساداتها ، ولا ضرّ فيما عوفي الله من يضره ، وعند ذلك إن شاء الله أُوْلي بني عمي وأقرب القرابة إلى ما كنت قد أبعثهم عنه لمراعاة صلتك ، ثم لم نجد فيك ما رجونا وإنها لمصيبة كبيرة نشكوها إلى الله تبارك وتعالى أن يكون أسن آل رسول الله لا يفي بعهد عاهد عليه ، وعند هذه المصيبة نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

ومما يدفع به كيدك فيما أخذ من هذا المجلس ما شارطناك عليه من أنه إذا أشرف على البلد حال يخشى ، صرفنا فيه جميع خراج البلد ، فلم يكن في الحال أكبر من مركز ثبت علينا كان آخره ما ترى ، فخلف هذا المعنى وتعلق بمتعلق يلزمنا ، و لم تجد [2] ذلك بحمد الله أبدا أنت ولا غيرك فينا.

وكيف يكون ذلك ، وقد هذبنا أنفسنا وأصلناها على الصحة والوفاء ، واقتدينا مع ذلك بآثار السلف وبالآباء؟ ولسنا إلا كما قال عمنا محمد بن إبراهيم عليه السلام: إنه لا ينتفع بالعلوي حتى تنبت عانته بالحجاز ، وأنت يا

---

(١) كذا.

(٢) في السيرة: نجد. ولعل الصواب ما أثبت.

ابن عمي نشأت بين الصنعانيين فاقتديت بأفعالهم ، وأنت معهم [١] حيث ما صرفوك تَصَرَّفت ، ونحن نقول: ألا لعنة الله على الظالمين من الأولين والآخرين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

فأجاب الإمام القاسم بن علي صلوات الله عليه على يوسف بن يحيى بجواب في كتابه الذي استثنى نسخته قبل الورقة ، نسخته من خط يده:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل كتاب الشيخ الجليل أطال الله بقاءه ، وأتم نعماءه ، مخاطبا لي بالشيخ وأنا كهل ، فشكرت إعظامه وإكرامه بما لم آمله من النصفة الجليلة ، وقد هجر ذلك بعدها بما قد أجفى من القول ، وذكر أني أردت بذلك إقامة الهيبة والجفاء ، وقال: إن الهيبة والجفاء لا تكون من الأكفاء ، و لم أر ذلك و لم أقصده ، بل لا أعلم مَن أبلَغَ في التواضع للأكفاء مبلغي ، فلم نر كثيرا منهم ذلك ، و لم يخف على الله شيء في الأرض ولا في السماء ، وذكروا أني وإياكم أكفاء ، وأنهم لم يُبن لهم مني فضل يقدموني به عليهم ، وصدقوا [٢] أما أكفأ فلا مدافعة دون ذلك ، وأما الفضل فلن يعرفه إلا من هو سجيته ، وإلا لزم على من جهل حالا وجهل مالاً يدق ، وإن كان لم يعذر البرية في طلب ما ينفعهم.

---

(١) في السيرة: معاهم. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: وصدق. ولعل الصواب ما أثبت.

وأما قوله: إني وجدت الأشراف مفترقين فضربت لهم شبكة خداع خوف الاجتماع حتى وجدت فضلاً قد دخل فيه ، فيا سبحان الله وهل ذلك لي شبيه ، أجل لو كان ذلك لاغتنمت الفرصة وشددت يدي بما فتحت بسيفي ، مما وجدتكم مخرجين منه ، فلم آل جهداً في تمكين الداخل وإدخال الخارج ، وكسرت شوكة من قد أباح الذمة ، وهتك الحرمة ، وسب الأئمة [١] ، ثم عمدت من بعد ذلك إلى ما فتح بي من البلاد عنوةً كبلاد بكيل ووادعة ونجران ، فجعلتها في أيدي أهل بيتك فوليتهم ما توليت من ذلك ، وخرجت من اليمن كما دخلته حتى عدت إلى أرض خثعم أريد المحل هنالك متخليا من اليمن لا أريد له عودة إلا لناجم يوجب مَرجعي.

فلم ألبث إلا يسيرا حتى ورد علي كتاب الأمير عبد الله بن محمد يذكر فيه جور أصحابه بيرسم [٢] ومَنْعَهَم عن المَمْسَى [٣] في مدينة صعدة ، وخوف أصحابه بني سعد ، ومنعك لتجار البلد أن يدخلوا مترله ، وتسألني مع ذلك قبض البلد ، إذ لا حظ له فيما جعلت له فيها.

و لم ألبث بعد رسوله أن وصل أشياخ بني سعد باسان ، والمدلهم ، ويحيى بن علي ، وعبد الله بن حميد ، وأبو العشيرة بن أيوب ، فشكوا كالذي شكا

---

(١) في السيرة: وسبب اللمة. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: برسم. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) الممسى يعني: المساء.

أميرهم ، وأكدوا [١] علي في التخريج معهم ، ففعلت ذلك ووصلت ، فعزلتكما بما عاينت فيه صاحبك ، وكان الواجب أن يكون العزل لك والولاية له لحيفك [٢] عليه ، لكن تكرهت العرب ذلك فتولينا إلى ذا [٣] والمغرم ، وجعلنا لكما ما لم يكونا بنا لأكثر منه ، ولم يَنسي عن أمر الربيعة بالفساد ، وغرهم فلم يدركنا والحمد لله في ذلك مضرة ، ولم نجازك عن ذلك بمكروه نالك منه معرة ... [٤] ما نالنا من سببك ، ونالك من تعطُّفنا عليك لما أحطنا بذلك ، وأمورنا بادية ينظرها الخاص والعام ، ومن ذكر غير ما يعرف الناس منها جشَّم نفسه وأزرى [٥] بها.

وأما قولك: إني أعطيت من نفسي العهود بأن لا أزيح إماما تحق إمامته ، ولا أميرا عن إمارته ، ولا رئيسا عن رياسته ، وإن همدان شهود بذلك ، فلا قبلت ذلك حتى يتم لك الشريط ، وتطلب الوفاء بيد قدمتها ، ولقد نعلم إنك كنت من أكره الناس بالمقام ، فلما وليت لم أنزعك من شيء لا مما تنجحد [٦] ، ألفيتك فلم تجحد من هذا ما لا يحسن ممن يحل من الشرف والمترلة

---

(١) في السيرة: وأكلوا. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: لحفتك. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) كذا.

(٤) بياض في المخطوط.

(٥) في السيرة: ولو دار بها. ولعل الصواب ما أثبت.

(٦) كذا.

الرفيعة محلك ، وكذلك ذكرت - أحسن [الله] توفيقك - أني لا أخرج مخلافا ممن وجدته في يده ولا رعية من راعيها ، وقد جعلت ذلك لمن [(١)] سلَّم ، فأما من عرض السفه لي ، ولم يَرعو لقولي ، فلم أجعل هذه الشريطة لمن كان كذلك ، وإنما جعلتها لمن وصل حبلي بحَبله ، ووافقني على العمل بحكم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ولا متعلق لذلك بذلك أيضا.

وأما ما أضفت إلينا من الغدر فمحال ذلك ، وبهتان يلعن الله من فعل غدرا ، ومن قال زورا.

وأما ما تذكره من أني غدرت بأهل نجران فمحال ذلك من أهل نجران إن كانوا زعموا ذلك ، وإن كان من بعض من يريد أن يَطغى فليس لخصم على خصمه قول إلا ببينة ، فأبن ذلك ، أو بينوا لأهل نجران إن كانوا المدعين ، وإن كنت المدعي لهم ، أبى الله لي ذلك وطهَّرني منه ، فقل قولا يصح.

وذكرت أني غدرت بني عمي وأسَرْتُهم ، كان معي القاسم بن الحسين الزيدي ، ولِمَ والعظيم أغدر به ، ولا بأحد من البرية ، بل وليته مقامي وقلدته ذمتي فغدر ، ثم أذممت له وأساء ثم أمرته بالإحسان إليه ، فلما لم أسعده في غيّه ، وأتبعته في جهله غدر بي كما فعلت ، والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين.

والله ما قصرت في الزيدي منذ وصلني إلى هذه الغاية ، فإن كان قد شكاني إليك فهلا وقفت أنت وغيرك على عهدي له ، ثم لتعلمن من بعدِ نَظَرٍ

---

(١) في السيرة: لم. ولعل الصواب ما أثبت.

أنه الغادر لا أنا ، ولكل نبأ مستقر ولن يخفى من الأمور لا ظاهرا منها ولا مستورا ، خلا ما لا يكون ، وإن أحببت أنت أن تفتشني وإياك علماء الأمة على علم الكتاب وسنة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأنا والسلف فعلت لك ذلك ، لئن يخرج الشك من قلبك ، وتعترف بمن هو أولى بالفضل منك.

كذلك ذكرت أهل بيت بَوس ، فأما أهل بيت بَوس فإن ابن سلمة أدخلنا ذلك المكان مُظهرَ الطاعة ، فلما حلّ ولدي عنده نزل به ابن أبي الفتوح وسأله الوصول معه إلى صنعاء ، وذكر له أبي خارج فأتى يطلب مني الأناة ، فلما أخرجا في الليل البرية ... [1] بنو شهاب بينهم ، فاتفق رأيهم أن أجلسوا للرجلين ومن معهما ، جماعة في الحصن وجماعة في النقيل الطالع إلى الحصن ، وعزموا المكيدة فيهما ، فطال مكثهما في المدينة ، ولم يخرجا إلا وجه الصبح فأسفرا قبل وصول القلعة ، فتحير من كان في النقيل إلى الشعب الذي في المكان فمكثوا فيه ، وهي الحصن من فيه من معقاب محسوسين ، فوصل الرجلان النقيل وليس عليه أحد ، فولجا في الحصن فلما أن صاروا فيه شكا إلى جعفر بعض أخدامه فأمر له فنادى الخادم بأعلا صوته ، السلاح والرجال ، فهدت الجماعة التي في الشعب تحسب أن أصحابها قد واقعوا في الحصن ، فخرج لهم من في الحصن من أصحابنا فطردوهم وكفى الله من مكيدتهم ، وفل منهم شوكتهم ، وذلّ من في الحصن.

---

(١) بياض في المخطوط.

وأتاني من حضره مشهورة القوم منهم يريد ومتنصحا لما كان من رأيهم ، فأنفذت علي بن يحيى بن عبد الله الرسي على بجاوي مفردا بالبدار إلى جعفر ، فوصل الشريف والناس طردون وإياهم بما ذكرت ، ورأوا من ابن سلمة المكيدة من المدافعة عمن أغار من أصحابه والعصبية لهم ما أوجب ما ذكر ، ثم تظاهرت الأخبار واشتبه الأمر ، فلما كان ذلك أمرت بهدم القلعة و لم يكن لمن بدت مكيدته عهد ولا ذمة ، وقد قتل الحسين بن علي عليه السلام أسيره بعد أمانه لما هَمّ بقتله ، و لم يجعل الله العهود إلا لمن استقام والتزم بها ، قال الله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ﴾ [التوبة:٧] ، فلم يجعل الله الاستقامة إلا لمن استقام.

وأما قولك: إني عاملت الأمير عيسى بن جعفر وأعطيته سبعين عهدا ثم غدرت به ، فليس ذلك كما ذكرت ، لم أكن بالحجاز أميرا يعاملني عيسى ، إنما كنت رجلا مطيعا أفد إلى عيسى وأنا مريده ، فلما طلبه السلطان إخطاري بذلت نفسي معه للمكروه ، أناسا من الحياة لما أولاني ، فلما هَمّ السلطان بالقبض عليّ تلطف في الحال حتى حاجني ، فلما صرت إلى الحجاز عدت إليه زائرا ، فبدا في الحال أن السلطان لم يذرني له إلا بضمان إليه ، فحَقَقت أنه لم يضمن ذلك الضمان إلا ضرورة ، فرأيت أن أبعد نفسي عنه ولا أعرضها لما يشيعه ويهلكني ، وحرى بعد التحيير وحبسه خشي فيها أن يكون مني مكروه إليه ، فإن كان ذكر ما ذكرت فحال أن لا اطلاع في هذه

الناحية ، والأمر بيد الله ليس لأحد منه شيء ، فسهِّل [١] على نفسك ، وأيقن أن ما شاء الله كان.

وأما ما ذكرت من افتخار الناس بأسلافهم ، ولم أزد على أن أصغر لهم ورفعت نفسي وحططت أسماءهم ، وهذه خلة يلعن الله من فعل فيها ما ذكرت ، أنا بفخرهم أفخر وأتباعهم أذكر.

وأما ما تعلق به علي من ترك تسميتهم على المنبر ، فإن ذلك كثر ، وجاوز من ذكر من الفضلاء حتى عتب ذلك عليكم ، وفي إجمال ذكرهم من دون الأسماء ما كفى ، لأنه لا اختلاف بين الأمة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يصلي على النبي وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وهذا أجمع وأكفى من التفريق ، وتسمية بعض فضلاء أهل البيت دون بعض ، فما علقتك بمثل هذا فعالك من الحجة علي.

وقلت: إن الناس انصرفوا عني إذ رأوني أهدد أهل بيتي بالقتل والسيف ، وهذه دعوى لا صحة لها ، لا الناس سمعوا مني هذا ، ولا أنا بحمد الله نويت هذا الفعل دون قوله ، وإنما تعلقكم علي بطلابة بني أبي الطيب ، إذ قيل صاحبهم يمن بآرائه صاحبا يأمن الرعية ، فلما خرجا وبقي في البلد أنفار منكم طلبوا قتل بعضهم ، فلم أوصلهم إلى ذلك ، وقلت: قبلكم سلاطين فهم بظاهر البلد ولسنا نحول ولا بين مرادكم منهم نسبة حالهم ، إذ وتروا وبقية

---

(١) في السيرة: فيسهل. ولعل الصواب ما أثبت.

منا أهم لا يذكرون من كان بظاهر البلد ، فأنتم من يومئذ متعلقون من هذا القول بما لا يوجب لي لوماً ولا قليلا.

وأما قولك - جعلت فداك -: إني أرسلت لبني أبي الطيب حتى يفعلوا المنكر ، وأهم أظهروا ذلك فما أنكرته ولا غيرته ، فلم أعلم أني أرسلت لهم لغير المنكر ، فضلا عن المنكر أعوذ بالله من ذلك ، وأما القوم فوصلوا لما لم يجهلوا ، فإن كانوا أتوا منكرا فغير متصل بي ، ولا منسوب إلي ، و لم أر و لم أسمع و لم يحضر عندي من يثبت بذلك شهادة ، فأكفهم عن ذلك بالموعظة ، وأما الحد فلم نجد استطاعة نقيم بها الحدود ، ويمنعني من ذلك كالذي يمنعك ، وأنت فلم تزل تُخبرَ عن سفهاء الذرية بما يوجب الحد والأدب فلم تسل بغير ذلك.

وأما ما تذكر وتشتكي مما جعلته سببا للتخريج مما دخلت فيه معي ، فليس ذلك بمخرجك مما دخلنا فيه ، وإن حكم بذلك حاكم بيننا دخلنا تحت الحكم ، إلا أنه أوكد من رواسي الجبال ، ولو استقلت من قبل ما جرى ألا قلت ، ولقد نبذت إليّ عهدي في حال الفسحة لما لمت.

وأما ما يتعلق به على ذلك المعنى الجاهل من خطأ القول ، فمثله أخطأ وأساء قبح الله وجهه وفعله ، ولا بلّغه في القبح أمله ، صغر عليّ والله ما يشكو منه ، ولا حيَّ له ولا كرامة ولا نعما ، غير أن أخبر فعله وما هو أهله ، وإن لم يكن منه انقلاع عن السيء فقصر الله عمره.

وأما قولك - جعلت فداك -: إني سُميت بغير اسمي وادعيت ما ليس لي ، فليس الأمر كما ذكرت ، أما والله لو كان ذلك لأخرجني منه العلماء كما

أخرجوك وغيرك ممن ادعاها ، إذ الأمر بلا دليل ولا بصيرة ، أن الأسماء لو كانت تنظر بسماها بلا دليل لما بقي أحد حتى يتسمَّى بها ، لكن أبى الله ذلك إذ ميّز بين الحق والباطل ، فقال لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام:٣٣] ، قال: فإنهم لا يكذبونك بحجة يقطعونك بها عن مقامك ، فأما التكذيب بالقول فلم يزالوا مكذبين ، ولما جاء به جاحدين ، وكذلك كان فعلهم مع سائر النبيين ، قال الله عز وجل: ﴿ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ [ق:١٤] ، وقال لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ [آل عمران:١٨٤] ، وقد بلغ بهم تكذيب من كذبهم أو ناكرهم أن انفردوا بأنفسهم في أطراف البلاد لا تابع لهم ولا ناصر ، حتى اختار الله لهم دار الآخرة ، وأهلك مكذبهم بأنواع العذاب ، فإذا قد جرى ذلك بيننا في أنبياء الله مع ما أتوا به من الدلائل والمعجزات ، فالأئمة أجدر أن يُكذَّبوا وأن لا يعرفوا!! فكيف يعرف الأئمة من جهل عليهم ، وإنما بعلمهم يُعرفون ، ولخذل من خذلهم أن يظهروا بسيرهم ، وبالسيرة [1] الكريمة يوصفون ، هذا ما لا يكون ، فما بال من ظهر في حال بناها الجهل في هذه الأمة وعمومه

---

(١) في السيرة: وبالسير. ولعل الصواب ما أثبت.

عليهم ، حتى أن عالمهم لمفتون في علمه ، وجاهلهم مكتفٍ بجهله ، وإلى الله المشتكى في ذلك.

فكيف أصحلك الله تظهر بسنة أو تمحوا بدعة من الأعوان له عليها ، ولا مؤازر له في إقامتها إذا كنت أنت ، وأنت الذي نصبت نفسك لا على منزلة صد لمن نصب نفسه لذلك ، فمن الذي يرجى للقيام كما ذكرت؟! وعسى ولعله أن يختار الله لدينه فيؤيد من اختار للقيام.

وأما ما ذكرت من نحو هنالك بهدم المنزل ، فهل أنال بمخوِّف لك بذلك؟! إن ذلك من وغد لا يعبأ بكلامه ، فواجب عليك أن لا تذكر ، ذلك قول من لا يلزمه القول ، ولا يقدر على فعل ما يقول ، وإن كان ذلك القول مضافا إليَّ فذاك مني بعيد ، وإنما يقرب مني ويكون فعلي صيانة المنزل فقر فيه ، وقد فعلت ذلك في جميع الأوقات التي توليت فيها البلد واستوليت عليه ، ولا أقول ذلك منّة ولا استحباب مكافأة ، بل أقول ذلك تعريفا بنيتي وما تدعوني إليه همتي ، وما يلزمني في ذمتي ومروءتي ، بل أعوذ بالله من فعل يبقى عاره ، ولا يؤمن ناره ، فعد يا سيدي عن هذا القول ولا تجده لك ببال ، فإنه مما لا أفعل أبدا بك ، ولا يخبر به عني أحد.

وأما ما ذكرت من فعل ابن أبي الفتوح وأني أمرت به من قلعه من منزله ، فيكذب من عرفك من ذلك بالمحال ، ليس الأمر وحق الله وحق ملائكته ورسله كما بُلّغت ، ولا كما ذُكر لك ، وبالله ما زلت فيه غضبانا إلى هذه

الغاية أردد [١] الكتب والرسل ، ولمن أجر رسلي كان الحسيني بن مسلم ، جرى بخلاف الزيدي ، وهو عنده يسير في شأن ابن أبي الفتوح ، وقلت إني لم أقم معه حين أمدني بشيء من حطام الدنيا ، ولعنة الله على من أعطاه ابن أبي الفتوح بعد الذي جرى عليه درهما ولا أكثر منه ولا غرضا ، وإني لأبعد بنفسي عن هذه المنزلة الدنية التي [٢] لا يفعلها بر ولا فاجر ، بل بحمد الله قد أنفقنا فيما لزمنا من ذمته مالا ، حسبما ها هو إلى هذه الغاية التي كيلت فيها تبرًّا ، ما انقطعت نفقتنا في ذلك ، وإني كالذي وصف به سيدنا الهادي إلى الحق رضي الله عنه نفسه ، إذ يقول:

أبى الله لي هذي الفعال وإني أمرؤٌ ما تَعتَريني المطامع

فهذا ما أمضى الجواب والمعذرة ، وقد أجبت عنه واعتذرت عما ألقي إليك مما لا علم لك به ، وأما سائر الكتاب ففيه من المعائب والقول الواسع ، ما لو رمنا الجواب عنه لخشينا أن يزيد ما ينشأ بعداً ، فقد ضربنا عن حكايته وجوابه.

واعلم يا ابن عمي وسيدي أن الله عند لسان كل قائل ، ولو رمت أن أكافئ قولك وأذكر معايبك مما يذكره الناس فيك مما يصدقون فيه أو يكذبون

---

(١) في السيرة: أردوا. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: الذي. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) سيرة الهادي إلى الحق /٣٠٣.

لم أعدم ذلك ، ولكن أبى الله أن أقول ما لم أحط [1] به علما ، وما ستُسأل عنه جوارحي عند أمور تمنع اللسان من القول ، ويحال بينه وبين المنطق فلا يستطيع قولا ، ولقد أرى عنك من نشر القبيح فيك إذا لم يدع عليّ ، وأقول كما قال الشاعر:

ومن يتبع جاهداً كل عثرة يجدها ولا يسلم له الدهر

وأنت يا ابن عمي فقد شطّ لسانك في حكايات ما بَلَغَتْك إلا من خصوم ، فلمتني فيها وعذلتني بها ، بغير ما بيّنة صحت لك ولا دليل دلّك ، فاستغفر الله من ذلك تسلم من الآثام فيما بينك وبينه ، فأما ما بيني وبينك فأنت منه بحل فيما لم تصب مقصدك ، ولا تغفرني في شيء مما نسبت إليّ ، فإني إلى رحمة الله بيقين مضطر ، بل أعوذ بالله وبه ألوذ أن أكون كسبي مما ذكرت يا ابن عمي ، أليس وحذرك وبني عمك فتنة ، فهل ظاهرتهم عليك ، أو صرت في خير من دهر دونك أوليتهم عليك ، أو جعلت لهم أبرُهُ عليك ، وقد فعلت ذلك منهم ، ألا وإن فعلت يوماً كفعلك هذا فلا يتبعني لائمة ، فلم يعد الآن بيننا معاملة ولا حال يتعلق به بعضنا على بعض ، الذي كان بيننا قد أعذرت عنه ، لما فعلت هذه المعورة لزمني فعلهم أو لم يلزمني ، وقد تصرم ما كنا نتعامل عليه ، وصارت الجملة بأيديكم ، فهل تصرم من المقول ما يفيد تأييدك القبيح ، ويوجب بيننا القطيعة ، فلولا أن ينسب إليّ استخفافاً بكتابك وردّ

(١) في السيرة: أحضى. ولعل الصواب ما أثبت.

جوابك ، لبدأت بقطع ذلك ، فقد بلغ كل في كتابه ... [١] أكمل النجدة ، أو قد أوجب الذمامة ، والله وكفى نسأل المغفرة مما يوجب عقوبته ، وبه نستعين ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، وقرأت عليك السلام كثيرا طيبا ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

---

(١) بياض في المخطوط.

[كتابه إلى همدان]

كذلك كتب إلى وادعة ، وكتب كتبا عدة إلى أهل البون وسائر السلاطين والعرب ، فلما وصل الإمام عليه السلام ذلك وقف عليه دعا بورق ودواة وكتب كتابا إلى كافة همدان ، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكبير المتعال ، المنعم ذي النوال ، والطول والجلال ، أحمده لجسيم مواهبه ، ونجل [1] عليه الثناء لما هو أولى به ، ونسأله أن يصلي على محمد نبيه الأمين ، وعلى من طاب من ذريته أجمعين.

أما بعد يا كافة همدان ، وسراة ولد قحطان ، فإنا نشكو أنفسكم ، إذ دعانا على ذلك العتب عليكم ، وذلك إذ بلغنا أن الزيدي كاتبكم بزور من القول ، فجعلتم ذلك حقا وكدتم أن تخرجوا مما [2] دخلتم فيه ، بل قد خرجتم بغير ما دليل حقق لكم قوله ، ولا شاهد بيّن لكم فعلنا أو فعله ، خلا أن موّه عليكم فقبلتم تمويهه ، إذا تأكلا [3] منكم ترحيب بهوى ، أما جنودكم وطلاب البواد منكم فألهمهم أنا عطلناهم [4] وأضعناهم وقطعنا

(١) في السيرة: ويجل. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: كما. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) كذا.

(٤) في السيرة: أن أعطلناهم. ولعل الصواب ما أثبت.

منافعهم ، وأنا اعتمدنا على الخفض والرقاد ، وأنه طاب لنا وأضعنا العباد وتركنا الجهاد ، وعد كلاً منهم برزقه ، وأطمعهم [١] بما ليس في يده ، لا يوجد في ملكه ، رغبة في فسادهم ، وحرصا على عنادهم ، ومحبة للتفريق بيني وبينهم ، كذلك كانت مغزى همدان ، ودخل عليهم من باب لم يكن له دخل عليهم إلا منه ، فأصغوا لقوله إن كان الكل منهم غيرهم لفعله وظنوا أن قد صدق ، و لم يعرفوا كيد ما نطق ، إذ كان مما خاطبهم به: أننا خالفنا أمر الله وحكمه في موالاة الظالمين والفاسقين ، وإنما يوالي الفاسق من كان فاسقا ، ولسنا بحمد الله كذلك ، يعرفنا بالصحة في أداتنا كل من عاشرنا ، مع احتجاجه بآي من الكتاب لما يجوز على الجاهلين ، وإيهامه أنه القائم بالحق والمجاهد دون من كان بالأمس يدعو إليه ، حتى لقد بلغنا وصح أن كلاً منكم بل كافة همدان قد أطلق فينا القول وسمَّج فعلنا ، وحسَّن قول هذا المتعدّي علينا الناكث لعهدنا ، والقائل بغير الحق فينا ، الكافر لما ناله من جميلنا.

ولسنا الآن ولا إياه بمعدومين ولا أموات فيختلف القالة فينا ، ولا سوا ما فضل إليه به الفاضل منا فنسيه ، فيكون شبهة توجب الافتراق بيننا ، إنكم يا كافة همدان اختلفتم إلي أربعة وعشرين سنة [٢] بيننا بين علماؤكم ومستفيدين المعرفة جهالكم ، والزيدي وغيره بمن نعرفه عنده بمعزل من هذا الأمر ، لا يعرف فنونا ولا يعلم ، فلسنا وأكثر آل الرسول إذ ذلك سبيلهم سبيله ، فما

---

(١) في السيرة: وأطعمهم. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: التي أربعة وعيرين لشبه. ولعل الصواب ما أثبت.

الذي بدا لكم منه أوجب اتباعه ورفض العلم فأثبتوا ذلك ، وتبين من قبلكم قوله فينا كي تعرفه البرية ، كما تفضل الله نعمته علينا عوضا وإن تمّ لكن ذلك معكم ولا معه ، فما هذا الجهل وهذا العمل الذي لا تميزون معه بين الحق والباطل ، ولا العالم ولا الجاهل؟!

معاشر همدان باديها وحاضرها إن الله بيني وبينكم حَكَمٌ وشاهد علينا جميعا ، أبهذا أمركم الله فينا فأطعتم أمره؟! أم بسنة الرسول فاتبعتم سنته ، أما الله فقال وقوله الحق: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾ [المجادلة:١١] ، وقال: ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٩] ، ألا إنه في آي من كتاب الله ها هو باق في أيديكم ، وموجود في كتاب ربكم ، وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لليهود: « من استخلف موسى من بعده؟ فقالوا: يوشع بن نون. فقال النبي: لِمَ استخلفه دون بني إسرائيل؟ قالوا: لا ندري. قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: لأنه كان أعلم بني إسرائيل » ، كذلك فعل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم استخلف علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إذ كان أعلم قومه ، وقد شككتم وأمن جهلنا وقبلتم فعل من لا نقاس به ولا يقاس بنا ، بسبيلهم أولى بالصواب والصدق أم الجاهل؟!

فإن قلتم: العالم فلا تفعلوا ذلك فينا ، وإن قلتم: الجاهل ، فقد فعلتم ذلك ، وتلك التي ينكرها عليكم جهال البرية فضلا عن علمائها ، ولا بد أن نعرفكم بخطأ فعلكم وخطأ من أوهمكم فينا ما ليس فينا ، ليجلو بذلك عنكم سكرة الجهل ، ويرد عليكم ما لم تنتفعوا به من العقل ، ما أول ما دخل بهذا

الرجل معي ، فإنه أتى من الحجاز بالإطاعة ومحبة وهجرة ، فقابلت ما ذكر بالقبول ، وجعلت له من القربة والمحل ما لم أجعله لأحد من آل الرسول ، ولم أني أن سلمت إليه تولّي ما ملكت تصريفه من بلادكم ، ولم أجعل لي ولا لغيري معه في ذلك يدا ، وعهدت إليه عهدا آمره فيه بما يجب لله عليّ وعليه ، وأهديه من السَّير على ما نحن بسببه إلي وإليه ، فنبذ ذلك وراء ظهره ولم يعتمد به ، وهذا عهدي موجود فيما كتبت من آدابي وسيرتي [1] ، وأعرفه بمن قد أوجبت له الكفاف من السلاطين فلم يرعو لذلك عن قولي ، ولم أدخل مع سلطاني به كافة إلا لوجهين ، أما أحدهما: فإني اتبعت أمر الله ، والله يقول لنبيه: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾ [الأنفال:٦١] ، وكل سلطان باليمن طلبني السّلم بمن عاملت فلم يسعني عن اتباع أمر الله.

وأما الوجه الثاني: فإني اتبعت أمر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في هذه الأمة ، فإنه قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لهم: « علينا ثلاث ما كان لنا عليهم ثلاث ، لهم علينا أن لا نمنعهم من الفيء ما كانت أيديهم مع أيدينا ، وأن لا نبدأهم بمحاربة حتى يبدأونا ، وأن لا نمنعهم من الصلاة في مسجدنا ما صلوا بصلاتنا » ، وأنا فلم أبدأ [2] أحداً من سلاطين اليمن بفتنة ما يكون منه بعدها منتصرا ، والجميع [3] يعلمون أن النبي صلى

---

(١) في السيرة: كنت من آبائي. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: نبد. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) في السيرة: وجميع. ولعل الصواب ما أثبت.

الله عليه وعلى آله وسلم سالم كثيرا من المشركين ، وكذلك كثيرا من أهل الكتاب ، وأعطاهم ذمته وهم من الكفر على ما ليس عليه أحد ، منهم [من] يقول: إن الله ثالث ثلاثة ، ويزعم أن المسيح ابن مريم ابن الله ، ومنهم من يزعم أن العزير ابن الله ، مع جحدهم لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ولما أتى به من الله ، مع استحلالهم لجميع المحارم ، من شرب الخمور ، وأكل لحم الخنزير ، والاستحلال لكافة المحارم ، وها هم في ذمته صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى هذه الغاية ، ترعاهم أهل ملته في مشارق الأرض ومغاربها ، فهل خَطَّأَ أحد من المسلمين فعلَ النبي في هؤلاء الكفرة المشركين ، وقال إنه والاهم بإحسانه إليهم ، وجعل ذمته لهم مع كفرهم إلى يوم القيامة ، فهذا ما لا يقول به مسلم.

فما بال هذا المحتسب على من هو أولى بالحسبة منه ، ألا يُجَوِّز رسول الله في حكمه ، وعلينا في سيرته ، ويجوز من اتبع سيرتهما في المعاهدين والمليين ، ألم تعلم أن من أنكر سيرة سار بها الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم والأئمة من بعده على سيرتها أن نكيره عليهم لا على التابع لآثارهم ، وهذا الرجل فقد أنكر ما لم يعلم وجاز ذلك على كثير منكم ، إذ قد آنست المعرفة به وبكم.

وأما ما عابنا به من النكرة عليه في بعض عهدنا لابن أبي الفتوح والقيام معه ، فإنا نُعرِّفكم من الحال بما لا تنكرون ، أما ابن أبي الفتوح فأعطيته مني موعداً الكفات عما في يده من مال ورجال ، إلى دُنُوِّي من أرضه وطلبه القيام معي ، فإذا كان ذلك لم يكن له عني تأخر ، فأقبل ورضي يحمل إلي في

كل سنة مالا ، وطلبته النجدة فبذل ماله ورجاله حتى لحقهم ما لحق أهل طاعتي من قتل الرجال وأخذ الأموال ، ولم يكتف هذا الرجل بما فعلت ولم يجاز ما فعل فيَّ ، حتى أخاف هذا المعاقِد المناصِر من طلبة المعاملة ، فعامله استكفافا وحلف كل لصاحبه ، وشهد على ذلك الشهود بينهما ، فلم يمض شهر ومقاربه حتى نكث الشريف عهده ، وعدى على جانب بلد هذا الرجل المخالف للجميع منا ، ولم يجعل الله لأحد في الكفر ولا في الإسلام أن يعتدي حتى يبدي المعاهد النكث والبغي ، والله يقول لنبيه: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأنفال:٥٨].

نقول: ابتدأ إليهم عهدهم فعدى على هذا الرجل الزيدي في أوسط عهدي وعهده من قبل أن ينبذ إليه ما عهد له ، فلما أنكرت ذلك زاد فتابع المكروه حتى قلع بلدانه ومحاله وأمواله ، وجعل ذلك مُباحا لمن استحله من طماع البُدوان [١] ، والضُّلال الذين لا يؤمنون بالرحمن ، ولا يدينون بدين الإيمان ، فلما كان ذلك منه نفر هؤلاء القوم الذين استخانوا [٢] في عهدنا ، طالبين لموعدنا ، فدفعناهم عنا ، واعتذرناهم بما عقدوا معه من بعد عقدهم معنا ، فلم يعذروا في ذلك ، فلما ألحّ بهم المكروه ورمونا بأنفسهم واستجاروا

---

(١) البدوان: جمع بدوي.

(٢) في السيرة: استحبوا. ولعل الصواب ما أثبت.

بنا ، فلم نجد من أن أجرناهم [١] بدا ، واتبعنا أمر الله ، إذ يقول عز وجل من قائل: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ [التوبة:٦] ، فذلك فعلنا لواجب عهدنا ، ويكون الجوار لنا والمترل علينا ، فمن ينبذ رأينا في ذلك فقد أساء بنا ، وأعظم الفرية علينا ، إلا أن يقول أهل العلم: إن العهود مطّرحة ، والجوار مقوض ، فليبينوا ذلك ولن يبينوه!!

وكيف والله يقول وقوله الحق: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء:٣٤] ، ويقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المؤمنون:٨ ، المعارج:٣٢] ، فأردتم وأراد هذا الرجل الذي موّه عليكم أن نقض أوامر الله ، ولا سلك سبيل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، أجل لو فعلت ذلك لكنت سبيله ، وأساء [٢] الحال بي وبه ، وأيم [٣] الله ما قمت فيكم حتى أحطت بعلم الكتاب محكمه ومتشابهه ، وناسخه ومنسوخه ، وأمره اللازم وأمره الذي يستحب ولا يلزم ، وفرائضه اللازمة ، وما أوجب المخرج منها في حال الضرورات ، وتفصيل مجيد أمره ، وما قص فيه من القصص على نبيه ، كذلك ما سنّ الرسول صلى الله عليه وعلى آله

(١) في السيرة: إذا جرباهم. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: وأسال. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) في السيرة: وأتم. والصواب ما أثبت.

وسلم من سنته ، ودل من شريعته ، فكلٌ أنا به عالم ، وبالقيام به مطلع ، ولا مخرج لكم ممن هو كذلك إلا من بعد أن تبتلوه ، فلا تلقوه كما ذكر ، ولن يكون من بعد ذلك إلا من دون علي عليه السلام ، وقد رفضه أهل القبلة واتبعوا معاوية ، وأنتم كأولئك تكونون ، وإلى مَن جهل الحق تسرعون ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [الشعراء:٢٢٧] ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

[كتابه إلى قبيلة وادعة وبكيل]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وإليه نشتكي وإلى أوليائه ما قد نزل بنا ، وما قد دُفعنا إليه مِن خَذلِ أهل دهرنا ، وإجماعهم معا علينا مع سفهاء قومنا ، ومن مكاره البغي علينا ، اللهم ﴿ ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ [الأعراف:٨٩].

معاشر همدان الحاضر منها والبادي ، إننا لم نخرج من أوطاننا ، ونبعد من قومنا ، إلا بأسبابكم ، ولم تَبِنْ لنا المكاره إذ صرنا بين ظهرانيكم إلا بأيديكم ، فبماذا تعتذرون فينا إلى خالقكم إذا سألكم عنا غدا ولم تجدوا من جوابه بُدا؟! أبينوا بذلك ما دامت أبدانكم سالمة ، وألسنتكم متكلمة ، أألله أمركم بهذا أم على الله تفترون؟! إنه ليس من أمة هلكت إلابتكذيب من دعاها ، وخذلان من هداها ، فاتقوا الله وراقبوه ، وتوبوا إلى الله واستغفروه.

وبعد: يا رجال بكيل ووادعة ، ومن فيه بعدُ البقية والمنعة ، فإنه قد كان من خذلان عشائركم لنا ما قد بلغكم ، إذ قمنا في ذمتنا وقد أثموا فيما [١] قد عملوا ، بأن عاملوا على ولدي هذا القاطع الفاجر الزيدي ، لا زاد الله في عمره ، حتى قبضه وأخاه وابن عمه أخا له [٢] طفلا صغيرا ، كان زائرا لهم ،

---

(١) في السيرة: أثموا ما. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: أخالا. ولعل الصواب ما أثبت.

فأسرهم [١] أسراً عنها وصيرهم في أمر [٢] أعدائهم بني شهاب ، ليحبسوا في قلاعهم ، وإن كان لا عدوّ أعدى منه ، ولقد فعل فينا كفعل بني أمية وبني العباس في سلفنا ، وساعده على ذلك كمن ساعدهم من أهل زمانهم ، فإلى الله وإليكم نشكو عشائركم ، إذ قد نالنا بأيديهم المكروه على حين لا ناصر لنا منكم ولا مقدرة لنا على المسير من أرضكم ، ولا جدة لنا نتكفف به عن الحاجة عنكم.

وبعد: فإنه لا مرتد لنا بعد الله إلا إليكم ، ولا مستقر لنا إلا فيكم ، فليفسح كل أهل بيت منكم لمترل من منازله لذريةٍ من ذرية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تحت أيدينا يترل عليهم ، فقد وقعت الحاجة إلى ذلك ، وأوجبته المحنة والنفاعة ، ولن يمتحن الله إلا الصالحين ، ونقول عندها مِن محنٍ [٣]: إنا لله وإنا إليه راجعون ، رضى قضى ، وتسليما لما أمضى ، ونحن نعيذ [٤] ما يكون لقايتكم لذرية نبيكم تسير في قبائل العرب وتطلب [٥] النصرة منهم ، فكفى بالله ناصرا على القوم الظالمين ، والمنازل التي نترلها

(١) في السيرة: لهم له فأسرهم. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في السيرة: أمير. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) في السيرة: نحن. ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) كذا.

(٥) في السيرة: ونطلب. ولعل الصواب ما أثبت.

عليكم ، فمنها مترل في آل دعام بن إبراهيم ذلك لولد عليان ، ومترل قد [(1)] هو في بني سلمان ، ومترل في بلد ضاف وهما لكافة سفيان ، ومترل في بني معمر ، ومترل في الهرائم ، وبني عذر ، وهما كافيان في بلد بني سعد ، ومترل في بلد بني ربيعة ، ومترل في بني صريم وهما لولد حرب جميعا ، فليكن في الجميع تصديق لظننا ، ومترل لرجائنا فيهم ، فليغنم الإحسان إلى ذرية نبيهم الرسول ، قال الله: ﴿ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [هود:١١٥].

وليعلم الجميع أن لمن برّنا أو آوانا وأطاع الله فينا زيادة في أعمارهم وأرزاقهم ، وعمارة لديارهم ، والله يقول وقوله الحق: ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس:٩٨] ، وأنتم فيفعل الله بكم كذلك ، فيكشف عنكم عذابه ، ويمتعكم بما استخلفكم فيه حينا طويلا ، فأجيروا من عذاب الله بما قد عرضنا لكم من ثوابه ، وبما يوجب لكم حسنى القالة في الدنيا والآخرة ، وقرأت عليك السلام كثيرا طيبا ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

---

(١) كذا.

كتاب ذم الأهواء والوهوم

قال الإمام القاسم بن علي العياني عليه السلام في كتاب ذم الأهواء والوهوم ، بعد ذكر ما وقع من الافتراق بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وما وقع مع الحسن السبط عليه السلام ، ما لفظه: فروي عنه - أي عن الحسن السبط عليه السلام - أنه لما أكثر عليه القول ، قام خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وعلى آله ، ثم قال: يا أيها الناس ، إنا أهل بيت أكرمنا الله بالرسالة ، واختصنا بالنبوة ، وجعلنا حججا على خلقه ، وأوتادا في أرضه ، وأنزل علينا كتابا ، وضرب لنا أمثالا ، وإن معاوية زعم أني لم أر نفسي للخلافة أهلا ورأيته أهلها ، فخرجت إليه منها ، وكذب عدو الله معاوية ، أنا أولى الناس بالناس في كتاب الله جل ذكره ، وفي سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد أخبركم الله جل ثناؤه بمقالة موسى إذ مضى لميقات ربه لأخيه هارون: ﴿ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٢] ، وأن بني إسرائيل إذ فقدوا موسى أشار لهم السامري إلى عجل جسد له خوار ، فقال: ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ ﴾ [طه:٨٨] ، فظلوا عليه عكوفا ، ولخواره سجودا ، فقال هارون: ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ۝ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴾ [طه:٩٠-٩١] ، وهددوه بالقتل ، فأمسك عنهم ، ووسعته بذلك التقية ، وإن رسول الله صلى الله عليه لما

تظاهرت عليه قريش وأرادوا قتله ، أجمعوا أن يخرج من كل قبيل رجل فيخطفوه بأسيافهم ، ليبطل دمه ويرضى بنو عبد المطلب بالدية ، فأذن الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وآله بالهجرة ، فاكتنَّ في غار ، مخفيا لشخصه ، كاتما لأمره ، مُكنًّا لدعوته ، فوسعته بذلك التقية ، حتى بانت دار هجرته ، فأيده الله عز وجل بأقوام من المسلمين أظهر بهم الحق ، فجاهد بهم داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، صلى الله عليه وسلم ورحم وكرم ، وجزاه خير جزاء المرسلين.

وإن رسول الله عليه السلام أمر بطاعة أبي[1] رحمه الله أصحابه في مقاوم كثيرة ، بمقالات شتى ، منها:

« أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ».

وقوله: « لتنتهن بابني وليعة أو لأبعثن عليكم رجلا كنفسي يغشاكم بالسيف ».

وقوله: « خذوا بحجزة هذا الصديق الأنزع ، فإنه لن يدخلكم في باب ضلالة ، ولن يخرجكم من باب هدى ».

وقوله عليه السلام من منصرفه من حجة الوداع بغدير خم من الجحفة ، وقد أمر فنودي في الناس بالصلاة جامعة ، فخرج وأخرج عليا معه فقام به تحت سمرات قد قُمَّ شوكُهن ، ثم قال: « أيها الناس من مولاكم؟ قالوا: الله

(١) يقصد: عليا عليه السلام.

ورسوله. ثم عاد فأعادوا ، حتى أشهد عليهم ثلاث مرات ، ثم قال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعادي من عاداه ».

مع مقالات كثيرة تدل على فضله ، وتوجب طاعته ، قد علمها الخواص ، وانتشرت في العوام ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه شُغِلَ أبي بما كان ينبغي له أن يُشغل به من جهازه ، وخالفت الأنصار إلى سعد بن عبادة ، فجعلوا يرتجزون حوله ارتجاز الجاهلية ، يريدون أن يقيموه مقام رسول الله صلى الله عليه ، فبلغ ذلك المهاجرين فجلسوا في سقيفة بني ساعدة ، فجعلوا يتحدثون عن حقهم ، ويتنازعون أمرهم ، حتى أجمع رأيهم أن الخلافة في قريش ، والإمارة في الأنصار ، فمد عمر يده إلى أبي بكر فبايعه ، فأجفلوا عليه إجفال النَّعم ، ثم أمُّوا مسجد رسول الله صلى الله عليه فجعلوا يدعون الناس إلى بيعتهم ، ويُكرهون من أبى عليهم ، حتى استتب لهم أكثر أمرهم ، وبُعث إلى علي عليه السلام ليدخل فيما دخل فيه الناس ، فلم يخرج إليهم ، فلما رأوا ذلك عمدوا إلى حِزَم الحطب فجمعوها حول بيته وحلفوا بالله ليحرقن البيت إن لم يخرج إليهم ، وأيم الله حتى اشتعلت النار بالحطب ، وسطع الدخان ، فخرج إليهم فناشدهم الله في حقه ، وخوَّفهم عواقب ظلمه ، وأخبرهم بما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه ، فلم يقبلوا ذلك منه وهددوه بالقتل ، فأمسك فوسعته التقية ، فدخل في التقية التي دخل فيها رسول الله صلى الله عليه ، فلما فعل عثمان ما علمتم ، فعل به ما ما رأيتم ، ثم مالوا إلى أبي رضوان الله عليه ، فقالوا: قد كنت تدعونا إلى كتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله عليه ، ونحن ندعوك أن تقوم بأمرنا فهلّمَّ فبايعنا ، فقَبِلَ

بيعتهم ، وأشهد الله عليهم ، ونهض حاسرا عن ذراعيه ، مشمرا عن ساقيه ، يقي أصحابه بنفسه ، إذ كان غيره يتقي بأصحابه حد الأسنة وبادرة السيوف ، حتى أتيح له فاسق بضربة ، فبدَّله الله بها رضوانه ، وكريم مآبه ، فقمت مقامه محتذيا مثاله ، سالكا سبيله ، وقدمت الله أمامي ، وخرجت في جمهور من الناس ، فلما صرت في مظلم ساباط عدى علي بعض المخلين ، فطعنني بحديدة طعنة كادت تأتي على نفسي ، فحُملت إلى أبيض المدائن جريحا نزيفا ، أريد إن استعللت من جراحتي أنهض لقتال عدوي ، فبينا أنا كذلك إذ صرخ صارخ في عسكري: ألا إن قيس بن سعد بن عبادة قد قُتل ، فوثب الناس بي ، فنقضوا أبنيتي ، وانتهبوا أمتعتي ، وأخذوا خاتمي من يدي ، وسلبوا خلخال حرمتي ، فجعلت أناشدهم الله في حرمتي ، ونظرت فإذا أنا قليل الناصر ، كثير الواتر ، لم يبق معي إلا طائفة من أهل بيتي لو أقدمتُ بها لأَقْدَمتْ ، ولو أَقْدَمتْ لقُتِلَتْ ، ولو قُتِلتْ لباد الدين ، فدخلت في التقية التي دخل فيها هارون ومحمد وأبي صلوات الله عليهم ، « وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين » ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، ثم قال الحسن عليه السلام: « إن من البلاء على هذه الأمة أنا إذا دعوناهم لم يجيبونا ، وإذا تركناهم لم يهتدوا إلا بنا ». انتهى.

[آخر كتاب له إلى الناس بعد خذلانهم له]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله لجزيل نعمه علينا ، وترادف آلائه لدينا ، أحمده حمد مقر بألوهيته ، معترف بربوبيته ، شاهدا له بالوحدانية ، والقدم والأزلية ، وأنه العدل في جميع أفعاله ، والصادق في كل مقاله [١] ، والبريء من أفعال العباد ، والمتعالي عن القضاء بالفساد ، والموصوف بأكرم الصفات ، والمستَدَل عليه بأبهر الدلالات ، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادةً لا تعارضها الشكوك ، ولا يحملها الاعتقاد المأفوك ، وأشهد أن محمداً عبده الأمين ، ورسوله على الخلق أجمعين ، وأنه قد أدّى الرسالة ، وأبلغ في الحجة ، وأوضح على الله الدلالة ، وأن أولى الناس بعده أخوه الذي اختراه أخا في حياته ، واستخلفه بعد وفاته ، علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، والقائم بأمر رب العالمين ، وأن ولديه السبطين ، الحسن والحسين ، ابني رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وذريته ، وموضع خيرة الله وعترته ، وأن الإمامة في ذريتهما المنتخبين ، وعقبهما الصادقين ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وبعد: يا كافة المسلمين ، ومن هو من أهل النحلة والدين ، فإنا نشكو إلى الله وإليكم أنفسكم ، وطول غفلتكم ، وما قد أضعتم من فرض عظيم

---

(١) في السيرة: مقالته. ولعل الصواب ما أثبت.

عند الله قدره ، وجليل أمره ، وثقيل عليكم وزره ، فاتقوا الله وأفيقوا من غفلتكم ، وانتبهوا من نومتكم ، قبل أن تحل بكم الندامة ، وتبعد منكم السلامة ، واذكروا ما دعاكم الله إليه في محكم كتابه ، حيث يقول جل وعلا: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ [المائدة:٢] ، ويقول عز وجل: ﴿ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ ﴾ [الأنفال:١] ، ويقول: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾ [النساء:٥٩] ، ويقول تبارك وتعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦ ...﴾ [التوبة:١١١] الآية.

فندبكم الله للنجاة والكرامة ، ودلكم على الخير والسلامة ، فنكثتم مختارين ، وملتم إلى هوى أنفسكم مسارعين ، فأصبحتم لخالقكم مسخطين ، ومرضين لأعدائه الجبارين ، فهل منكم منتبه (١) من غفلته ، أو متيقظ من نومته ، أو مستقيل من زلته ، أو نادم من خطيئته ، قبل أن يهجم عليه ما وعد الله به ، قال الله عز وجل: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا

---

(١) في السيرة: منته. والصواب ما أثبت.

وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الأعراف:٩٧ - ٩٨].

تعلمون - أرشدنا الله وإياكم ، ونجانا من مضلات الفتن ونجاكم - أنكم دخلتم معنا في بدء أمرنا فحمدنا مدخلكم ، وأرضى الله عز وجل فعلكم ، وأرغم جميع الشياطين طاعتكم ، ثم فسختم أنفسكم عنا ، أفمللتم طاعة رب العالمين؟! أذممتم ما دخلتم فيه من الهدى المبين؟! فأصبحتم ببيعتكم ناكثين! وعن المنهج المستقيم ناكصين! وليس ذلك بضار لنا ، ولا ناقض عند الله لدعوتنا ، قال الله عز وجل: ﴿ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾ [المائدة:٩٢] ، ولولا ما أوجب الله علينا من التذكرة لما ذكّرناكم ، وما وعد في الموعظة من الثواب لما أوعظناكم ، فَرَجونا عن ذلك رجعتكم ، وتذكرة من هو من المؤمنين بينكم.

واغتنموا قبولنا لكم ما كنا موجودين ، وما كنتم لذلك مستطيعين ، فإن فعلكم قد وهَّن الإسلام ، وأعز دعوة الطغام ، وأكبَّكم موبق الآثام ، فانظرا ماذا تفعلون ، وبماذا عند الله تعتذرون ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [الشعراء:٢٢٧] ، والحمد لله كثيرا والحمد لله رب العالمين ، والسلام على عباد الله وأوليائه الصالحين ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين وآله الطيبين.

وصية الإمام المنصور بالله القاسم بن علي بن عبد الله العياني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على كل حال ، وصلواته على رسوله سيدنا محمد وآله خير آل ، وسلامه وبركاته ، شهادة من الله يشهد بها القاسم بن علي بن عبد الله ، يشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة مَن آمن به ، وصدَّق بآياته ، واستدل عليه برسالاته ، ويشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه أجمعين ، فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وسلم ورحم وكرم ، ثم إني أوصي من بَلَغته رسالتي هذه من ذريتي بتقوى الله سبحانه ، فإنها نعم الزاد ، والله يقول عز من قائل: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة:١٩٧]. ثم إن مما أوصيكم به أن تحملوا في القول لمن آتاكم منه المكروه ، وتبذلوا له المجهود من الصبر ، فإن الله سبحانه يقول: ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ... ﴾ [القصص:٥٤] الآية.

ثم اعلموا يا بني إن الحاجة تستضركم ، وتجحفكم[1] لضعفكم ، وقلة حيلتكم ، إلى أن تطلبوا الرزق ، وتُجهدوا فيه أنفسكم ، فإذا كان ذلك كذلك ، فاحذروا المسألة للقريب والبعيد ، والشريف والوضيع ، فإن المسألة تدعو الفقر ، وتصغِّر القَدْر ، وتوجب الشر ، وتحبط الأجر ، وإن قصدكم

---

(١) الكلمة مهملة، ولعلها: وتجحفكم. والجحف: أخذ الشيء واجترافه، وشدة الجرب.

أحد ممن ذكرتُ يصل إليكم في مواضعكم من قليل أو كثير فاقبلوه ، فإني سمعت في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « من أتته هدية لم يطلبها فردها على مهديها فإنما يردها على الله تعالى ». وعنـــ[ه] صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « لو أهدي إلي كراع لقبلته ». وليس سؤال شيعتنا وأهل موافقتنا في الدين بمسألة ، ولا يجوز ذلك لغير ضرورة تعدم فيها الميتة ، لأن الله سبحانه مدح مَن عفَّ عن المسألة ، فقال عز من قائل: ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [البقرة:٢٧٣].

واعلموا يا بني أن أمور الدنيا لا تسهل إلا على مَن أطاع الله واعتمد عليه ، ولا تعسر إلا على من نسي الله وأعرض عنه ، والله يقول عز من قائل: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ...﴾ [طه:١٢٤] الآية. فإذا اعتمدتم على الله سبحانه سهلت عليكم معايشكم.

وإياكم أن يقول منكم قائل: أنا ابن فلان ، ولي باسمه مكتسب ، فيخونكم الظن ، فقد رام ذلك قوم فلم يتم لهم ، وعلقوه أنفسهم فشغلهم ، ونظروا من بعد عين الرغبة بعين زهد ، فعادوا كأن لم يُناطوا بمن توسلوا به.

واعلموا يا بني أن العباد مُختَبَرٌ بعضهم ببعض ، فمن صبر على المكاره ، فاز بالظفر ، ونال الحظ الأوفر ، فعليكم بالصبر للقريب والبعيد ، والعدو والصديق ، فإن لكم في ذلك من الحظ أكثر مما يكون ممن تصبرون عنه ، والله

يقول وقوله الحق: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى:٤٣].

وإياكم والقطيعة ، فإنها مخربة للديار ، قاصرة للأعمار ، فلا تَذَرُوا صلة الرحم بينكم ، فإن الله جعل لها حقا فوصلها بحقه ، فقال عز من قائل: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ [النساء:١].

وإياكم أن يبعد بعضكم من بعض ، فإن الذل والقلة في الفرقة وتباعد الديار ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « بعد الديار كبُعد النسب ، وليس ينال الاجتوار إلا مَن صبر لصاحبه ».

وإياكم ثم إياكم والحسد لمن نال منكم دينا أو دنيا ، فإن الحسد أعظم المعاصي وأكبرها ، وعليكم بحفظ الجيران والأضياف والمعترين ، ابذلوا لهم خيركم ، فإن لم يكن بأيديكم ما تبذلون فابذلوا القول الكريم ، فربَّ قول أحسن من نائل لم يجلب محمدة ، وقد أوصى الله سبحانه.

وإياكم والخيلاء والفخر ، فـ ﴿ إِنَّ -الله سبحانه- ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء:٣٦] ، وعليكم بالتواضع جهدكم ، فإن التواضع ينفي الكبر ، ويعلي القدر ، وعليكم يا بني بقراءة كتاب الله تعالى ، والعمل بطاعته ، واتباع ما فيه من أمره ونهيه ، والتأدب بما جعلتُ لكم من الأدب ، والتفقه فيما ورَّثتكم من الفقه ، فإن ذلك خير ما ورَّث أبٌ بنيه.

وإياكم والزهد فيه ، واحذر أن يصدكم عنه بعض من يعاديه ، فإن من زهد في علم أبيه زهد العالَمُ فيه ، ويكفى أمرا أن تقل فيه رغبة البرية ، آثروا

كل ما به نباتكم مما يدنيكم إليه ، واقبلوا نصيحتي عليه ، فإذا اعتمدتم على ذلك وجعلتموه أكبر همكم ، فعليكم من بعد ذلك بطلب الرزق ، خلا ما يكون كيلة أو وزنة ، فإن عجزتم عن التجارة والزراعة ، فعليكم بالغرش[(١)] من حرة الأرض وحشاشتها ، والاقتصاد في رزقكم ، والرفق في أموركم ، من غير أن تضعوا بأحسابكم ، فليس بحكيم مَن ضيَّع دينا بحصول دنيا ، ولربما ضُيِّع الدين و لم تُنَل الدنيا.

وإياكم وسكنى القرى ، ولو أدركتم رغبة الدنيا فإنها مفسدة الدين ، والحريم والذرية والألسن والأخلاق والمكارم ، وكذلك فاحذروا مساكنة لصوص العرب ، ومتابعة المواشي ، وسكنى بيوت الشَّعَر ، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: « من بدا جفا ». وقال الله عز من قائل: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة:٩٧].

وفي البدا آفات مذمومة ، إحداها:

أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « نهى عن التعرب بعد الهجرة » ، وأنه كان « ينهى أصحابه أن يزوجوا البادي المهاجرة » ، و « ينهى المهاجرين أن يتزوجوا البدويات من النساء إلا أن يدخلوا بهن إلى دار الهجرة » ، ومع ذلك رثا[(٢)] البادي وكثرة تعبه ، وشظف معيشته ، وجفا الماشية ، إلا في أقل الوقت ، وكثرة الشغل بها ، حتى لقد رأيت ذلك يمنع أهلها من أداء الفرائض والسنن

---

(١) الكلمة مهملة في المخطوط، ولم يتضح لي معناها.

(٢) الكلمة هنا ممسوحة.

والعلم ، فإن رغب أحد منكم في ذلك متنَزها ، فلن ينال ذلك إلا مَن له محل[١] يستقر به ، فإذا كان ذلك فلا يضيق على أحد منكم إذا بلغ حد السعة ولم يكن متعربا ، وكان تَبَدِّيه تنَزها.

ثم عليكم بالإعتوان ما كنتم في حال الفقر ، فإن ذلك يلحقكم طبقة ذوي المال ، وإن تفردتم ورام كل رجل منكم أن يقوم بنفسه ، عجز عما يلزمه من حق الجار والضيف والسائل ، في حال خلوهم بكم ، وكثر ذمهم لكم ، وليس يطيق هذه الأموال إلا القليل من أهل اليسار ، والعجز مع ذلك يضلع[٢] المنفرد بأمره ، فاحذروا التفرد كل الحذر ، والزموا الاجتوار والإعتوان على كل ما أَلَمَّ ، وإن عجز منكم عن المساعدة عاجز إما لعدم وإما لبخل ، فلا تشاحوه فتكونوا مثله ، ويُدخلكم ذلك في مثل ما كرهتم منه ، ولكن ذروه يكن كالميت منكم ، أو كالحرمة من حُرَمكم ، وكونوا أولى مَن سَتَرَ على مَن كان منكم كذلك ، وقد أرجو من الله جل اسمه ، أن يصونكم عن البخل والدناءة كما صان أباكم ، فوالله ما علمت فيمن تنسبون إليه بخيلا إلى أن كتبت كتابي هذا ، فعليكم بالمسامحة في الأمور لمن شح ، فإنكم تحمدون العاقبة ، والله أسال هدايتكم ، والحال الجميلة فيكم.

ثم عليكم بالمحافظة على الحريم ، والصيانة لهن بالحجاب ، وخفض الأصوات ، فإن صوت الحرمة إذا سُمع كان أضر عليها من خروجها من

---

(١) في المخطوط: ومحل. وما أثبت اجتهاد.

(٢) الضلاعة: القوى، يقال: اضطلع بحمله، أي: قوي عليه ونهض به. لسان العرب.

خيامها ، وكم من حرة خرجت مُدْنِية جلبابها لم يدرك لها معرفة ، ومحجبة في منزلها ، عُرف من ظهور صوتها ما دل على عورة منها لم تكن تستتر إلا بالسُّكات ، وفي مثل ذلك ما ذكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « النساء عي وعورات فاستروا عيهن بالسكوت وعوراتهن بالبيوت ».

وليس لكم يا بني عون على ما عَرَّفتكم مثل أن تبعدوا مجالس مَن يغشاكم من الرجال - قربوا أو بعدوا - من منازل حريمكم ، وائتمروا بينكم بالمعروف كما أمركم الله ، فإن ذلك أنفى للمنكر ، وأعظم للأجر ، وأحسن في الذكر.

وإياكم وإغفال مشاورة أهل الدين ، والاستعانة بهم على ما تجهلون ، فإنكم إن لم تفعلوا ذلك واجتزيتم برأيكم من قبل التجربة ، عَرَّضتم أنفسكم وأموالكم وأعراضكم للخطر ، ودار عليكم من الزمان دورات بينة[1] الرأي ، بعد كون المكاره ، ولذلك قيل « إن التجربة لقاح العقل ».

وإياكم والتكبر على أحد من البرية ، فإن الكبر يورث الصِّغَر ، ويحبط الأجر ، اجعلوا أنفسكم عندكم كأصغر مَن تشاهدون من الناس ، فرب مستَصْغَر في البرية كبير عند الله ، وفي مثل ذلك روي لنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « إن الله سبحانه خبى ثلاثا في ثلاث: خبى وليه في صالح عباده ، فإذا رأيت عبدا فلا تحقره ، فلعله ذلك الولي وأنت لا تعرفه ، وخبى رضاه في أنواع البر ، فإذا أتيت برا فلا تحقره ، فلعل فيه رضى الله

---

(١) الكلمة مهملة في المخطوط.

وأنت لا تعرفه ، وخبى سخطه في أنواع المعاصي ، فإذا أتيت معصية فلا تحقرها ، فلعل فيها سخط الله وأنت لا تعرفه ».

وإياكم وإيئاس الناس من رحمة الله سبحان وتعالى ، أو الترخيص لهم في معاصي الله تعالى ، فإنا رُوينا في ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: « ألا أدلكم على الفقية كل الفقية ، قالوا: بلى يا أمير المؤمنين. قال: من لا يؤيس الناس من رحمة الله سبحانه ، ولا يرخص لهم في معاصي الله تعالى ».

ولم أعلم يا بني حالا يكون فيه عاقبة صالحة إلا ذكرته لكم ، ولا حالا لكم فيه [عاقبة سيئة][1] إلا حذرتكم منه ، فعليكم بالحفظ لكل ما رَغّبْتُكم فيه والإعتوان عليه ، فإن الله يقول ، وقوله الحق: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ... ﴾ [المائدة:٢] ...إلى قوله عليه السلام: فالله الله في الإعتوان على ما يرضى الله الإعتوان عليه ، فإنها وصية الله لصالحي عباده ، ووصية الصالحين لذراريهم ... إلى آخر ما ذكر مما يخصه عليه السلام.

---

(١) فراغ في المخطوط. وما أثبت اجتهاد.

وصية ثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨] ، اللهم فاجعل عبدك وابن عبدك القاسم بن علي من الشاهدين لك بما شهدتَ به لنفسك ، وشهد به ملائكتك وأولو العلم ، ذلك بأنك الله وحدك لا شريك لك ، بتعريفك لنفسك عُرِفْتَ ، وببرهان معجز آياتك صُدِّقتْ ، وبآثار صنعك وبتصريف بريتك عُلِمُ أن لا إله إلا أنت ، حتمٌ ما أردت ، وحقٌ ما قضيت ، وكائن ما وعدت ، قامت حجتك على البرية بكتبك ... [١] وأدحض حجتهم عنك أنبياؤك ، إذ بعثتهم إليهم فجلعتهم منهم ، كما قلت وقولك الحق المبين: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ ﴾ [النساء:١٦٥].

وأشهد أن محمدا عبدك ورسولك وخاتم أنبيائك ، نَسَخْتَ بكتابه كتب المرسلين ، وجعلت ذريته ناسخة لذراري النبيين ، فكتاب الله وذرية رسوله حجتا الله تعالى الباقيتان في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فالسعيد من تمسك بهما ، والشقي من أعرض عنهما ، أو تأول فيهما ، أو مال به الهوى

(١) فراغ في المخطوط.

عنهما ، أو عن أحدهما ، أو جعل للذرية ... [1] بعد أن عرَّفه الله بمن به يقتدي ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ أَفَمَن يَهْدِيَ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيَ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ ﴾ [يونس:٣٥]. وقد جر هذه كل عالم من الأمة إلى نفسه ، والحق لمن شهد له محكم الكتاب ، كتاب ربه ، وإجماع أمة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

وأشهد أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أولى الأمة بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسبقه إليه ، ولإبلائه بين يديه ، ولعلمه بجميع ما نزل عليه ، مع قرابة النسب ، والخلوص من الشرك والكذب ، ولنقائه من الأدناس ، أشار بالخلافة إليه الرسول ، واختصه بنكاح البتول ، سيدة نساء العالمين ، أم السبطين الحسن والحسين ، أبوي ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وابني خير عباد الله ، طابا لطيب مَن وَلَدهَما ، وطاب من ذريتهما من اقتدى هما ، وخاب من أضاع حظه منهما.

وبعد: فإن القاسم بن علي يُشهد الله بأنه قد أوصى بنيه بما أوصى به إبراهيم ويعقوب بنيه: ﴿ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ ﴾ [البقرة:١٣٢] ، فبتقوى الله وعبادته أوصى النبيون أولادهم ، وأنا أوصيكم يا بني بمثل ذلك ، فاحفظوا وصيتي ، ومن صلح منكم للصلاح وعزم عليه ، فليُقبل على قراءة كتاب الله وتأويله ، ومن قرأه فليقرأه بنية صادقة ، ولا يقرأه هذاً ، ولا يمر به صفحا ، فإن ذلك غير نافع ، ولْيرتِّل

(١) فراغ في المخطوط.

القرآن ترتيلا ، ولْيَتَفَكَّر من قرأه فيما جعل الله فيه من الأمر بالخير فليعمل به ، وما جعل الله فيه من النهي عن جميع الفواحش فلينته به ، وليعتبر بما قص الله فيه من أخبار الأمم السالفة ، وليعلم أن سبيله يكون كسبيلهم ، مَن فعل خيرا ذُكر به ، ومَن فَعل شرا ذُكر عنه ، ولكل فعل جزاء ، قال الله سبحانه: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة:٢٨١]. وقد ذكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « قراءة القرءان تجلو القلب كما يجلو الهندوان الحديد ». وفي حديث آخر « أنه لا يخرب محل يكثر فيه تلاوة القرآن » ، وفيه حديث يكثر أن نذكره في هذا الكتاب.

وكذلك يا بني فعليكم بالنظر في كتب سلفكم ، وما أوضح أبوكم في كتبه من ملتمس كتب السلف ، فقد أبان ذلك بأحسن البيان ، إذ قد كثر تأيول المتأولين في آثار سلفنا ، وكادوا أن يخرجوا من الحق ، بل قد خرج أكثرهم في الافتراء عليهم ، فاحذروهم ومتابعة أحد منهم ، أو من هؤلاء العوام في أقوالهم ، واكتفوا بما قد وضعتُه لكم من البيان في كتبي ، ففيها بيان ما قد أتى مجملا في كتاب ربكم ، وكتب سلفكم ، مما به تدينون من توحيد ربكم ، وصلواتكم وزكواتكم وصيامكم وحجكم ومناكحتكم وذبائحكم وفرائضكم في مواريثكم ، وما جعله الله من حكومات الديات والقصاص بينكم ، وما يحل ويحرم من البيوع لكم ، ففيها(١) جميع ذلك ، وما لم يُذكر

---

(١) في المخطوط: ففي. ولعل الصواب ما أثبت، والهاء ضمير عائد على كتبه.

منه ما يُوجب لمن عَلِمَه اسم العلم ، الذي يفضل به الفاضل ، قال الله عز وجل: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ...﴾ [المجادلة:١١] الآية. وقال سبحانه: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٩].

وفي فضل العلم ما يكثر ذكره ، والعلم يا بني فلا يحسن إلا بالدين والورع والأدب ، ومَن علم كان ديانا ، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر:٢٨]. وقد يتعطل ويعود نفعه ضرا إن جعل الإنسان ذلك للرياسة والرياء والسمعة ، أو أن يَستَجرَّ به منفعة من عند غير الله سبحانه ، أو يدخل في معصية ظاهرة أو باطنة ، أو يخالط أحدا من أهل الرِّيَب ، أو يقاربهم في مجلس أو طريق أو محل ، كانوا هنالك أو لم يكونوا ، أو أن يقارب جهال الناس وجفاتهم ، وأولي العقول الفاسدة منهم ، أو أن يقارب النساء ، الحرائر منهن والإماء ، وما يكون لهن من المواطن كالمياه التي يَرِدْنَ ، والطريق التي يسلكن ، في سوق أو ثغر ، أو أن يتحدث معهن ، أو أن يُرى بالقرب منهن ، فكل ذلك مفسدة للقلب ، وضعة لذي الحسب واللب ، وناقصة لذي الدين والأدب ، أو أن يطأ الأسواق أو يجلس فيها ويتصل بأهلها ، ومن احتاج لوطئ السوق لم يطأه إلا جوازا وهو على أجمل الهيئة ، ومن نابته حاجة لما يُباع هنالك أو يشترى ، أمر بذلك غيره و لم يَلِه بنفسه ، أو أن يلبس لباسا يعيبه العلماء ، كالصنائع والمشهَّرات ، أو أن يكون ذا صناعة تدنيه إلى الأسواق ، كالبيوع بالمكيال والموازين ، والبضائع المقربة

من الخساسة ، أو أن يتخذ [حرفة][١] يذهب أنف الأنيف ، وتضع مقدار الشريف ، وتُخلِق حسب ذي الحسب الحصيف ، ومن عُرف بها لم ينسب إلى معرفة ، وكثر شانوه[٢] وبدأ ضغن [حاسديه][٣] ، كما ذكر الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴾ [محمد:٣٧] ، وهذه الأشياء كلها وما جانسها مما لم نذكر تُذهب الأفعال الصالحة ، وتضع مقدار ذي المعرفة ، حتى لا ينسب إليه حكمة.

ومما يوصيكم به أبوكم صيانة حريمكم بالحجاب ، فقد بلغنا عن سلفنا أنهم كانوا يحجبون النساء حتى من ذي محارمهن من القرابة ، ومما ملكت إيمانهن من عبيدهن ، ولقد بلغنا أنهم كانوا يحجبون الإماء ، فلا يخدمن إلا في منازل أهلهن ، فالله الله في الحجاب وصيانة النساء ، فإن عاقبة ذلك تحمد في الآخرة والدنيا.

ويجب أيضا أن يصان من ضَعُف من الأطفال عن مخالطة الرجال المماليك منهم والأحرار،ولا يخلو من الزجر عند عورات الكلام ، وإلهام فصيح القول وصيته [٤] ، وليُعَلَّموا القرءان والكتابة والقراءة وأنواع الأدب ، فإن كل قوم

(١) فراغ في المخطوط. وما أثبت اجتهاد.

(٢) شانوه: جمع شانئ.

(٣) فراغ في المخطوط. وما أثبت اجتهاد.

(٤) كذا في المخطوط.

عدمت الكتابة والقراءة صاروا كجفاة الأعراب ، أو كعجم الدواب ، فالله الله علموا أولادكم وأقاربكم ، واتَّجروا[١] بالتعليم على ذوي الحاجة من مواليكم وأجواركم ، فإنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون.

وآخر وصيتي لكم يا بني كأولها ، فعليكم بتقوى الله وصلة أرحامكم ، وإعظام من وهبه الله علما منكم ، واتباع من قام داعيا إلى الله من ولد جديكم الحسن والحسين.

فذلك اعتقادي ، عليه أحيا وعليه أموات ، ومن أراد برِّى بعد وفاتي ، فليجعل ما يبرني به لأحوج قرابتي إلى ذلك ، ولا تذروني من بركم كلُ إنسانٍ بقدر جدته وما يمكنه ، ومن أراد أن يبرني بعتيق يعتقه عني فلا يعتق إلا زكيا صالحا ، أمة كان ذلك أو عبدا ، ولا يعتق عني طفلا تلحقه الحاجة.

وأوصيكم برجعة الحجاز إلا أن تخشوا أن يلحقكم من القرابة كالذي لحقني ، ولن تزال ذريتي مطلوبة يطلبها ملوك الدنيا كما طلبوني ، خشية أن يكون منهم قائم بحق ، فإن لم يخشوا مكروها فعودوا الحجاز ، وإن خشيتم به كالذي خشيتُ فاجعلوا محلكم بترح ، حتى يصح لكم مرجع الحجاز ، ولا تجعلوا اليمن لكم مخلافا ، فإني وجدته غير موافق للشريف ولا يصلح له ، والله المصلح لمن أطاعه.

---

(١) كذا في المخطوط.

وصيته إلى ولده جعفر

الذي أوصيك به يا بني تقوى الله ، فإن من اتقا الله جعل له من أمره يسرا ، ومما يضيق به مخرجا ، وقد ساقت الضرورات أباك إلى المدخل مع هذه الأمة التي لا يسع مؤمنا الدخول معها ، إلا من بعد جهد وضرورة ، ثم إنه ليس أحد أولى منك بموازرتك لأبيك ، ومعاونته على ما قد دخل فيه ، فكن عند ظنه ، واحصر نفسك الصبر على ما يُلِمُّ بك من مغام[1] هذه الدنيا.

واعلم أن الرجل لا يوصف بالرُّجْلَة حتى يكون حازما ، فاحزم في أمورك ، واعلم أن الناس مبتلى بعضهم ببعض ، ومفتون بعضهم ببعض ، فاصبر على أذى من آذاك منهم ، ولا تفرحن بقول من حسَّن لك القول ، فرب قول حسن من تحته سيء ، ولا تظهرن من نفسك لعدو عرفت عداوته أنك تشناه [2] ، ولا تثقن بصديق رأيت منه ما تهواه ، فليكن حذرك من صديقك كحذرك من عدوك ، مع إظهار الجميل لهما جميعا ، وبسط الوجه لهما معا ، واعتبر - ما قد قلتُ - بنفسك التي هي أقرب إليك منهما ، فإنك تجدها تدعوك إلى ما لو أسعفتها فيه لكان بذهاب الدنيا والآخرة منك ، وقبح القالة فيك ، فإذا كان ما تريد نفسك يؤول إلى هذا ، فكيف يكون حال غيرها من وليٍّ لم يحقق ولايته ، أو عدو لا تأمن خيانته.

(١) مغام: جمع غم.

(٢) من الشنآن.

يا بني إذا رضيك قوم لأنفسهم واليا ، ورأوك لذلك أهلا ، فصدِّق ظنهم بك ، وألِنْ لهم جانبك ، وأحسن إليهم جهدك ، وليس ذلك بأنجع لهم من صبرك على مسيئهم ، وتجاوزك عند قبيح فعلهم ، فاجعل من نفسك ما قد وَصَّيْتك به.

وأحذرك من الإصغاء لمن يبدي لك النصيحة ، ولكن اسمع قوله وأظهر قبوله ، ولا تعطله ولا تعمل به حتى يتحقق لك منه ما لم يستبن عند إلقائه ، فإن أبانت لك البينة شيئا ، فما حمل نفسك بالتجاوز عنه ، وإن أبانت لك حسنا ، فأنت إذ ذاك المغتبط بأناتك ، والسالم من عجلتك.

ومما أوصيك به كثرة الاحتراس من الناس ، فإنهم مبتلون بافتقاد البرية ، يحصون على كل إنسان قوله وفعله ، فاجعل السُّكات شعارك ، تسلم من ساع يسعى بعوراء كلامك.

إذا أردت فعلا فتثبت قبل فعلك ، حتى تدري أذلك أوفق أم الترك ، وليس كل الرجال يعرف ما يصلح له ، وإنما الذي يحيط بالمعرفة من قد جرب الأمور ، ودارت عليه دورات الزمان. وأنت يا بني غرير بالدنيا وما فيها ، شاور الناصح إذا عرفته ، وربما أفِنَ[1] رأي الناصح المحق ، ولكنه يتقلد اللائمة في ذلك ، ولا تلوم أنت نفسك بعد مشاورتك.

إياك يا بني أن تعجل بعقوبة من أذنب حتى تعرف ما تفعل ، فإن المغتاظ يعزب عنه عقله ، ومن قَدَرتَ أن تضربه بسوطك فلا تضربه بسيفك ، ومن

---

(١) من الإفن، وهو النقص.

قدرت على حبسه فلا تضربه بسوطك ، ومن كفاه الكلام منك فلا تلقه في حبسك ، ثم عليك بترك الانبساط وإكثار القول.

رُدَّ تحيةَ مَن حياك ، وأجب مَن خاطبك عن خطابه بأصول القول ثم أمسك ، فإنك تعذر بعد الامتثال على ما تشاء من القول ، ولست تقدر على رد ما تندم على قوله من الكلام.

واعلم أن المروءة التي تناهى إليها الصفة والعفة التي ليس مثلها عفة ، الزهد في حطام الدنيا ، وقلة الشَّرَه إلى ما في أيدي الناس ، عِفّ عما تدعوك نفسك إليه ، ووفِّر مال من عرض عليك ماله ، وربما أعطى الإنسان عطية ليُختبر فيها مكنونُه ، ويعرف بها همته.

فإياك ثم إياك أن تقبل من أحد هدية ، ولا تقتضه حاجة ، وتغنًّ بما قسم الله لك ، وأنا زعيمك بقضاء حاجتك ، وجلالة قدرك ، إذا أديت ما فرض الله عليك ، وجعلت حاجتك إليه ، والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما.

الفهارس

فهرس المحتويات

مقدمة التحقيق ---------------------- ٧
المؤلف ---------------------------- ٧
مولده ----------------------------- ٧
نشأته ----------------------------- ٧
دعوته ----------------------------- ٧
نظريات القاسم الإدارية والسياسية ----------- ١٥
شعره ------------------------------ ١٩
مؤلفاته ---------------------------- ٤٤
وفاته: ---------------------------- ٤٤
الكتـــــــــاب ------------------------------ ٤٧
صور المخطوطات ------------------------------ ٤٨
كتاب التنبيه والدلائل ---------------- ٥١
كتاب التنبيه والدلائل ---------------- ٥٣
الجزء الأول ------------------------------ ٥٣
كتاب التنبيه والدلائل ------------------------ ١٠٩
الجزء الثاني ------------------------------ ١٠٩
[تفسير سورة الفيل] ----------------- ١٤٤
[تفسير سورة المنافقون] ------------- ١٤٦
[مسائل كويل بن الحسن] ------------- ١٥٩

[مسألة الجمع بين الصلاتين]------------ ١٦٦

[مسائل علي بن خراش]--------------- ١٩٤

كتب ورسائل الإمام القاسم العياني ---------- ٢١٤

[كتابه إلى ولد قحطان] ---------------------٢١٤

[كتابه إلى أهل نجران] ---------------------٢١٧

[كتابه إلى العبدين] ----------------------٢٢٢

[كتابه إلى العساكر] ----------------------٢٢٦

[كتابه إلى أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن يعقوب] -------٢٢٩

[كتابه إلى العمال] -----------------------٢٣١

[كتاب له أجاب به على يوسف بن يحيى بن الناصر]-------٢٣٥

[كتابه إلى مخلاف من مخاليف دولته]---------------٢٣٩

[كتابه إلى العلويين باليمن] -------------------٢٤٣

[ومن كتابه إلى الأمير عبد الله بن محمد بن المختار]--------٢٤٨

[كتابه إلى أهل الطاعة] ---------------------٢٥٠

[كتابه إلى أهل البيعة في أقطار اليمن] -------------٢٥٤

[كتابه إلى الناس يسألهم النفير للجهاد] -------------٢٦٣

[كتابه إلى كافة ولاته باليمن] -----------------٢٦٦

[كتابه إلى جميع أهل الطاعة]-------------------٢٦٩

[كتابه إلى الجنود والرعايا الذي تخلفوا عن السفر] ---------٢٧٣

[كتابه إلى المتخلفين عن السفر معه إلى نجران] ---------٢٨٥

[كتابه إلى أبي الحسن القشيبي] ------------------٢٨٩

[كتابه إلى أهل نجران] ---------------------٢٩٢

[وصية لولده سليمان] ----------------------٢٩٧

[وصية لولده الحسين]-----------------------٢٩٨

[كتابه إلى أبي الطيب داود بن عبد الرحمن الحسيني] --------٢٩٩

[كتابه إلى أهل سوق صعدة]------------------٣٠١

[رسالته إلى الهمدانيين باليمن] ---------------------------- ٣٠٢
[كتابه إلى أبي جعفر أحمد بن قيس الضحاك] -------------------- ٣٠٥
[كتابه إلى عماله وأوليائه] ---------------------------- ٣٠٧
[كتابه إلى صبرة بن أبي الصباح] -------------------------- ٣٠٩
[كتابه إلى أبي الغيث بن جعفر الطائي] -------------------- ٣١١
[كتابه إلى المنصور بن أبي روح] -------------------------- ٣١٣
[كتابه إلى أهل طاعته] ---------------------------------- ٣١٨
[كتاب جوابه إلى الزيدي] -------------------------------- ٣٢١
[دعوة عامة للجهاد] ------------------------------------ ٣٢٥
[كتابه إلى قائد من قادته] ------------------------------ ٣٣١
[كتابه إلى رزين بن أحمد] ------------------------------ ٣٣٢
[كتابه إلى أهل اليمن] ---------------------------------- ٣٣٤
[كتابه إلى أهل بيته وطاعته وجميع مخاليفه باليمن] ------------ ٣٣٩
[كتابه إلى المغيرة بن بدر] ---------------------------- ٣٤١
[كتابه إلى أبي العباس] ---------------------------------- ٣٤٣
[كتابه إلى حمير] -------------------------------------- ٣٤٤
[عهد القاسم لأهل ولايته] ------------------------------ ٣٥٢
[كتابه إلى ولده جعفر] ---------------------------------- ٣٦٤
[تذكرته لأهل ولايته مع ولده علي] ------------------------ ٣٦٧
[تذكرته لخلاف بين الزيدي وابن أبي الفتوح] ------------------ ٣٦٩
[كتابه إلى الزيدي] ------------------------------------ ٣٧٥
[كتابه إلى جميع أهل الطاعة من أهل اليمن] ------------------ ٣٧٩
[كتابه إلى كافة ولد سعد بالحقل] -------------------------- ٣٨٣
[كتابه إلى العسكر] ------------------------------------ ٣٨٧
[كتابه إلى يوسف بن يحيى بن الناصر] ---------------------- ٣٩٠
[كتابه إلى همدان] -------------------------------------- ٤٠٦
[كتابه إلى قبيلة وادعة وبكيل] ---------------------------- ٤١٤

كتاب ذم الأهواء والوهوم ---------------------٤١٧
[آخر كتاب له إلى الناس بعد خذلانهم له] ------------٤٢١
وصية الإمام المنصور بالله القاسم بن علي بن عبد الله العياني ---٤٢٤
وصية ثانية ----------------------------٤٣١
وصيته إلى ولده جعفر ----------------------٤٣٧
فهرس المحتويات------------------- ٤٤٢